



جمهورية العراق

رئاسة ديوان الوقف السني

كلية الإمام الأعظم الجامعة رحمه الله

قسم الدعوة والخطابة والفكر / الأنبار

الدراسات العليا

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات في الصحيحين

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الإمام الأعظم الجامعة رحمه الله

من متطلبات نيل درجة الماجستير / تخصص دعوة

من الطالبة

عمرة إياد مجيد

إشراف

أ.م.د. أحمد عليوي عباس العيساوي

٢٠٢٦ م

١٤٤٧ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

سورة فاطر: الآية ٢٨



الإهداء

إلى... الرسول الأعظم محمد ﷺ الذي أنقذ البشرية وأخرج الناس من الظلمات إلى النور.

وإلى... من جعل الله الجنة تحت قدميها، إلى أُمي الغالية، التي كانت دعواتها الصادقة سرّاً توفيقِي، ونبع الحنان الذي لا ينضب... أسأل الله أن يجزيك عني خير الجزاء.

وإلى... أبي الكريم، سندي وعوني بعد الله، الذي غرس في حبّ العلم والعمل، وكان مثلاً للعطاء والتضحية... حفظك الله وأدامك ذخراً لي.

وإلى... إخوتي الأعزاء، الذين كانوا لي عضداً وقوة، يشاركونني الفرح ويخففون عني عناء الطريق... دمتُم نعمةً أحمد الله عليها.

وإلى... أصدقائي الأوفياء، رفاق الدرب، الذين ساندوني بالكلمة الطيبة والدعاء الصادق... لكم مني خالص الشكر والتقدير.

إليكما أهدي ثمرة جهدي

راجيةً من الله أن يجزيكما عني خير الجزاء، وأن يديمكما تاجاً فوق رأسي ما حييت.

الباحثة

الشكر والعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور (أحمد عليوي عباس)، لما أولاني من رعاية علمية كريمة، وتوجيهاتٍ سديدة، ومتابعةٍ دقيقة كان لها الأثر الكبير في إتمام هذا العمل وإخراجه بالصورة المرجوة. فله مني وافر الشكر والتقدير، وأسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة، لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وما سيقدمونه من ملاحظاتٍ قيّمة تُسهم في تقويمها وإغنائها، فجزاهم الله خيراً.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى السيد رئيس قسم الدعوة والخطابة في كلية الإمام الأعظم الجامعة والهيئة التدريسية جميعاً لما نفعلونا به من علم طيلة فترة الدراسة فلهم مني وافر التقدير والاحترام.

ولا يفوتني أن أخص بالشكر الأخ العزيز أحمد يوسف أمين، لوقوفه إلى جانبي ودعمه المتواصل، فله مني كل التقدير والامتنان.

ولا يفوتني أن أعبر عن امتناني لكل من مدّ لي يد العون، وساندني بكلمة طيبة أو دعاء صادق، فكان لهم الأثر في تذليل الصعاب.

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسنات من أسهم فيه.

والحمد لله رب العالمين.

الباحثة

المحتويات

ت	العنوان	رقم الصفحة
١.	الآية الكريمة	أ
٢.	الإهداء	ب
٣.	الشكر والعرفان	ت
٤.	جدول المحتويات	ث-ح
٥.	المقدمة	٧ - ١
٦.	التمهيد	١٦ - ٨
٧.	المطلب الأول: مفهوم المضامين لغةً واصطلاحاً	١٠ - ٨
٨.	المطلب الثاني: مفهوم الدعوة لغةً واصطلاحاً	١٣ - ١١
٩.	المطلب الثالث: مفهوم المناسبة لغةً واصطلاحاً	١٦ - ١٤
١٠.	الفصل الأول: حياة الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله ومكانة الصحيحين	٦٩ - ١٧
١١.	المبحث الأول: السيرة الذاتية والعلمية للإمام البخاري (رحمه الله)	٣٦ - ١٨
١٢.	المطلب الأول: اسمه وولادته ونشأته (رحمه الله)	٢١ - ١٨
١٣.	المطلب الثاني: سيرته العلمية	٣٣ - ٢٣
١٤.	المطلب الثالث: أثره ووفاته	٣٦ - ٣٤
١٥.	المبحث الثاني: السيرة الذاتية والعلمية للإمام مسلم (رحمه الله)	٥٥ - ٣٧
١٦.	المطلب الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته وأخلاقه وصفاته ووفاته (رحمه الله)	٤٢ - ٣٧
١٧.	المطلب الثاني: السيرة العلمية للإمام مسلم (رحمه الله)	٥٥ - ٤٣
١٨.	المبحث الثالث: التعريف بالصحيحين وبيان مكانتهما وأهميتهما العلمية	٦٩ - ٥٦
١٩.	المطلب الأول: مكانة صحيح البخاري وأهميته العلمية	٥٩ - ٥٦
٢٠.	المطلب الثاني: مكانة صحيح مسلم وأهميته العلمية	٦٥ - ٦٠

٢١	المطلب الثالث: الأهمية العلمية للصحيحين ومكانتها بين المؤلفات	٦٦ - ٦٩
٢٢	الفصل الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية	٧٠ - ١٤٥
٢٣	المبحث الأول: المناسبات التعبدية الشرعية الثابتة	٧١ - ١٠٦
٢٤	المطلب الأول: تعظيم شهر رمضان وليلة القدر وأثرهما في زيادة الوعي الإيماني والدعوي	٧٢ - ٧٩
٢٥	المطلب الثاني: إبراز أهمية يوم الجمعة وبيان دوره التربوي والتعبدية	٨٠ - ٨٨
٢٦	المطلب الثالث: استثمار العشر الأوائل من ذي الحجة في العمل الصالح الفردي والجماعي	٨٩ - ٩٤
٢٧	المطلب الرابع: بيان فضل يوم عرفة والدعوة إلى صيامه والإكثار من الذكر والدعاء فيه	٩٥ - ١٠٠
٢٨	المطلب الخامس: نشر سنة صيام يوم عاشوراء وبيان الحكمة من تشريعه	١٠١ - ١٠٦
٢٩	المبحث الثاني: أحاديث الأعياد والأحداث الكونية	١٠٧ - ١٤٥
٣٠	المطلب الأول: ترسيخ مفهوم الفرح المشروع في الإسلام من خلال عيد الفطر	١٠٩ - ١١٨
٣١	المطلب الثاني: تعظيم عيد الأضحى وأيام التشريق كأيام شعائر وذكر	١١٩ - ١٢٧
٣٢	المطلب الثالث: التفاعل التعبدية مع الظواهر الكونية كالكسوف والخسوف	١٢٨ - ١٣٥
٣٣	المطلب الرابع: تعميق البعد الروحي في استقبال المطر والتعامل مع النعم	١٣٦ - ١٤٥
٣٤	الفصل الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الاجتماعية والأسرية	١٤٦ - ٢٣٥
٣٥	المبحث الأول: المناسبات الأسرية وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها .	١٤٧ - ١٧٧
٣٦	المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث وليمة الزواج	١٤٩ - ١٥٨
٣٧	المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التهنة بالزواج	١٥٩ - ١٦٥
٣٨	المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث استقبال المولود وتحنيك النبي للمولود	١٦٦ - ١٧١
٣٩	المطلب الرابع: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث العقيقة	١٧٢ - ١٧٧
٤٠	المبحث الثاني: المناسبات الاجتماعية العامة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها	١٧٨ - ٢١١

١٨٥ - ١٧٨	المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إكرام الضيف	.٤١
١٩٤ - ١٨٦	المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إجابة الدعوة	.٤٢
٢٠٣ - ١٩٥	المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث زيارة الإخوان	.٤٣
٢١١ - ٢٠٤	المطلب الرابع: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المعايدة في العيد	.٤٤
٢٣٥ - ٢١٢	المبحث الثالث: مناسبات العزاء والمواساة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها	.٤٥
٢٢١ - ٢١٢	المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التعزية.	.٤٦
٢٢٨ - ٢٢٢	المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إطعام أهل الميت.	.٤٧
٢٣٥ - ٢٢٩	المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث الصبر عند الصدمة الأولى	.٤٨
٢٣٧ - ٢٣٦	الخاتمة	.٤٩
٢٧٥ - ٢٣٨	المصادر والمراجع	.٥٠

ملخص الرسالة

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات في الصحيحين - دراسة دعوية

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن المضامين الدعوية التي تضمنتها أحاديث المناسبات الواردة في الصحيحين، وبيان كيفية توظيفها في الواقع الدعوي المعاصر، من خلال استقراء النصوص النبوية المرتبطة بالمناسبات المختلفة وتحليلها وتصنيفها.

وتبرز أهمية الدراسة في اعتمادها على أصحّ مصادر السنة النبوية، كونها تسلط الضوء على الجانب التطبيقي للدعوة الإسلامية، من خلال مواقف النبي (ﷺ) في المناسبات الدينية والاجتماعية والإنسانية، مما يعزز فاعلية الخطاب الدعوي المعاصر.

اعتمدت الدراسة المنهج الاستقرائي في جمع الأحاديث، والمنهج التحليلي في استنباط المضامين الدعوية، وقد شملت المناسبات: الدينية كالأعياد والحج، والاجتماعية كالزواج والوفاة، والطارئة كالأزمات والأحداث الكونية.

وتوصلت الدراسة إلى أن أحاديث المناسبات تزخر بمضامين دعوية متنوعة، من أبرزها:

- المضامين العقدية: كترسيخ التوحيد، وتعظيم الله، وربط الأحداث بقضائه وقدره.

- المضامين التعبدية: كالحث على الطاعات، واستثمار المواسم الإيمانية.

- المضامين الأخلاقية: كالدعوة إلى الصبر والرحمة والتسامح.

- المضامين الاجتماعية: كتعزيز التكافل ومشاركة الناس أفراحهم وأحزانهم.

وخلصت الدراسة إلى أن فقه المناسبات يمثل مدخلاً مهماً لتجديد العمل الدعوي، وأن المنهج النبوي يتميز بالواقعية والشمول، مما يجعله صالحاً للتطبيق في مختلف الأزمنة.

المقدمة



المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الكتاب هدىً للناس وبيّناتٍ من الهدى والفرقان، وجعل سنة نبيه (ﷺ) شارحةً لمراده، ومبيّنةً لأحكامه، وموجّهةً لعباده إلى سواء السبيل؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أكمل من بلّغ الدعوة، وعلى آله وصحبه الذين نقلوا سنّته، وحفظوا هديه، فكانوا خير قدوةٍ في الفهم والتطبيق، أما بعد:

فإن السنّة النبوية تُعدُّ المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، وهي المنبع الصافي الذي تستمدّ منه الدعوة الإسلامية أصولها ومنطلقاتها، ولا سيما ما ورد فيها من أحاديث ارتبطت بالمناسبات المختلفة، سواء أكانت دينيةً تعبديةً، أم اجتماعيةً وأُسريةً، أم أحداثاً كونيةً ووقائع حياتية؛ إذ تتجلى في هذه الأحاديث مضامين دعوية غنية، تتسم بالواقعية، والارتباط المباشر بحياة الناس، والتدرّج في التوجيه، ومراعاة الأحوال والظروف.

ومن هنا تبرز أهمية دراسة "المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات في الصحيحين" لما تمثّله هذه الأحاديث من مجالٍ خصبٍ لاستنباط الخطاب الدعوي المؤصّل، القادر على الجمع بين النص الشرعي والواقع المعاصر، وبما يعكس مرونة الدعوة الإسلامية وشمولها لمختلف مناحي الحياة. وأنّ ربط النصوص النبوية بالمناسبات يُكسب الخطاب الدعوي بُعداً عملياً وتطبيقياً، يسهم في تفعيل السنة في واقع الناس، ويقرب معانيها إلى الأذهان.

أولاً: أهمية موضوع البحث:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في عدد من الجوانب، من أبرزها ما يأتي:

١. إبراز ثراء السنة النبوية بالمضامين الدعوية المرتبطة بالمناسبات المختلفة.

٢. بيان منهج النبي (ﷺ) في توظيف المناسبات لتوجيه الأمة تروياً وإيماناً وسلوكياً.



٣. ربط الدعوة الإسلامية بواقع الناس وأحداث حياتهم، بما يحقق فاعلية الخطاب الدعوي.

٤. إحياء السنن المرتبطة بالمناسبات الدينية والاجتماعية وتصحيح الممارسات الخاطئة فيها.

٥. الإسهام في بناء خطاب دعوي معاصر قائم على التأصيل الشرعي والاستنباط المنهجي.

ثانياً: أسباب اختيار موضوع البحث:

- جاء اختيار هذا الموضوع لاعتبارات علمية ومنهجية، من أهمها ما يأتي:
١. الحاجة إلى دراسات تجمع بين التأصيل الحديثي والتحليل الدعوي التطبيقي؛ لقلّة الدراسات التي أفردت أحاديث المناسبات بالتحليل الدعوي الشامل.
 ٢. كثرة المناسبات التي تمرّ بالمسلم، وما يصاحبها من ممارسات تحتاج إلى توجيه شرعي، بغية توجيه بعض المظاهر السلوكية الخاطئة في المناسبات من خلال التأصيل الشرعي.

ثالثاً: إشكالية البحث:

- تتفرع عن هذه الإشكالية السابقة مجموعة من التساؤلات، من أبرزها ما يأتي:
١. ما المقصود بالمناسبات في السنة النبوية، وما أنواعها وأهميتها؟
 ٢. ما أبرز المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية التعبدية؟

٣. كيف تعالج السنة النبوية المناسبات الاجتماعية والأسرية من منظور دعوي؟

٤. ما الأبعاد الدعوية في التعامل مع الأعياد والأحداث الكونية؟

رابعاً: أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، من أهمها ما يأتي:



١. تأصيل مفهوم المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات، بغية تحليل تلك المضامين الواردة فيها واستنباط دلالاتها التربوية والإيمانية.
٢. إبراز المنهج النبوي في استثمار المناسبات في مجال الدعوة، وتقديم تصور دعوي معاصر قائم على استثمار المناسبات في توجيه المجتمع.
٣. استقراء الأحاديث النبوية المتعلقة بالمناسبات وتصنيفها بحسب مجالاتها.

خامساً: منهج البحث:

اعتمدت في البحث المناهج الآتية:

١. المنهج الاستقرائي: في تتبع الأحاديث النبوية المتعلقة بالمناسبات وجمعها.
٢. المنهج التحليلي: في دراسة نصوص الأحاديث واستخراج المضامين الدعوية منها.

٣. المنهج الاستنباطي: في استنتاج الدلالات التربوية والدعوية من النصوص.

سادساً: الدراسات السابقة:

تنوّعت الدراسات التي تناولت المضامين الدعوية والتربوية المستنبطة من السنة النبوية بين دراساتٍ حديثةٍ تحليلية، وأخرى دعويةٍ تطبيقية، وثالثةٍ تربويةٍ تأصيلية، وقد أسهمت هذه الجهود في بناء رصيد علمي مهم يُعين على فهم الخطاب النبوي واستثمار دلالاته في الواقع الدعوي والتربوي، ومن أبرز هذه الدراسات ما يأتي:

١. المضامين التربوية المستنبطة من الوصايا النبوية (رسالة ماجستير) لمحمد نور إبراهيم محمد، بإشراف عيد بن حجيح الجهني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الدعوة وأصول الدين، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

تتناول هذه الرسالة الوصايا النبوية بوصفها مصدراً غنياً بالمضامين التربوية، إذ قامت بجمع عدد من الأحاديث الواردة في باب الوصايا، ثم تحليلها واستخراج ما تتضمنه من توجيهات تربوية تتعلق ببناء الفرد المسلم عقدياً وأخلاقياً وسلوكياً. وركّزت الدراسة على إبراز الأساليب التربوية النبوية في التوجيه، مثل: الإيجاز،



والتكرار، وربط المعاني بالمواقف، كما تناولت تطبيقات هذه المضامين في الواقع التربوي، مما أكسبها بعداً عملياً واضحاً.

٢. المضامين الدعوية المتعلقة بتأهيل الداعية علمياً وخلقياً من كتاب "إغاثة اللفهان" لابن القيم (بحث محكم) لرجاء بن عايش الجهني، مجلة القلم، جامعة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية - اليمن، العدد ٢٢، مارس ٢٠٢١م.

يعرض هذا البحث المضامين الدعوية المرتبطة بتأهيل الداعية من خلال استقراء كتاب "إغاثة اللفهان"، إذ أبرز الجوانب العلمية والأخلاقية التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية، مستنداً إلى تحليل نصوص ابن القيم. وركزت الدراسة على بناء شخصية الداعية من حيث العلم، والإخلاص، ومجاهدة النفس، والتحذير من أمراض القلوب، مع ربط ذلك بواقع العمل الدعوي المعاصر، مما يجعلها دراسة ذات طابع تأصيلي وتوجيهي.

٣. المضامين الدعوية من حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه: جمعاً ودراسة (بحث محكم) لأحمد بن منصور عسيري، مجلة الجامعة العراقية - مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العدد ٥٣، الجزء الثالث، ٢٠٢٢م.

تتناول الدراسة حديث العرياض بن سارية باعتباره نصاً جامعاً لأصول الدعوة، حيث قامت بجمع طرق الحديث وتحليل ألفاظه، استنباط المضامين الدعوية المتضمنة فيه، مثل: التمسك بالسنة، والتحذير من البدع، ووجوب السمع والطاعة في المعروف. كما أبرزت الدراسة البعد المنهجي في الخطاب النبوي، وكيفية توظيفه في ضبط مسار الدعوة، مما يُظهر أهمية النصوص الجزئية في بناء التصور الدعوي الكلي.

٤. بعض المضامين التربوية في الحوار النبوي من صحيح مسلم (بحث محكم) لفواز بن عقيل الجهني، بمشاركة أسامة محمود فراج، مجلة الثقافة والتنمية - مصر، السنة العاشرة، العدد ٣٣، أبريل ٢٠١٠م.



تسلّط هذه الدراسة الضوء على أسلوب الحوار في السنة النبوية من خلال نماذج مختارة من صحيح مسلم، إذ قامت بتحليل الأحاديث الحوارية واستخراج ما تحمله من مضامين تربوية، مثل: مراعاة حال المخاطب، والتدرّج في التعليم، واستعمال الأسئلة لإثارة التفكير. كما بيّنت أثر الحوار في ترسيخ القيم وتنمية الوعي، مما يعكس البعد التربوي العميق للمنهج النبوي في التعليم والتوجيه.

٥. المضامين التربوية المستنبطة من أحاديث الصلاة وتطبيقاتها في الأسرة (بحث محكم) لعبدالله بن عبدالحكيم الشعيبي، وماجد بن عبدالله الحبيب، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، المجلد ٦، العدد ٢٥، يناير ٢٠٢٢ م. تتناول الدراسة أحاديث الصلاة بوصفها مصدراً لتوجيهات تربوية عملية داخل الأسرة، إذ قامت بتحليل النصوص النبوية المتعلقة بالصلاة، واستنباط ما تحمله من قيم تربوية، مثل: الانضباط، وتعظيم الشعائر، والتربية بالقُدوة. كما ركّزت على التطبيقات الأسرية لهذه المضامين، مبينةً دور الأسرة في غرس هذه القيم في نفوس الأبناء، مما يربط بين العبادة والبناء التربوي داخل المجتمع.

تميز البحث الحالي عما سبق:

على الرغم من القيمة العلمية لهذه الدراسات؛ فإنّ الدراسة الحالية تتميز عنها في عدة جوانب، من أبرزها ما يأتي:

١. تركيزها على أحاديث المناسبات بوصفها مجالاً مستقلاً للاستنباط الدعوي، وهو جانب لم يُفرد بالدراسة الشاملة في البحوث السابقة التي انصرفت غالباً إلى موضوعات جزئية أو نصوص محددة.
٢. شمولها لأنواع متعددة من المناسبات: الدينية، والاجتماعية، والأسرية، والكونية، بما يقدّم تصوراً متكاملاً عن الخطاب الدعوي المرتبط بحياة المسلم اليومية.





٣. اعتمادها المنهج الاستنباطي الدعوي القائم على تحليل السياق المناسباتي للحديث، وليس مجرد تحليل النص بمعزل عن ظرفه وسبب وروده.
 ٤. إبرازها البعد التطبيقي للمضامين الدعوية، من خلال ربطها بواقع الناس وسلوكهم في المناسبات المختلفة، ومعالجة الممارسات الخاطئة فيها.
 ٥. سعيها إلى بناء تصور دعوي معاصر يستثمر المناسبات في توجيه المجتمع، وهو منحى يجمع بين التأصيل الشرعي والبعد التربوي والاجتماعي.
- وبذلك تمثل هذه الدراسة إضافة نوعية في مجال الدراسات الدعوية، من خلال توسيع دائرة الاستنباط لتشمل سياقات المناسبات، وربط السنة النبوية بواقع الحياة اليومية للمسلمين.

سابعاً: خطة البحث:

تضمنت الدراسة مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع والفهارس.

المقدمة: تتضمن أهمية الدراسة وأهدافها، ومشكلة الدراسة وتساؤلاتها وخطتها، ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة.

التمهيد: وفيه أبرز تعريفات عنوان الرسالة لغةً واصطلاحاً.

الفصل الأول: اشتمل على ذكر حياة الإمامين الجليلين البخاري ومسلم رحمهما الله، ومكانة كتابيهما الصحيحين، وأبرز ما اختص به الصحيحان، وذلك في ثلاثة مباحث.

الفصل الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية إذ تضمن المبحث الأول أبرز المضامين الدعوية المستنبطة من المناسبات التعبدية الشرعية الثابتة، كتعظيم شهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة والعشر الأوائل من ذي الحجة ويوم عرفة ويوم عاشوراء وذلك في خمسة مطالب.





أما المبحث الثاني فقد تضمن أحاديث الأعياد والمناسبات التي شُرِعَ فيها الفرح المشروع (كالعيدين)، فضلاً عن أحاديث الأحداث والظواهر الكونية المرتبطة بالعبادة (كالكسوف والمطر)، وذلك في أربعة مطالب.

الفصل الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الاجتماعية والأسرية، إذ اشتمل المبحث الأول على أحاديث المناسبات الأسرية وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها، كأحاديث وليمة الزواج، والتهنئة بالزواج، واستقبال المولود وتحنيك النبي للمولود، والعقيقة، وذلك في أربعة مطالب، أما المبحث الثاني فقد تضمن المناسبات الاجتماعية العامة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها، كأحاديث إكرام الضيف، وإجابة الدعوة، وزيارة الإخوان، والمعاعدة في العيد.

أما المبحث الثالث فقد تضمن مناسبات العزاء والمواساة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها، كأحاديث التعزية، وإطعام أهل الميت، والصبر عند الصدمة الأولى، وذلك في ثلاثة مطالب.

الخاتمة: وتضمنت النتائج، وأبرز التوصيات.

قائمة بالمصادر والمراجع



التمهيد

المطلب الأول

مفهوم المضامين لغةً واصطلاحاً

المطلب الثاني

مفهوم الدعوة لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثالث

مفهوم المناسبة لغةً واصطلاحاً



التمهيد

المطلب الأول: مفهوم المضامين لغةً واصطلاحاً.

أولاً: المضامين لغةً واصطلاحاً:

١- المضامين لغةً:

ورد لفظ (المضامين) في المعاجم العربية القديمة بعدة معانٍ متقاربة في أصلها الدلالي، تدور جميعها حول معنى الاشتمال والاحتواء والكفالة والضمان، يقول الرازي في مختار الصحاح: (ضَمِنَ الشَّيْءَ بالكسر ضَمَانًا: كَفَلَ بِهِ، فَهُوَ ضَامِنٌ وَضَمِينٌ، وَضَمَّنَهُ الشَّيْءَ تَضْمِينًا، فَتَضَمَّنَهُ عَنْهُ مِثْلُ غُرْمِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ جَعَلْتَهُ فِي وَعَاءٍ فَقَدْ ضَمَّنْتَهُ إِيَّاهُ... وَالْمُضَمَّنُ مِنَ الشَّعْرِ مَا ضَمَّنْتَهُ بَيْتًا، وَالْمُضَمَّنُ مِنَ الْبَيْتِ مَا لَا يَتِمُّ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالَّذِي يَلِيهِ... وَالْمُضَامِينُ مَا فِي أَصْلَابِ الْفُحُولِ)^(١).

فمن خلال هذا النص يتضح أنَّ الجذر (ض م ن) يحمل في طياته معنى الاحتواء والتضمين والكفالة، سواء في المحسوسات (كاحتواء الوعاء لمحتواه) أو في المعنويات (ككفالة الإنسان لغيره أو تضمن الشعر للمعنى).

أمَّا ابن منظور فقد فصل القول في هذا الباب، فقال: (كل شيء أحرز فيه شيء فقد ضَمَّنَهُ... والمضامين: ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهنَّ تضمنه... وفي الحديث: أن النبي (ﷺ) نهى عن بيع الملاقيح والمضامين، والمضامين: ما في أصلاب الفحول، وهي جمع مضمون)^(٢).

(١) مختار الصحاح، عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ص ١٨٥.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري

الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر

– بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ، ١٣/٢٥٨.





ويلاحظ أنّ المعنى اللغوي يجمع بين التضمين بمعنى الاشتمال والضمان بمعنى الكفالة، وهو ما يفتح دلالة الكلمة على معنيين: أحدهما ماديّ حسيّ (كاحتواء البطن أو الصلب على الجنين)، والآخر معنويّ دلاليّ (كاحتواء القول أو النص على المعنى).

٢- المضامين اصطلاحاً:

ورد في الموسوعة الفقهية الكويتية: (ذهب بعضهم إلى أن المضامين ما في أصلاب الفحول، وذهب بعضهم إلى أن المضامين ما في بطون الإناث. كما اختلف الفقهاء في معناها، فذهب الحنفية والشافعية وابن حبيب من المالكية وهو قول عند الحنابلة إلى أن المضامين ما في أصلاب الفحول، وذهب المالكية وهو قول عند الحنابلة إلى أن المضامين ما في بطون إناث الدواب)^(١).

وعليه يمكن القول إنّ: (المضامين) في أصلها اللغوي تفيد معنى الاشتمال والاحتواء، وفي استعمالها الاصطلاحي الفقهي تفيد معنى الشيء المكنون غير المعلوم الكيفية أو الوجود الذي يُظنّ حصوله في المستقبل، وهو ما تُهي عن بيعه شرعاً.

وبالانتقال إلى مجال الدراسات الدعوية، يمكن توضيف هذا المفهوم لتدلّ المضامين الدعوية على المعاني والأفكار والقيم والمقاصد التي تتضمنها الخطابات والأنشطة الدعوية، والتي تحمل في طيّاتها الرسائل المقصودة إلى الناس، سواء ظهرت مباشرة أو تضمّنتها النصوص والأساليب بطريقة ضمنية.

(١) يُنظر: الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥، الطبعات: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)؛ الأجزاء ١-٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت؛ الأجزاء ٢٤-٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة - مصر، الأجزاء ٣٩-٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة، ٩٤/٣٠.





ومن خلال التعريفات اللغوية الموضحة لمعنى المضمون بأنه الاشتمال والاحتواء، وتعريف الجرجاني: (كل ما اشتمل عليه الشيء واحتواه بشكل كلي)^(١)، يمكننا تعريف المضامين تعريفاً إجرائياً يتناسب مع موضوع هذا البحث، فيمكننا القول بأنَّ المقصود بالمضامين الدعوية في هذا البحث: ما يمكن استنباطه من الوسائل والأساليب، والفوائد والدروس، والمناهج الدعوية، والتوجيهات النبوية، التي اشتملت عليها أحاديث المناسبات.

(١) التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ، (١/٥٤٥).





المطلب الثاني

مفهوم الدعوة لغةً واصطلاحاً.

١. تعريف الدعوة لغةً:

وهي: مشتقة من الفعل الثلاثي دعا يدعو دعوة، والاسم: الدعوة، والقائم بها يسمى داعية، والجمع: دعاة، الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو: أن تميل بالشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، ولكلمة الدعوة في اللغة عدة معان: النداء، والطلب، والتجمع، والدعاء، والسؤال، والاستمالة، ودعوتُ فلاناً وبفلان ناديتُهُ وصحتُ به^(١).

وقيل بأن: دعوتُ فلاناً، أي: صحتُ به واستدعيتُهُ، ودعوت الله له، وعليه دعاء، والدعوة المرة الواحدة، وهو: التجمع، والدعاء، والسؤال^(٢).

وقال بعضُ العلماء إنَّها: دعا دعاء ودعوى، وتداعى القوم، دعا بعضهم بعضاً حتى يجتمعوا^(٣).

وهي: دعوتُ فلاناً ناديتُهُ وصحتُ به، والنبي داعي الله، وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل، ودعاة الضلالة، وادعى عليه كذا، والاسم الدعوى، وتداعت الحيطان أي:

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ٢/٢٧٩، مادة (دعو).

(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٢٩٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ٢٣٣٦/٦، باب (دعا).

(٣) ينظر: القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) ٨١٧هـ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ١٢٨٢.





تهادمت، ودعاه، صاح به، واستدعاه أيضاً، ودعوتُ الله له وعليه أدعوه دعاءً، والدعوة، المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية^(١).

٢. تعريف الدعوة اصطلاحاً:

عُرِّفَت الدعوة بأنها: (حثُّ الناس على الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)^(٢).

وقيل: (هي العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام، بما حوى من عقيدة وشرعية وأخلاق)^(٣).

وقد عرّف الدكتور: عبد الكريم زيدان الدعوة بأنها: (الدعوة إلى دين الله تعالى ألا وهو الإسلام)^(٤).

وقيل في تعريفها: (قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين في كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)^(٥).

(١) ينظر: أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٢٨٨/١.

(٢) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ (ت ١٣٦١هـ) دار الاعتصام، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص ١٧.

(٣) العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ، ص ١٢.

(٤) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٣٢١هـ - ٢٠٠١م، ص ٥.

(٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة إلى الله، د. عبد الرحيم بن محمد المغنوي، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ص ٩٧.





وقيل الدعوة: (هي تبليغ جميعاً دعوة الإسلام وهدايتهم إليه قولاً وعملاً في كل زمان ومكان، بأساليب ووسائل خاصة، تتناسب مع المدعويين على أصنافهم وعصورهم)^(١).

(١) خصائص الدعوة الإسلامية، د. محمد أمين حسين، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار الطباعة، ٢٠٠٠م، ص ١٧.





المطلب الثالث

مفهوم المناسبة لغةً واصطلاحاً

١- تعريف المناسبة لغةً:

المناسبة في أصل اللغة تدور على معنى المشاكلة والمثابفة، فيقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب، أي مشاكلة وتشاكل، كما يقال: لا نسبة بينهما، أي لا وجه شبه أو صلة، وبينهما نسبة قريبة أي تقارب واتصال في الصفات أو المقاصد^(١).

وتأتي المناسبة بمعنى الملاءمة، ومنه قولهم: هذه اللؤلؤة تناسب هذه اللؤلؤة أي تلائمها في اللون والصفاء، فتوضع معها في سلكٍ واحدٍ، فهي بذلك تدلّ على نوع من الارتباط الطبيعي بين الأشياء المتقاربة في الهيئة أو الغاية^(٢).

وقد بسط القول في هذا المعنى في لسان العرب، مبيناً أن النسب والمناسبة يجمعهما أصل واحد، إذ النسب هو القرابة، والمناسبة هي المشاكلة أو الملاءمة. والنسب قد يكون من جهة الآباء أو الأمهات، كما يكون في الصناعة أو الموطن، وكلها تعود إلى معنى الاشتراك في صفة أو رابطة جامعة. ومن المجاز قولهم: ليس بينهما مناسبة أي لا مشابفة بينهما في المعنى أو الهيئة^(٣).

(١) يُنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت

١٢٠٥هـ)، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في

الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، عدد الأجزاء: ٤٠،

أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١م)، ٢٦١/٤.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ٢٦١/٤.

(٣) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، ٢٦١/٤.





وجاء أن المناسبة بمعنى المشاكلة، وأن قولهم: ليس بينهما مناسبة يدلّ على انتفاء وجه المشابهة. ومنه قولهم: رجل نسابة أي عليم بالأنساب، ونسيب أي قريب ومناسب^(١).

إذًا، يتضح من الاستعمالات اللغوية أن المناسبة تدور على معاني المشاكلة، والملاءمة، والتقارب في الصفات أو الأوصاف، وهي صلة بين شيئين يشتركان في جهةٍ ما، فيكون بينهما نوع من الارتباط الذهني أو الحسي، وهو ما مهّد لاستخدام المصطلح في العلوم الشرعية والبلاغية بمعنى العلاقة أو الارتباط الملائم بين المعاني أو الأحكام.

٢- تعريف المناسبة اصطلاحاً:

تُطلق المناسبة في اصطلاح العلماء على العلاقة والارتباط بين أمرين بحيث يقتضي أحدهما الآخر أو يلائمه في المعنى والسياق، وتُستعمل في العلوم الشرعية للدلالة على الصلة بين الحدث أو السبب وبين النص الوارد بشأنه.

فالمناسبة في الاصطلاح متوقفة على معرفة المناسب نفسه، إذ هي مأخوذة منه، فلا بد من تعريفه قبل تحديد معناها الفني، والمناسب عند الأصوليين هو: الوصف الذي شرع الحكم لمناسبته له أو لملاءمته له من جهة جلب المصلحة أو دفع المفسدة^(٢).

(١) يُنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٢٢٤/١.

(٢) يُنظر: نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي (ت ٧٧٢هـ)، ضبطه وصححه ووضع حواشيه: عبد القادر محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص ٣٢٥.





وقد عرّفه الإمام الشنقيطي بأنه الملائم لأفعال العقلاء في العادات، موضحاً أن من يعلل الأحكام بالمناسب يرى أنه الوصف المفضي إلى ما يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً عن الإنسان، أي أن له علاقة عقلية بمصالح الناس ومفاسدهم^(١).

وقال فخر الدين الرازي في المحصول: إن المناسب هو ما يفضي إلى ما يوافق الإنسان تحصيلاً وإبقاءً، أي يجلب المنفعة ويحفظها، ويدفع المفسدة ويمنعها، مما يدل على أن الملاءمة بين الوصف والحكم في الشريعة مبنية على رعاية المقاصد العقلية والاجتماعية للإنسان^(٢).

وبناءً على التعريفات اللغوية يمكن تعريف المناسبة في هذا البحث تعريفاً إجرائياً بما يأتي:

(الواقعة أو الحدث أو الظرف الذي يَرِدُ النصُّ النبوي مرتبطاً به، فيتضمن توجيهاً أو حكماً أو إرشاداً يتلاءم مع ذلك الظرف، ويكشف عن العلاقة بين السياق الذي ورد فيه الحديث والمعاني المستنبطة منه).

وهذا التعريف يتلاءم مع عنوان البحث: (المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات: دراسة دعوية)؛ إذ يُقصد بالمناسبة الحدث أو الظرف الذي قيل فيه الحديث النبوي، وما يحمله من دلالاتٍ وتوجيهاتٍ دعوية يمكن استنباطها وتوظيفها في العمل الدعوي.

(١) يُنظر: الوصف المناسب لشرع الحكم، أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ، ص ١٨١. ونهاية السؤل في شرح منهاج الوصول، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، ص ٣٢٥.

(٢) يُنظر: المحصول في علم أصول الفقه، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، فخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ١٥٧/٥.



الفصل الأول

حياة الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله ومكانة الصحيحين

المبحث الأول: السيرة الذاتية والعلمية للإمام البخاري (رحمه الله)

المبحث الثاني: السيرة الذاتية والعلمية للإمام مسلم (رحمه الله)

المبحث الثالث: التعريف بالصحيحين وبيان مكانتهما وأهميتهما العلمية

الفصل الأول

حياة الإمامين البخاري ومسلم رحمهما الله ومكانة الصحيحين

لا شك أن كتاب صحيح الإمام البخاري وصحيح ومسلم - مكانة عظيمة في تراث الأمة الإسلامية، فهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد تلقت الأمة كتابيهما بالقبول والرضى، واعتنى العلماء بهما عناية فائقة لم تحظ بها أي مؤلفات حديثية أخرى سابقة؛ لتمييز هذين الكتابين من دقة في الرواية، وصحة في الأسانيد، وشروط صارمة في القبول والرد.

لذا فإنني سأعرف في هذا الفصل عرضاً ليس بالمطول الممل ولا الموجز المخل لحياة الشيخين الإمامين البخاري ومسلم (رحمهما الله تعالى)، في الجانب الشخصي والعلمي، فضلاً عن بيان أبرز النقاط التي تبين مكانة الصحيحين بين المؤلفات الإسلامية؛ وذلك في ضوء المباحث الآتية:

المبحث الأول: السيرة الذاتية والعلمية للإمام البخاري (رحمه الله).

المبحث الثاني: السيرة الذاتية والعلمية للإمام مسلم (رحمه الله).

المبحث الثالث: مكانة الصحيحين بين المؤلفات العلمية.

المبحث الأول

السيرة الذاتية والعلمية للإمام البخاري (رحمه الله)

لا بد من التعريف بالإمام البخاري من حيث سيرته ومعرفة شيوخه وتلاميذه، وأهم مؤلفاته، ثم وفاته، ليكون ذلك مدخلاً إلى معرفة عناية هذا الإمام الجليل بالسنة النبوية عناية عظيمة، فهو إمام الأئمة، وشيخ المحدثين، وطبيب علل الحديث، والجرح والتعديل، وصاحب النقد البناء (رحمه الله).

المطلب الأول

اسمه وولادته ونشأته (رحمه الله)

أولاً: اسمه:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَزْدَرِيَّة^(١)، أبو عبد الله الجعفي، البخاري^(٢).

وقد ذكر أن لقب الجعفي لأن المغيرة أبا جده كان مجوسياً فأسلم على يد اليمان الجعفي والي بخارى، فنسب إليه طبقاً لمذهب من يرى أن من أسلم على يده

(١) هو بالبخارية، ومعناه بالعربية الزراع. يُنظر: وتهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ٦٧/١.

(٢) يُنظر: تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ٢، ٣٤/٤، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي: ٦٨/١، وطبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي، عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢١٢/٢ - ٢١٤.

شخص كان ولاؤه له^(١).

ثانياً : ولادته (رحمه الله)

ولد شيخ المحدثين في بيت علم وفضل وصلاح بمدينة بخارى في يوم الجمعة بعد صلاتها لثلاث عشرة خلت من شهر شوال سنة أربع وتسعين ومائة. وهذا تاريخ متفق عليه بين العلماء^(٢).

ثالثاً: نشأته (رحمه الله)

نشأ الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري يتيماً بعد وفاة والده في صغره، فنشأ في رعاية أمه^(٣)، وهو حال كثير من علماء الأمة الذين عاشوا أيتاماً فتلقوا العلم والمعرفة، وتربوا على نهج الشريعة الإسلامية.

أما والده إسماعيل فكان رجلاً ذا ورع وتقوى، يحظى بالاحترام والتقدير، ومن كبار المحدثين، وكان من تلامذة وأصحاب الإمام مالك رحمه الله في المدينة المنورة. وقد ذكر الإمام البخاري والده في كتابه التاريخ الكبير قائلاً: (إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو الحسن، رأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه وسمع مالكا)^(٤).

(١) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٦٦٩، وسيرة الامام البخاري: عبدالسلام المباركفوري، تحقيق: عبدالعليم بن عبدالعزيز البتوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٥١/١.

(٢) ينظر : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٦/٢، والكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ٢٤٠/٧. وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٦٧/١.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٦٦٩/٧.

(٤) ينظر: التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية، د.ط. د.ت، ٣٤٢/١.

تيتيم الإمام البخاري ففقد والده في سن مبكر وكانت أمه الصالحة التقية تقوم بتربيته ورعايته أحسن رعاية، وكانت ذات حظ وافر في الدعاء والابتهال إلى الله تعالى، فقد الامام البخاري بصره وهو صغير، فرأت أمه في المنام إبراهيم عليه السلام يقول لها: "يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك. فقامت من ليلتها التي رأت فيها الرؤيا فإذا ببصر محمد قد عاد ورجع فيه نوره بل صار بصره أقوى مما كان لدرجة أنه ألف مسودة (التاريخ الكبير) في الليالي المقمرة^(١).

رابعاً: عصره (رحمه الله)

عاش الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري نحو ستة وستين عاماً، قضى معظمها في ظل الدولة العباسية، فقد وُلد في أواخر عهد الخليفة الأمين، وعاصر في حياته الخلفاء المأمون، والمعتصم، والواثق، والمتوكل، والمستنصر، والمستعين، والمعتز، وبذلك امتدت حياته للنصف الثاني من العصر العباسي الأول وأوائل العصر العباسي الثاني، وكلاهما يُعدّ من أرقى وأعظم فترات حكم بني العباس^(٢).

امتاز العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ) بقوة سلطان الخلفاء وسيادة نفوذهم، حيث كانت لهم الكلمة العليا على معظم العالم الإسلامي ما عدا الأندلس، وكانت الدولة قوية، مهابة الجانب، وعزيزة. غير أنّ الدولة العباسية في أواخرها شهدت ضعفاً وانحداراً، وظهور الفتن، واستنزاف الخزائن، حتى قلّ نفوذ الخليفة

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٦٦٩، وسيرة الإمام البخاري: للمباركفوري، ٦١/١.

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، ١٥/٧، ورباعيات الإمام البخاري: يوسف الكتاني، مكتبة المعارف، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٨م، ١٦.

وأصبحت الأمور بيد الأتراك، وكان هذا الوضع سائداً في آخر حياة الإمام البخاري^(١).

أما أحوال المشرق، وخاصة بلاد خراسان موطن الإمام البخاري، فقد خضعت خلال هذه الفترة لأسرة طاهرية قوية تتمتع بنفوذ واسع، تنتسب إلى طاهر بن الحسين، أحد كبار قادة الدولة العباسية في خراسان، وقد كافأه الخليفة المأمون بولايات جزيرة العرب وشرطة بغداد، ثم ولاية خراسان سنة ٢٠٥هـ، واتخذ نيسابور عاصمة لإمارته، واستطاع طاهر تأسيس أول إمارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية، محافظة بذلك على نفوذ كبير في المنطقة^(٢).

عاش شيخ المحدثين أبو عبد الله البخاري عصرًا علميًا جليلاً رائعاً، ازدهرت في العلوم الشرعية ازدهاراً رائعاً، وأصبح للعلم مكانة خاصة في جميع أرجاء العالم الإسلامي، فقد نمت المذاهب الفقهية الأربعة، ودونت وأصبح معظم الناس أتباعاً لها، ونمت علوم القرآن الكريم لاسيما التفسير، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية والمغازي والتاريخ والطبقات، وأسست علوم العربية خدمة للقرآن الكريم، كما أن سيول الثقافة الأجنبية قد انصببت على المجتمع المسلم، ووجدت تشجيعاً عظيماً، لاسيما في عهد الخليفة المأمون، وترجمت الكثير من الكتب إلى اللغة العربية^(٣).

ازدهر في هذا العصر الحديث والعلوم المتعلقة بالحديث النبوي من العلل والجرح والتعديل وعلم النقد عامة، حيث كان للحديث مكانة خاصة من حيث الجمع والتدوين والتأليف وحده دون ما سواه من فتاوى وأقوال الصحابة والتابعين وأصبح

(١) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد

بن عثمان بن قايماز الذهبي، ١٥/٧، ورياضات الإمام البخاري: يوسف الكتاني، ١٦.

(٢) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ٣٣/١.

(٣) ينظر: الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين: تقي الدين الندوي المظاهري، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ١٨.

للحديث كتب يستقل بها دون ما سواه من العلوم الشرعية، وظهر محدثون أئمة كبار، كالإمام أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم^(١).
غير أن ظهور البدع والفرق الضالة في هذا العصر كان حاضراً، ولكن بعض الخلفاء في ذلك العصر قد تأثر بقول المعتزلة بأن القرآن الكريم مخلوق، وانتصروا لهذا القول ودعوا العلماء إلى القول بذلك، فحصلت الفتنة وأوذي فيها الكثير من علماء أهل السنة، وعلى رأسهم الإمامين أحمد ابن حنبل ثم البخاري فيما بعد^(٢).

(١) ينظر : رباعيات الإمام البخاري، ليوسف الكتاني، ص ١٩.

(٢) يُنظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، عمر بن علي الأنصاري الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط وجمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج ١، ص ٢٧.

المطلب الثاني

سيرته العلمية

أولاً : نشأته العلمية:

إنّ تعلم العلوم الشرعية، من القرآن الكريم والفقه والحديث وعلومهما، كان من أبرز أولويات سلفنا الصالح، الذين أولوا اهتماماً بالغاً بتنشئة أبنائهم تربية صالحة على النهج الإسلامي، موجهين إياهم نحو الطريق المستقيم الذي أمرنا به ديننا الحنيف، وموضحين لهم قيمة التربية والتعليم والانضباط منذ الصغر. لذا كانوا يرسلون أبنائهم قبل سن السابعة إلى الكتاتيب والمساجد لحفظ القرآن الكريم وتعلم الحساب، ثم الالتحاق بحلق العلم لتلقي العلوم الشرعية. وقد عبّر الإمام القسطلاني رحمه الله عن هذا المعنى في وصفه للنشأة العلمية للإمام البخاري، فقال: (فقد ربّي في حجر العلم حتى ربا وارتمع ندي الفضل، فكان فطامه على هذا اللبا^(١))، مشيراً إلى أن نشأته العلمية بدأت منذ الصغر وتغذت على العلم والفضل منذ أول مراحل حياته^(٢).

ذكرنا فيما سبق أن الامام البخاري نشأ يتيماً وتربى في احضان امه التي دفعته الى العلم والتعلم وخصوصا علوم الحديث النبوي، الذي تدور عليه بقية العلوم من فقه واصول، وعقيدة، وبلغ الامام البخاري العاشرة من عمره حتى ظهرت أثر العلم والذكاء والفطنة وسرعة الحفظ، فألهمه الله حفظ القرآن الكريم والحديث النبوي وهو في عمر صغير.

(١) اللبا مهموز وزان عنب: أول اللبن عند الولادة، وجمعه ألباء، مثل: عنب وأعناب، مادة (ل بء). ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت، ص ٤٤٧.

(٢) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (ت ٩٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، ١٣٢٣هـ: ٤٦/١.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق النحوي^(١) رحمه الله: (قلت لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: كيف كان بدء أمرك؟ فقال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فسألته: كم أتى عليك إذ ذاك؟ فقال: عشر سنين أو أقل)^(٢)، ومن هذه السن المبكرة بدأ يشارك في حلقات المدرسين.

وقد وقع في بداية طلبه حادث يبين ذكاءه ودقته العلمية، حين حضر مجلس العلامة الداخلي^(٣)، الذي كان من كبار المحدثين في بخارى وذا حلقة مشهورة. ففي أثناء إسناد حديث سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم، قال البخاري: (يا أبا فلان، إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم)، فانتهره الداخلي. فرد البخاري بكل أدب: (ارجع إلى الأصل إن كان عندك). فاطلع الداخلي على الكتاب ثم خرج وسأل: (كيف هو يا غلام؟)، فأجاب البخاري: (هو الزبير بن عدي عن إبراهيم)، فأخذ الداخلي القلم

(١) هو: أبو جعفر أو أبو عبد الله محمد بن أبي حاتم الرازي الوراق النحوي، أحد العلماء ومن رواة الحديث عند أهل السنة والجماعة، كان من أخص تلاميذ البخاري وأكثرهم ملازمة له ورواية لأخباره. وكان ينسخ له ويكتب كتبه. له كتاب: شمائل البخاري جمعه، وهو جزء ضخيم. ينظر: تعليق التعليق على صحيح البخاري: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبدالرحمن موسى القرقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ٤٣٧/٥، سير أعلام النبلاء الشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ط ٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥، ٣٩٢/١.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٦/٢، وفتح الباري لابن حجر، ٦٦٩.

(٣) قال عبد الفتاح أبو غدة والداخلي من شيوخ البخاري في نشأته، ولم أجد له ترجمة في المضان التي رجعت إليها، ولم يذكره السمعاني في (الأنساب) وظاهره أنه من شيوخه في بخارى التي نشأ بها، وقد ترجح عندي أنه منسوب إلى مدينة بخارى الداخلة، كما فهمته من (معجم البلدان، ينظر: تحقيق اسمي الصحيحين واسم جامع الترمذي، لعبد الفتاح أبو غدة، ص ١٤). وقال ابن حجر: الداخلي المذكور لم أقف على اسمه ولم يذكر ابن السمعاني ولا الرشاطي هذه النسبة وأظن أنها نسبة إلى المدينة الداخلة بنيسابور. تعليق التعليق: لابن حجر، ٣٨٧/٥.

وأحكم كتابه قائلاً: "صدقت". فسأله بعض أصحابه: "ابن كم كنت إذ رددت عليه؟" فقال: "ابن إحدى عشرة"^(١).

ثانياً: ذكاؤه وقوة حفظه:

كان الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله مثلاً للحفظ والإتقان، بحيث كان قادراً على حفظ صفحة كاملة في وقت قصير، ويعزى ذلك إلى إخلاصه في العمل لله تعالى، وتقواه وورعه اللذين تميّز بهما سلفنا الصالح من العلماء الأجلاء، ومن الوقائع الدالة على ذلك أنّ البخاري حضر ذات مرة مجلس العلامة الفريابي^(٢)، فذكر حديثاً بسنده: (سفيان عن أبي عروة عن أبي الخطاب عن أبي حمزة)، فلم يعرف الحاضرون من هم هؤلاء الرواة لأنهم ذكروا بكناهم فقط، فاستطاع البخاري فوراً أن يبيّن: (أبو عروة هو معمر بن راشد، وأبو الخطاب هو قتادة بن دعامة، وأبو حمزة هو أنس بن مالك رضي الله عنه))، ثم أضاف: (وكان سفيان فعولاً، لذا يكنى المشهورين)^(٣)، مما يدل على دقته الفائقة ومعرفته التامة بالرواة.

يذكر كثير من العلماء ومنهم ابن حجر وغيره أن البخاري قدم مدينة بغداد فسمع به علماء الحديث اتفقوا على أن يختبروه في مائة حديث يلقبون له الاسانيد والمتون فجاء عشرة من كبار علماء بغداد فوضعوا مائة حديث فلقبوا أسانيدها

(١) ينظر: تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، دار طيبة، ٥٥٥/٢، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢١٦/٢.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن واقد بن عثمان الضبي الفريابي، (١٢٠هـ - ٢١٢هـ) أحد كبار رواة الحديث صحب سفيان الثوري مدة بالكوفة، وكتب أحمد بن حنبل الحديث عنه بمكة، وهو من أكبر شيوخ البخاري. سكن قيسارية من ساحل فلسطين وتوفي بها. ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨٢٨٩، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠، ٥٣/٢٨.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٦٧١.

ومتونها، ووضعوا متن هذا الإسناد لإسناد آخر، وإسناد هذا المتن لمتن آخر، ثم وزعوا الأحاديث على عشرة من كبار العلماء، عشرة أحاديث لكل واحد، وأمروهم أن يلقوها على البخاري عند حضور المجلس.

وحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من خراسان والبغداديين وغيرهم، فلما بدأ الاختبار، سأل أولهم البخاري عن أحد الأحاديث المقلوبة، فأجاب: "لا أعرفه"، ثم عن حديث آخر فأجاب مثل ذلك، واستمر كل واحد من العشرة بنفس الطريقة، إلى أن فرغوا جميعاً، وكان البخاري يقول دائماً: (لا أعرفه).

فلما فرغ الجميع، التفت البخاري إلى الأول منهم وأعاد كل حديث إلى إسناده الصحيح، وكل إسناد إلى منته الصحيح، وفعل ذلك مع باقي العشرة، حتى أقرّ الناس له بالحفظ وأذعنوا لفضله.

وعلق الحافظ ابن حجر على هذه الواقعة قائلاً: (ليس العجب في كونه رحمه الله رد الخطأ إلى الصواب لأنه كان حافظاً، ولكن العجب كله في حفظ الخطأ على الولاء، ولم يسمعه إلا مرة واحدة)^(١).

كما روى سليم بن مجاهد^(٢) قوله: (كنت عند محمد بن سلام

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر، ٦٧٩.

(٢) هو سليم بن مجاهد بن بعيش بباء موحدة يشتبه ببعيش أبو عمر البخاري. الوفاة: ٢٥١-٢٦٠هـ)، روى عن موسى بن إسماعيل والقعنبى وعبد الله بن رجاء وعبد الله بن يزيد المقرئ وغيرهم، مات في سنة خمس وخمسين ومائتين، حدث عن أبيه والبخاري وظليم بن حطيط، حدث عنه أبو عبيدة أحمد بن عروة السلمي وغيره. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ٩٥/٦، وتكملة الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، شارك في ج ٢: محمد صالح عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨-١٤١٨هـ، ص ٥، ٣٨٥.

البيكندي^(١)، فقال لي: لو جئت قبل لرأيت صبيًا يحفظ سبعين ألف حديث، فخرجت في طلبه حتى لقيته. فقلت له: أنت الذي تقول إنك تحفظ سبعين ألف حديث؟ قال: نعم، وأكثر منه، ولا أجيبك بحديث من الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم، ولست أروى حديثًا من حديث الصحابة أو التابعين إلا ولي في ذلك أصل أحفظه حفظًا عن كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ)^(٢).

ثالثًا : رحلة الإمام البخاري في طلب العلم وسماعه الحديث :

تميزت أمة النبي (ﷺ) عن غيرها من الأمم بتعظيم العلم والرحلة في تحصيله واشتهر بين علمائها الضرب في الأرض والرحلة إلى أقطار الدنيا للقاء المشايخ وتلقي العلم منهم سماعًا، إحياء لهذه السنة التي سنّها صحابة رسول الله. كان اهتمام الامام البخاري بالعلم وهو صغيرًا، فسعى في طلب العلم والحديث خصوصًا، ففي سنة (٢١٠هـ) خرج للحج مع أمه وهو في السادسة عشرة من عمره، وكان أخوه أحمد في صحبتها لما فرغوا من الحج رجعت أمه وأخوه وبقي هو في مكة رغبة في التحصيل العلمي، فكان (رحمه الله) يحضر مجالس الشيوخ بمكة. فبقي في مكة عامين ثم توجه إلى المدينة النبوية التي لم تزل مركزًا علميًا هامًا ومحطًا لطلبة العلوم الشرعية، وكان عمره حينئذ ١٨ سنة، وبعد هذه الرحلة الطيبة إلى المدينة زار مدناً كثيرة في الحجاز، فكانت مدة إقامته بها ست سنوات، لقي

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن فرج السلمي البخاري البيكندي (ت: ٢٣٠هـ)، نسبته إلى (بيكند) بقرب بخارى، من كبار المحدثين. كتب الكثير عن أبي الأحوص سلام بن سليم، ومالك بن أنس وابن المبارك وغيرهم، له مصنفات في كل باب من العلم، قال الذهبي: كان من أوعية العلم، وأئمة الأثر. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ٦٧٤/٥، وسير أعلام النبلاء للذهبي، ٦٢٨/١٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٢٥/٢.

خلالها عددًا من المشايخ وأخذ عنهم، وفي هذه الأثناء أيضًا - رتب مسودة كتابه التاريخ الكبير) في الليالي المقمرة^(١).

ثم ارتحل شيخ المحدثين إلى مكان آخر من حواضر الإسلام وهي مدينة البصرة التي اشتهرت بكثرة العلماء وسماع الحديث وكثرت المحدثين، ولقد أخذ عن كثير من مشايخها، وقد كان يزور مدينة البصرة في كل فترة للاستفادة وطلب العلم، فهو يقول: رحلت إلى البصرة أربع مرات، ثم سافر إلى الكوفة وبغداد وكان يكثر التردد بينهما حيث أنه قال: ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين^(٢). وقال الخطيب البغدادي: رحل البخاري إلى محدثي الأمصار وكتب بخراسان والجبال ومدن العراق كلها والحجاز والشام ومصر وورد بغداد دفعات^(٣).

فإزاء هذه الجهود الضخمة في الرحلات الواسعة لا نستغرب قوله: كتبت عن ألف وثمانين نفسًا ليس فيهم إلا صاحب حديث^(٤).

رابعًا : شيوخه وتلاميذه:

إنَّ المكانة التي بلغها الإمام البخاري والرحلات الكثيرة التي قام بها جعلت له شيوخًا كثيرين، حتى بلغوا أكثر من ألف شيخ سمع منهم، وهنا يقول البخاري (كتبت عن ألف شيخ وأكثر)^(٥)، هذا من حيث العدد، وأما من حيث نوع الشيوخ: فإنه كان يتخير شيوخه فلا يأخذ إلا ممن يعتقد أن الإيمان قول وعمل^(٦).

(١) يُنظر: فتح الباري، لابن حجر، ص ٦٧٠.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ص ٦٧٠.

(٣) يُنظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٤/٢.

(٤) فتح الباري، لابن حجر، ص ٦٧٠.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١٠/٢.

(٦) يُنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبدالحى بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري

الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة

الأولى، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ٢٥٣/٣.

ومن شيوخه الذين أخذ عنهم: إبراهيم بن المنذر الحزامي^(١)، وأحمد بن حنبل، أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرق^(٢)، ومحمد بن يوسف الفريابي، ومحمد بن سلام البيكدي، ومحمد بن مقاتل^(٣)، ومحمد بن يحيى الذهلي^(٤)، وغيرهم كثير^(٥).

أما تلاميذه:

إنَّ التلاميذ الذين أخذوا العلم عن الإمام البخاري رحمه الله أكثر من أن يحصروا وأشهر من أن يذكرُوا، حتى إن الفريبي^(٦) رحمه الله قال: "سمع الصحيح

(١) إبراهيم بن المنذر بن عبد الله الحزامي الأسدي أبو إسحاق المدني، (ت ٢٣٦هـ)، روى عنه البخاري وأبْن مَاجَهْ وَثَعْلَبُ وَالدَّارِمِيُّ وَجَمَاعَةٌ، قَالَ أَبُو حَاتِمٍ هُوَ أَعْرَفُ بِالْحَدِيثِ مِنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حِمَزَةَ إِلَّا أَنَّهُ خَلَطَ فِي الْقُرْآنِ فَهَجَرَهُ أَحْمَدُ. ينظر: طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ٢٠٧/١ - ٢٠٨.

(٢) أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق بن عمرو بن الحارث بن أبي شمر، أبو الوليد الغساني الأزرق المكي، ت ٢٢٠ هـ، وهو من رواة الحديث روى عنه: البخاري، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو حاتم، وغيرهم، مصنفاته (المسند وتاريخ مكة). ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ٥/٢٦١.

(٣) هو محمد بن مقاتل المروزي أبو الحسن الكسائي (ت ٢٢٦هـ)، سكن بغداد، وانتقل بأخرة إلى مكة فمات فيها، كان ثقة متقناً للحديث روى عنه البخاري وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن أبي عمران الإسفراييني، وإسماعيل بن أبي الحارث وغيرهم. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال. ليوسف بن عبد الرحمن المزني، ٢٦/٤٩١ - ٤٩٣.

(٤) هو محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي، النيسابوري أبو عبد الله من حفاظ الحديث، ثقة، رحل رحلة واسعة فزار بغداد والبصرة وغيرهما، في طلب الحديث، وروى عنه البخاري أربعة وثلاثين حديثاً. انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان. واعتنى بحديث الزهري فسنفه وسماه (الزهريات) في مجلدين. ينظر: ير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م، ٧/١٣٥.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي: ٧١/١ - ٧٢، وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي: ٢/٢١٣.

(٦) هو محمد بن يوسف بن مطر بن صالح بن بشر، أبو عبد الله الفريبي (ت: ٣٢٠ هـ) سمع الصحيح من أبي عبد الله البخاري بفريز في ثلاث سنين، وسمع الصحيح من البخاري تسعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيره، وسمع من علي بن خنسر لما قدم فريز مرابطاً. قال ابن السمعاني في "أماليه": كان ثقة، ورعاً. ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي، ٧/٣٧٥.

من البخاري تسعون ألف رجل وقد روى عنه خلائق غير ذلك، وكان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه^(١).

ومن أشهر ممن أخذ عنه من الأعلام -رحمهم الله- الإمام مسلم بن الحجاج بن مسلم، وأبو عيسى الترمذي والنسائي، وأبو زرعة الرازيان^(٢)، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي^(٣)، وأبو بكر بن خزيمة^(٤)، وكل هؤلاء أئمة حفاظ، وغيرهم من الأئمة الأعلام^(٥).

خامساً: مؤلفاته:

أن مؤلفات الإمام البخاري إنتاجاً علمياً غزيراً يدل على علمه وتمكنه، وقد استفاد ممن قبله واستفاد منه من جاء بعده فاق্তدوا به في مصنفاته التي كانت دقيقة جداً، واحتذوا حذوه وساروا على طريقته. ولقد حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم أسماء

(١) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٧٣/١.

(٢) هو أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي: قاضي الديار المصرية. ولد وتوفي بالقاهرة. رحل به أبوه الحافظ العراقي إلى دمشق فقرأ فيها، وعاد إلى مصر فارتفعت مكانته وحمدت سيرته من كتبه البيان والتوضيح لمن أخرج له في الصحيح وقد مس بضرب من التجريح) و (تذكرة)، و (ذيل) في الوفيات، وغير ذلك. ينظر: الأعلام للزركلي، ١٤٨/١.

(٣) هو: الحربي الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق البغدادي، أصله من مرو (ت: ٢٨٥هـ)، كان إماماً في العلم رأساً في الزهد عارفاً بالفقه بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث مميّزاً لعلله جماعاً للغة صنف غريب الحديث وكتباً كثيرة. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ١٢٣/٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، المكنى بأبي بكر، (ت ٣١١)، الحافظ الحجة الفقيه، الملقب بشيخ الإسلام، وإمام الأئمة، وصاحب كتاب صحيح ابن خزيمة. اتسعت رحلاته حتى شملت الشرق الإسلامي آنذاك، سمع من البخاري ومسلم بن الحجاج والذهلي وغيرهم. ينظر: تاريخ الإسلام للذهبي، ٢٤٣/٧، وطبقات الحفاظ للسيوطي، ٣١٣/١.

(٥) ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي، ٥٥٥/٢، وفتح الباري لابن حجر، ٦٨٦.

كتبه ومصنفاته، لكن الكثير منها فقد منذ أمد بعيد، وهذه أسماء كتبه التي ذكرها العلماء^(١) وسأعلق على الموجود منها، وأسرد الباقي سرداً:

١. الجامع الصحيح^(٢): هو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله، وسننه وأيامه وهو أصح كتاب صنف في الحديث.

٢. التاريخ الكبير^(٣)، استوعب كتاب التاريخ الكبير من روي عنهم الحديث من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء، فإن وجدت أسماء مشتركة روعي ترتيب حروف الهجاء في أسماء آبائهم، فإن لم تعرف أسماء آبائهم كالموالي وغيرهم كتبهم تحت عنوان: "من أفناء الناس" عند انتهاء الرديف، والأسماء التي لا تشترك جمعها تحت الباب الواحد والغالب فيه ذكر السماع والشيخ والتلامذة.

٣. التاريخ الأوسط^(٤): وهذا وصف له أطلقه عليه غير البخاري، وأن أقرب اسم للكتاب هو الذي ذكره البخاري في بداية كتابه، وهو التاريخ في معرفة رواة الحديث ونقله الآثار والسنن وتمييز ثقاتهم من ضعفائهم وأخبارهم وتاريخ وفاتهم.

(١) فتح الباري لابن حجر، ٦٨٦ و البخاري محدثاً وفقهياً، لعبد الحميد هاشم الحسيني، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط. د. ت، ٢٦٩. وسيرة الإمام البخاري للمباركفوري، ٢٨٠/١.

(٢) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات.

(٣) طبع هذا الكتاب في حيدر آباد فيما بين: ١٩٤١ - ١٩٦٣م بتحقيق وتصحيح العلامة: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله، ثم صدرت له طبعات أخرى مصورة من طبعة حيدر آباد.

(٤) طبع الكتاب في مجلدين بتحقيق الأستاذ: محمد بن إبراهيم اللحيان، نشر دار الصميعي الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٤. التاريخ الصغير^(١): ذكر فيه الإمام البخاري مشاهير الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وسنوات وفياتهم ونسبهم ولقاءهم، ويذكر في الغالب الجرح والتعديل ورتب تأليفه على السنوات، فإذا انتهى من سنة وذكر وفيات مشاهيرها وغيرها من الأمور المهمة بدأ بسنة أخرى.

٥. الأدب المفرد^(٢): وقد اشتمل على عدد ضخم من الأحاديث والآثار في مجال الآداب والاخلاق، فيها الصحيح والحسن والضعيف.

٦. خلق أفعال العباد^(٣): تضمن هذا الكتاب الرد على المعتزلة والقدرية النفاة لقدر الله عز وجل، والقائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه، وكذلك الرد على الجهمية والمعتلة النافين لصفات الله عز وجل، وقد أفاض البخاري في الرد عليهم في مسألة كلام الله وبيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق. وقد أورد فيه الإمام البخاري جملة من الأحاديث المرفوعة، والموقوفة وآثار من كلام التابعين وأئمة السنة.

٧. كتاب الكنى^(٤): إن معرفة الكنى فن مهم من فنون علم الحديث، ويقصد منه بيان كنى رواة الحديث لكي لا يختلط راو بغيره، وقد اشتمل الكتاب على (٩٩٣) ترجمة، وكانت استفادة العلماء من هذا الكتاب كبيرة، وخاصة ممن ألف في هذا الموضوع ممن جاء بعد البخاري، كالإمام مسلم في كتابه الكنى والحاكم الكبير أبو أحمد^(٥).

(١) طبع الكتاب في إله آباد بالهند سنة ١٣٢٤هـ، بتحقيق: الشيخ محمد محي الدين الجعفري وإفادات العلامة المحدث: شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود.

(٢) وقد طبع هذا الكتاب عدة مرات.

(٣) طبع الكتاب بتحقيق العلامة شمس الحق العظيم آبادي في دلهي ١٣٠٦هـ، ثم صدرت له طبعات أخرى.

(٤) كتاب الكنى مطبوع في حيدر آباد سنة ١٣٦٠هـ، بتحقيق العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني رحمه الله.

(٥) هو: الإمام الحافظ العلامة الثبت، محدث خراسان محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري الكرابيسي، الحاكم الكبير، تقلد القضاء في مدن كثيرة (ت: ٣٤٥هـ)، مؤلف كتاب "الكنى" في عدة مجلدات، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٦٤/١٢.

٨. القراءة خلف الإمام^(١): من المراجع القيمة للباحثين في تخصص علوم الحديث الشريف على نحو خاص ومعظم الكتابات الفقهية والإسلامية بصفة عامة وكذلك له صلة بالمجالات الأخرى ولاسيما العلوم الفقهية والتفسير، ودراسات السيرة النبوية، والثقافة الإسلامية.

٩. أسامي الصحابة والوحدان^(٢): ذكر فيه الصحابة الذين روي عنهم حديث واحد فقط.

١٠. التفسير الكبير^(٣).

١١. كتاب الهبة^(٤).

١٢. المبسوط^(٥).

١٣. العلل^(٦).

١٥. الفوائد^(٧). إلى غير ذلك من المؤلفات النافعة.

(١) كتاب جزء القراءة خلف الإمام، حققه وعلق عليه الأستاذ فضل الرحمن الثوري، راجعه الأستاذ محمد عطا الله خليف الفوحباني الناشر: المكتبة السلفية، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ.

(٢) ذكره ابن حجر العسقلاني وحاجي خليفة. ينظر: فتح الباري لابن حجر، ١/٤٩٢.

(٣) قال ابن حجر: "ذكره التبريزي"، ولم يذكر أي ابن حجر أحدًا رواه. يُنظر: النكت على صحيح البخاري ويليهِ التجريد على التتقيح (تم فصل التجريد على التتقيح في كتاب مستقل بالمكتبة الشاملة)، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني وأبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج ١، ص ٩٩.

(٤) قال ورّاقه محمد بن أبي حاتم الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (هو مفقود). ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٢/٤١٠.

(٥) كتاب المبسوط (مفقود) صنّفه البخاري قبل الجامع الصحيح وجمع فيه جميع حديثه على الأبواب، ثم نظر إلى أصح الحديث على ما يرسمه فأخرجه بجميع طرقه، ذكره أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي. ينظر: تعليق التعليق على صحيح البخاري لابن حجر، ٥/٤٢٠.

(٦) ذكر ابن منده: كتاب العلل مفقود. فتح الباري لابن حجر، ١/٤٩٢.

(٧) ذكر الترمذي في مسنده كتاب الفوائد مفقود. سنن الترمذي، ٦/٩٧.

المطلب الثالث

أثره ووفاته

أولاً: أثره وثناء العلماء عليه:

لقد كانت مكانة الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري بين علماء الحديث والنقد عالية جداً، حتى أثنوا جميعاً على علمه وتقواه وإخلاصه، فقد كان همه الوحيد طلب العلم ودوام الدراسة، دون طمع في الدنيا، فكانت مؤلفاته مصدر نفع دائم إلى يومنا هذا، ويشهد له بذلك كبار العلماء، من ورعين وحفاظ متقنين، ممن يحرصون على الدقة والتمحيص في نقل الأحاديث.

قال الإمام أحمد بن حنبل: (ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)^(١).

وقال سليم بن مجاهد: (ما رأيت بعيني منذ ستين سنة أفقه ولا أروع ولا أزهد في الدنيا من محمد بن إسماعيل)^(٢).

وقال الترمذي: "كان محمد بن إسماعيل عند عبد الله بن منير، فلما قام من عنده قال: يا أبا عبد الله، جعلك الله زين هذه الأمة. قال أبو عيسى: فاستجيب له"^(٣).

وقال الإمام مسلم للإمام البخاري: (لا يبغضنك إلا حاسد، وأشهد أن ليس في الدنيا مثلك)^(٤).

وقد شوهه الإمام مسلم يأتي إلى البخاري فيقبل ما بين عينيه، ويقول: (دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)^(٥).

(١) تاريخ بغداد الخطيب البغدادي، ٢/٢١، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/٦٨.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢/٢٢٧.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٢/٢٢ - ٢٣، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢/٢١١.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٢/٢٩، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ١/٧٠.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ١/٧٠، وطبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ٢/٢٢٣.

وقال الذهبي: (كان رأساً في الذكاء، رأساً في العلم، ورأساً في الورع والعبادة)^(١).

قال النووي: (ومناقبه لا تستقصى لخروجها عن أن تحصى، ومنقسمة إلى حفظ ودراية، واجتهاد في التحصيل ورواية، ونسك وإفادة، وورع وزهادة، وتحقيق وإتقان وتمكن وعرفان، وأحوال وكرامات من أنواع المكرمات)^(٢).

ثانياً : وفاته رحمه الله:

ترك الإمام البخاري بلده بخارى وتوجه إلى سمرقند، وكان سبب مغادرته، طلب والي بخارى خالد بن أحمد الذهلي حضوره لتعليم أولاده القرآن والحديث، فامتنع البخاري قائلاً: (لا يسعني أن أخص بالسماع قومًا دون قوم آخرين)، واستعان ببعض العلماء في بخارى لنقل المذهب، ثم غادر إلى قرية خَرْتَنَك القريبة من سمرقند، حيث نزل عند أقاربه.

وفي ليلة من الليالي، بعد الانتهاء من صلاة الليل، دعا البخاري قائلاً: (اللهم إنه قد ضاقت علي الأرض بما رحبت فاقبضني إليك)، فما لبث أن قبضه الله تعالى إليه في شهر من أشهر السنة^(٣).

عاش الإمام البخاري رحمه الله اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً^(٤)، وتوفي ليلة السبت عند صلاة العشاء في ليلة عيد الفطر، ودفن بعد صلاة الظهر يوم السبت لغرة شوال سنة ٢٥٦هـ، في خَرْتَنَك، إحدى قرى سمرقند^(٥).

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي، ٥٥٥/٢.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٧٦/١.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٢٢٣/٢.

(٤) المصدر نفسه، ٢١٦/٢.

(٥) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٣٣/٢، وفتح الباري لابن حجر، ٦٨٨، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، ٨٦/١.

وغربت بذلك شمس من أنارت الدنيا بضياؤها الباهر، فوارى التراب حامل
العلوم النبوية وخادم أحاديث رسول الله (ﷺ)، تاركًا أثرًا خالدًا ينير الطريق أمام أمة
الحبيب المصطفى ويهديها الصراط المستقيم.

المبحث الثاني

السيرة الذاتية والعلمية للإمام مسلم (رحمه الله)

المطلب الأول

اسمه ونسبه وولادته ونشأته وأخلاقه وصفاته ووفاته (رحمه الله)

يُعدّ الإمام مسلم بن الحجاج من أبرز أئمة الحديث النبوي الشريف، إذ كرّس حياته لخدمة السنة النبوية جمعًا وتمحيصًا وروايةً. ولا بدّ من التعريف بهذا الإمام الجليل من خلال التعرّف على سيرته العلمية، وشيوخه، وتلامذته، ومؤلفاته؛ لما لذلك من أهمية في بيان مكانته العلمية ومنزلته الرفيعة بين علماء الحديث. فقد كان رحمه الله إمامًا حافظًا وثقةً متقنًا، أسهم إسهامًا كبيرًا في حفظ السنة النبوية، حتى صار كتابه «صحيح مسلم» من أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى وصحيح الإمام البخاري رحمهما الله.

أولًا: اسمه:

هو الإمام الكبير الحافظ الجهد الثقة الحجة الصادق المصنف أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد بن كرشان القشيري النيسابوري، وينتهي نسبه إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي قبيلة كبيرة ينسب إليها كثير من العلماء، فهو عربي الأصل من بني قشير بن كعب بن ربيعة، صاحب (الصحيح)^(١).

(١) ينظر: الكنى والأسماء: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١/١٥، وتاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٥٨/٥٥، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٢/٥٥٨.

ثانيًا: نسبه:

نسب الإمام مسلم بن الحجاج القشيري يعود إلى قبائل العرب القشيرية، وهم من نسل قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي قبيلة كبيرة أنجب منها كثير من العلماء، ومنهم أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري^(١).

ويُعرف الإمام أيضًا بـ"النيسابوري"، نسبة إلى مدينة نيسابور في خراسان^(٢)، وفتح أوله، ويسمى العامة "نشاوور". وتُعدّ نيسابور مدينة عظيمة ذات فضائل جليلة، ومنبع للعلماء والفضلاء، لم أر في البلاد مدينة تضاهيها في مكانتها العلمية والروحية^(٣).

ثالثًا: ولادته

لم يرد تاريخ محدد بالضبط لمولد الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، فقد اختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته، بينما اتفقوا على سنة وفاته.

(١) ينظر: الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢ هـ) تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م، ٥٠١/٤.

(٢) بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزدنوار قصبة جوين وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها إنما هو أطراف حدودها، وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها، وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، ومن الناس من يدخل أعمال خوارزم فيها وبعد ما وراء النهر منها وليس الأمر كذلك، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحا. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦ هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م، ٣٥٠/٢.

(٣) يُنظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣٣١/٥، آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢ هـ)، دار صادر - بيروت، ص ٤٧٣.

الرأي الأول: لم يضبط أحد من الحفاظ مولده أو تقدير عمره، وأجمعوا على أنه ولد بعد المائتين هـ^(١).

الرأي الثاني: قال بعضهم سنة ٢٠١ هـ^(٢).

الرأي الثالث: قال آخرون سنة ٢٠٢ هـ^(٣)، وقيل أيضًا ٢٠٤ هـ، أو ٢٠٦ هـ^(٤). وبالرغم من اختلاف الأقوال، فإن الأرجح هو أنه وُلد سنة ٢٠٦ هـ، وهو ما يرجحه كثرة من المؤرخين، وما من شك في أن ولادته كانت بعد المائتين هـ.

رابعاً: نشأته

نشأ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري في بيت علم وجاه، فقد تربى تربية صالحة ونال علماً كثيراً، مستفيداً من أثر والده الكبير في توجيه الناس وطلب العلم، فكان الحجاج بن مسلم، والده، من ذوي المنزلة العلمية ومشیخة أهل العلم، ومن عادته إرسال أبنائه إلى الكتاتيب لتعلم القرآن وعلومه واللغة العربية والحساب، ولم

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإريلي (ت ٦٨١ هـ)، تحقيق: إحسان عباس دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤، ١٩٥/٥.

(٢) العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة، الكويت، ١٩٨٤ الكويت - ت: المنجد، ٢٩/٢.

(٣) تاريخ الأدب العربي: بروكلمان ونقله للعربية: د. عبد الحليم النجار و د. يعقوب بكر، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨ م، ١٧٩/٣.

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي: ٥٥٨/١٢. وجامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٨٧/١.

يخرج الإمام مسلم (رحمه الله) عن هذا المنهج، فتعلم العلوم الشرعية والحديث على يد المشايخ حتى أصبح أمير المؤمنين في الحديث.

وكان مسلم رحمه الله صاحب تجارة محسن في نيسابور، يملك أموالاً وأملاكاً، وقد حج سنة ٢٠٢ هـ، ولقي خلالها كل من القعنبى^(١)، وطبقته^(٢)، وكان مسكنه في أعلى الزمجار ومتجره في خان محمش، ومعاشه من ضياعه، وقد امتدت ذريته من جهة البنات، وقد وصفه من عرفه بأنه تام القامة، أبيض الرأس واللحية، يرخي طرف عمامته بين كتفيه^(٣).

أما زوجته فكانت بنت عبد الواحد الصفار، وقد ذكر الحاكم أن محمد بن صالح بن هانئ روى عن أحمد بن سلمة قوله: "بكرت يوماً على عبد الرحمن بن بشر في تزويج أخت امرأة مسلم بن الحجاج، فرأيت في المسجد، فقال: ما بك اليوم؟ قلت: عبد الواحد الصفار سألني أن أجيئك لتزوج ابنته. فقال: ما حضرت تزويجاً قط، فإذا كان في وقت قولهم للخاطب

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي المعروف بالقعنبى، كان من أهل المدينة، وأخذ العلم والحديث عن الإمام مالك رضي الله عنه، وهو من جلة أصحابه وفضلائهم وثقاتهم وخيارهم، وهو أحد رواة "الموطأ". وفيات الأعيان، لابن خلكان، ٤٠/٣.

(٢) ينظر: تاريخ دمشق لابن، عساكر، ٩٠/٥٨، العبر في خبر من غير، ٣٧٥/١.

(٣) ينظر: تلخيص تاريخ نيسابور: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥ هـ). تلخيص: أحمد بن محمد بن الحسن بن أحمد المعروف بالخليفة النيسابوري: كتابخانه ابن سينا - طهران، ص ٣٤، وإكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢ هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ١٦٩/١١.

قبلت هذا النكاح، ولها من المهر كذا وكذا. فإذا قال: نعم، قلت في نفسي: شقيت شفاء لا تسعد بعده أبدًا^(١).

خامساً: أخلاقه وصفاته

على الرغم من قلة المصادر التي تناولت حياة الإمام مسلم بن الحجاج القشيري، إلا أنّ مناقبه مشهورة، وصفاته ومآثره معروفة بين العلماء، ومن أبرزها ما يأتي:

- أولاً: التواضع: فكان الإمام مسلم شديد التواضع، ويظهر ذلك في تعامله مع شيخه الإمام البخاري، حيث كان يقف بين يديه كسائر الصبيان المتعلمين، ويقبل بين عينيه^(٢)، قائلاً: (دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في علله)^(٣).
- ثانياً: الجود والسخاء: فأنعم الله عليه بالمال والأموال، وكان من أصحاب الثروة الذين اشتغلوا بالتجارة، إلا أنه لم ييخل على المحتاجين، بل كان من المحسنين في نيسابور، يمدّ يد العون بسخاء وكرم^(٤).
- ثالثاً: الشجاعة والجرأة في الحق: فأثبت الإمام مسلم شجاعته في نصره الحق، فكان يساند شيخه البخاري في المسائل العقدية والفكرية، خصوصاً في مسألة الخوض في لفظ القرآن، حيث نصّ البخاري على أن أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة، في حين كان بعض الأفراد يختلط عليهم الأمر، فظهر موقف مسلم

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٣٤٣/١٢.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ٣٥١/٢، وتهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٧٠/١.

(٣) ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ٦٨/٥٢، وسير أعلام النبلاء، ٤٣٢/١٢.

(٤) ينظر: العبر في خبر من غبر شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ٣٧٥/١.

في دعم الحق وإعلاء المذهب الصحيح، حتى ولو تعرّض للمنع أو الهجر من بعض الناس في نيسابور^(١).

وقد روى أن وقوع خلاف بين محمد بن يحيى الذهلي والبخاري حول مسألة اللفظ والقرآن دفع مسلم لمنع الناس من مخالفة مذهب البخاري، مؤكداً تمسكه بمذهبه القديم والحديث، ولم يتراجع عنه رغم العتاب في العراق والحجاز^(٢).

سادساً: وفاته

توفي الإمام مسلم رحمه الله عشية يوم الأحد، ودُفن يوم الاثنين لخمس بقين من رجب سنة ٢٦١هـ، في رأس ميدان زياد^(٣).

وقال أبو علي الحافظ النيسابوري: (ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم بن الحجاج في علم الحديث)^(٤)، وقد ترك الإمام إرثاً علمياً خالداً، وسيظل كتابه صحيح مسلم منارة للعلماء ومرجعاً للدارسين.

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ٢٦٢/١.

(٢) ينظر: تاريخ بغداد، ١٣/١٠٣.

(٣) ينظر: تلخيص تاريخ نيسابور: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ٣٤/١.

(٤) الأنساب: للسمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م، ٤٢٧/١٠.

المطلب الثاني

السيرة العلمية للإمام مسلم (رحمه الله)

أولاً: شيوخه

كان الإمام مسلم بن الحجاج القشيري كثير الترحال طلباً للعلم، فتعلم على يد عدد هائل من المشايخ في خراسان والحجاز والعراق ومصر والشام، حتى أصبح تتبع شيوخه وحفظ أحاديثهم جانباً رئيسياً من حياته العلمية، ويصعب حصر جميعهم.

قال الإمام النووي^(١): (سمع بخراسان يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهوية وآخرين، وباليمن محمد بن مهران وأبا غسان وآخرين، وبالعراق ابن حنبل وعبد الله بن مسلمة وآخرين، وبالحجاز سعيد بن منصور وأبا مصعب وآخرين، وبمصر عمرو بن سواد وحرملة بن يحيى وآخرين، وخلائق كثيرين روى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظه، وفيهم جماعات في درجته منهم أبو حاتم الرازي وموسى بن هارون وأحمد بن سلمة والترمذي وغيرهم)^(٢).

(١) يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين مفتي الأمة، شيخ الإسلام، محيي الدين، أبو زكريا النواوي، الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد، أحد الأعلام وفي ليلة الأربعاء رابع وعشرين رجب سنة (٦٧٦ هـ)، توفي الشيخ محيي الدين النواوي صاحب التصانيف بنوى، ودفن بها. ينظر: تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، ٣٢٤/١٥.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م، ٣٩٧/٢.

وقال الذهبي^(١): (إن عدد شيوخ الإمام مسلم بلغ ٢١٤ شيخًا، ورأيت بخط حافظ أنه روى في صحيحه عن ٢١٧ شيخًا)^(٢).

وفيما يلي عشرة من أكثر شيوخه سماعًا ورواية عنه، مع بيان عدد ما رواه عن كل منهم، كما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب، مع ترجمة أربعة منهم:

١. أبو بكر ابن أبي شيبة: (١٥٤٠ حديثًا)^(٣).

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، الشيخ الإمام العلامة الحافظ شمس الدين أبو عبد الله الذهبي، حافظ لا يجارى، ولا فظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأبان الإبهام في تواريخهم والإلباس توفي سنة ٤٧٨هـ، ينظر: فوات الوفيات: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ٣/٣١٩.

(٢) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، ٤٣١/٦.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان الكوفي الإمام العلم سيد الحفاظ ولد سنة تسعة وخمسين ومائه وطلب العلم وهو صبي واكبر شيخ له هو شريك بن عبد الله وروى عن أبي الاحوص وابن المبارك وشريك وخلق كثير وروى عنه البخاري ومسلم وابو داود وابن حماد وغيرهم كان ثقة حافظ وقد اتى عليه عدد من أهل عصره، قال أبو عبيد القاسم انتهى العلم إلى أربعة فأبو بكر أسردهم له وأحمد أفقهم فيه ويحيى أجمعهم له وعلي أعلمهم به وقال صالح بن محمد أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني وأعلمهم بتصحيح المشايخ يحيى بن معين وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر بن أبي شيبة وقال ابن خراش سمعت أبا زرعة الرازي يقول (ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة وله مؤلفات كثيرة ما بين مخطوط ومطبوع منها المصنف والتاريخ وكتاب الايمان وكتاب الادب وتفسير بن ابي شيبة وكتاب الاحكام توفي سنة خمس وثلاثين ومائتين في المحرم. ينظر: تاريخ بغداد: ٢٥٩/١١، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م، ١/٥٩٢.

٢. أبو خيثمة زهير بن حرب: (١٢٨١ حديثاً)^(١).
٣. محمد بن المثنى الملقب الزمن: (٧٧٢ حديثاً)^(٢).
٤. قتيبة بن سعيد: (٦٦٨ حديثاً)^(٣).

(١) زهير بن حرب بن شداد الحرشي أبو خيثمة النسائي نزيل بغداد مولى بني الحريش بن كعب، وروى عن عبد الله بن إدريس وابن عيينة وحفص بن غياث وحמיד، وغيرهم كان أبو خيثمة حجة في الرجال قال ما كان أحسن علمه وقال النسائي ثقة مأمون وقال الحسين بن فهم ثقة ثبت وقال أبو بكر الخطيب كان ثقة ثبناً حافظاً متقناً وله كتاب مخطوط اسمه (العلم) موجود في المكتبة الظاهرية، قال محمد بن عبد الله الحضرمي وغيره مات سنة ٢٣٤" وقال ابنه أبو بكر ولد أبي سنة ١٦٠٠ ومات ليلة الخميس لسبع خلون من شعبان وهو ابن ٧٤ سنة. ينظر: تاريخ بغداد : ٨٢٣/٥، إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ٨٣/٥.

(٢) محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار العنزي أبو موسى البصري الحافظ المعروف بالزمن روى عن عبد الله بن إدريس وأبي معاوية وخالد بن الحارث ويزيد بن زريع وحسين بن حسن البصري ومعتمر وحفص بن غياث وغيرهم، وروى النسائي أيضاً عن زكريا السجزي عنه وأبو زرعة وأبو حاتم والذهلي وبقي بن مخلد وزكريا الساجي وابن أبي الدنيا وأبو خراش وغيرهم قال عبد الله بن أحمد عن بن معين ثقة وقال أبو سعد الهروي سألت الذهلي عنه فقال حجة، ولد سنة سبع وستين ومائة ومات سنة اثنتين وخمسين ومائتين في ذي القعدة ويقال مات سنة إحدى وخمسين ويقال سنة خمسين. يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزى (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ٣٥٩/٢٦، وتاريخ الاسلام، ٣٥٩/٦.

(٣) قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف بن عبد الله الثقفي من قرى بلخ قال بن عدي اسمه يحيى وقتيبة لقب وقال بن مندة اسمه علي روى عن مالك والليث وابن لهيعة ورشدين بن سعد وداود بن عبد الرحمن العطار وخلف بن خليفة وعبد الرحمن بن أبي الموالي ويكر بن مضر وحفص بن غياث وجريز بن عبد الحميد وحמיד بن عبد الرحمن الرواسي وغيرهم روى عنه الجماعة سوى بن ماجة وروى له الترمذي أيضاً وابن ماجة بواسطة أحمد بن حنبل وأحمد بن سعيد الدارمي وأبي بكر بن أبي شيبة ومحمد بن يحيى الذهلي، وقال بن معين وأبو حاتم والنسائي ثقة زاد النسائي صدوق توفي لليلتين خلتا من شعبان سنة أربعين ومائتين. سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٣/١١، تهذيب الكمال، للمزي، ٥٢٣/٢٣.

٥. أبو كريب محمد بن العلاء ابن كريب: ٥٥٦ حديثاً^(١).
٦. محمد بن بشار الملقب بندارا: ٤٦٠ حديثاً^(٢).
٧. محمد بن رافع النيسابوري: ٣٦٢ حديثاً^(٣).
٨. محمد بن حاتم الملقب السمين: ٣٠٠ حديثاً^(٤).
٩. علي بن حجر السعدي: ١٨٨ حديثاً^(٥).

تلمذته على الإمام البخاري:

كان الإمام مسلم بن الحجاج القشيري من أبرز تلاميذ الإمام البخاري، وقد حظي منه بفضل كبير في تعلم علوم الحديث، والعلل، والنقد، وعلوم السند، إلى جانب إتقان الرواية والضبط. وقد التقى مسلم بالبخاري في نيسابور، وحرص على ملازمته والاستفادة من علمه الجليل، يقول الخطيب البغدادي: (إنما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم وأدام الاختلاف إليه)^(٦).

(١) تهذيب الكمال، للمزي، ٢٤٣/٢٦.

(٢) ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ٤٩٠/٣، وتهذيب الكمال، ٤٢٧/٣٤.

(٣) سير السلف الصالحين: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض: ١١٨٦.

(٤) لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة دار البشائر الإسلامية، ط ١، ٢٠٠٢م: ٤٠٣/٩، موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله مجموعة من المؤلفين الدكتور محمد مهدي المسلمي، أشرف منصور عبد الرحمن وآخرون، عالم الكتب للنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٨٠/١.

(٥) تهذيب الكمال، للمزي، ٣٥٥/٢٠، وتاريخ الاسلام للذهبي، ١١٨٦/٥.

(٦) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ١٢٤/١٥.

وقد بقي مسلم ملازمًا للبخاري مدة من الزمن، متتبعًا أثره، حتى قال الدارقطني^(١): (لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء)^(٢).

وعلى الرغم من تلمذ مسلم للبخاري وأخذ العلم منه، لم يرو عنه في صحيحه أي حديث^(٣)، ويُرجح لذلك سببان، هما:

١. الرغبة في علو الإسناد: فمسلم شارك البخاري في كثير من شيوخه،

فحرص على أن تكون روايته مستقلة وذات سند رفيع.

٢. حرصه على تجريد الصحيح: إذ كان مسلم شديد الحرص على فصل

الصحيح عن غيره، وعدم المزج بين الضعيف والصحيح، فوجد في

جمع البخاري ما يكفيه دون الحاجة للرجوع إليه في صحيحه، مع

الحفاظ على شدة الاحتياط والدقة^(٤).

ويذكر أن مسلم كان يقدم للبخاري كل الاحترام والتقدير، فقد قال عند لقائه:

(دعني حتى أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين، وسيد المحدثين، وطبيب الحديث في
عقله)^(٥).

(١) علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله، أبو الحسن البغدادي الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، الحافظ المشهور صاحب المصنفات. سمع من أبي القاسم البغوي، وأبي بكر بن أبي داود حدث عنه أبو حامد الإسفراييني الفقيه، وأبو عبد الله الحاكم. ينظر: تاريخ الاسلام، للذهبي، ٥٧٦/٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ١٢١/١٥.

(٣) ينظر: فقه الدعوة في صحيح مسلم علي إبراهيم النعمة، طبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ٣٦.

(٤) ينظر: مسلم بن الحجاج صاحب المسند ومحدث الاسلام الكبير مشهور حسن محمود سلمان، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ٨٣٨٢.

(٥) ينظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ١٢١/١٥.

وكان مسلم يتعلم من البخاري ويشهد له بالتفرد في العلم والمعرفة، وقد أبانت قصتهما حرص التلميذ على الاستفادة من شيخه إلى أقصى حد، حتى أنه عندما أبدى البخاري ترددًا في الإجابة، اقترب منه مسلم وقبل رأسه تقريبًا باكيًا من شدة الحرص على الانتفاع بعلمه، ويشهد مسلم له بالفضل والعلو العلمي، فقد قال: (لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك)^(١).

وهذه القصة تعكس مدى التواضع والحرص العلمي للإمام مسلم، وحرصه على الاستفادة من علم شيخه بأقصى درجات الاحترام والتقدير^(٢).

ثانيًا: تلاميذه

تلقى الكثير من الطلاب العلم على يد الإمام مسلم بن الحجاج، ومنهم ما يأتي:

١. إبراهيم بن أبي طالب النيسابوري المزكي (ت ٢٩١ - ٣٠٠ هـ)^(٣).

(١) النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٢٨٦/١.

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٤٣٧/١٢.

(٣) إبراهيم بن أبي طالب محمد بن نوح بن عبد الله بن خالد، أبو إسحاق النيسابوري المزكي الزاهد الحافظ (ت ٢٩١ - ٣٠٠ هـ)، إمام عصره بنيسابور في معرفة الحديث والرجال، قاله الحاكم. ثم قال: جمع الشيوخ والعلل، وسمع بنيسابور: إسحاق بن إبراهيم، وأبا قدامة، وعمرو بن زرارة، والحسين ابن الضحاك، وعبد الله بن الجراح وعبد الله بن عمر بن الرماح، ومحمد بن أبان البلخي، وأقرانهم، وبالري: محمد بن مهران ومحمد بن عمرو زنيج، ومحمد بن حميد، وأقرانهم. ودخل على أحمد بن حنبل، وذاكره واحتال في أخذ حكايات من لفظه، ولم يقدر على المسانيد. يُنظر: سير أعلام النبلاء: ٥٤٧/١٣، والذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور إحسان عباس الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي، تونس، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م، ١١٠/٤.

٢. إبراهيم بن محمد بن سفيان النيسابوري (ت: ٣٠٨هـ) (١).
٣. أحمد بن حمدون الأعمشي (ت: ٣٢١هـ) (٢).
٤. أحمد بن سلمة النيسابوري (ت: ٢٨٦هـ) (٣).
٥. الحسين بن محمد بن زياد القباني أبو علي النيسابوري (٤).
٦. محمد بن اسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي (٥).

(١) إبراهيم بن محمد بن سفيان أبو اسحاق النيسابوري : الفقيه الزاهد. (ت: ٣٠٨ هـ) سمع من: مسلم بن الحجاج وقال الحاكم: كان من العباد المجتهدين الملازمين لمسلم، الفقيه الزاهد أحد أصحاب أيوب بن الحسن الزاهد كان مجاب الدعوة كثير الملازمة لمسلم، مات في شهر رجب. ينظر تاريخ الإسلام، للذهبي: ١٣٠/٧. وتاريخ الإسلام للذهبي: ١٣٠/٧. والوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ٨٤/٦.

(٢) أحمد بن حمدون أحمد بن حمدون بن أحمد الإمام الحافظ، الثبت، المصنف، أبو حامد أحمد بن حمدون بن أحمد بن عمارة بن رستم النيسابوري، الأعمشي، لقب ببغداد بالأعمشي لحفظه حديث الأعمش، واعتنائه به سمع محمد بن رافع، وإسحاق بن منصور، وعلي بن خشرم، والزعفراني، روى عنه: أبو الوليد الفقيه، وأبو علي الحافظ، وعبد الله بن سعد، وأبو إسحاق المزكي، وأبو سهل الصعلوكي، وأبو أحمد الحاكم، ويحيى بن إسماعيل الحراني، وآخرون. يُنظر: سير أعلام النبلاء، ٥٥٣/١٤، وتذكرة الحفاظ، ١٩/٣.

(٣) أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النيسابوري: البزاز المُعَدِّلُ الحَافِظُ رفيق مُسلم في الرحلة إلى قتيبة وإلى البصرة. ثم جمع له مسلم الصحيح على كتابه سَمِعَ: قتيبة وابن راهويه، ومحمد بن مهران، وأبا كريب، ومحمد بن حميد، وعبد الله بن معاوية، وعثمان بن أبي شيبة، وأحمد بن منيع، وطبقتهم فأكثر. رَوَى عَنْهُ: ابن وارة، وأبو زرعة، وأبو حاتم وهم أكبر منه، وأبو حامد ابن الشرقي الحافظ، ويحيى بن منصور القاضي وسليمان بن محمد بن ناجية، وعلي ابن عيسى، وأبو الفضل محمد بن إبراهيم الهاشمي وطائفة.. تُؤْفَى في غُرة جُمَادَى الآخرة سنة مائتين وست وثمانين. يُنظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، ١٨٩/٥، وتاريخ الإسلام، ٦٧٤/٦.

(٤) تاريخ الإسلام، ٣٠٢/٥، وسير أعلام النبلاء، ٣٧٣/١٣.

(٥) ميزان الاعتدال، ٩/٤، ولسان الميزان، ٤٤٧/٧.

٧. محمد بن اسحاق بن مهران أبو العباس الثقفي مولا هم النيسابوري^(١).
٨. محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله السرخسي أبو العباس الدغولي^(٢).
٩. محمد بن عيسى بن سورة السلمي الضرير أبو العباس الترمذي^(٣).
١٠. محمد بن النضر بن سلمه بن الجارود بن زيد أبو بكر الجارودي النيسابوري^(٤).

ثالثاً: مؤلفاته

صنف الإمام مسلم عدد كثيراً من المؤلفات وخاصة في علم الحديث النبوي وذلك حفاظاً على سنة النبي (ﷺ) من التحريف والتزييف والكذب والزور والبهتان ومن كيد الكائدين، وقد استفاد من أتى من هذه المؤلفات التي احتوت على علم جليل وغزير، ولو لم يؤلف إلا الجامع الصحيح (المسند المختصر بنقل العدل عن عدل رسول الله (ﷺ)) لكان كافياً وقد اشتهر بكتابه الشهير صحيح مسلم الذي يعتبر من أهم كتب الحديث في الإسلام والإمام مسلم من المحدثين العلماء بالحديث.

ومن أهم ما صنف الإمام رحمه الله ما يأتي:

١. كتاب المسند الكبير على أسماء الرجال.

٢. كتاب الجامع الكبير على الأبواب.

٣. كتاب العلل.

٤. كتاب أوهم المحدثين.

٥. كتاب التمييز.

(١) تاريخ بغداد، ٧٢/٢، وميزان الاعتدال، ٣٧٨/٣.

(٢) تاريخ الإسلام، ٢٣١/١٩، والأعلام، للزركلي، ٢٩٣/١.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان، ٢٧٨/٤، وتهذيب الكمال المزي، ١٢٥٤.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤٥١/١٣، وإكمال تهذيب الكمال: مغلطاي الحنفي، ٣٧٥/١٠.

٦. كتاب من ليس له إلا راوٍ واحد.
٧. كتاب طبقات التابعين.
٨. كتاب المخضرمين، ذكر هذه الكتب الإمام النووي^(١).
٩. كتاب الأسماء، والكنى.
١٠. كتاب الاوحد.
١١. كتاب المفرد.
١٢. كتاب التاريخ. وقد ذكرها ابن النديم^(٢).
١٣. كتاب الاقران.
١٤. كتاب سؤالاته أحمد بن حنبل.
١٥. كتاب حديث عمرو بن شعيب.
١٦. كتاب الانتفاع بأهـب السباع.
١٧. كتاب مشايخ مالك.
١٨. كتاب مشايخ الثوري.
١٩. كتاب مشايخ شعبة.
٢٠. كتاب أولاد الصحابة.
٢١. كتاب التمييز.
٢٢. كتاب وهام المحدثين.
٢٣. كتاب أفراد الشاميين^(٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات أبو زكريا النووي، ٣٩٧/٢.

(٢) الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم: أبو الفرج محمد

بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨ هـ)، ص ٢٨٦.

(٣) سير أعلام النبلاء، ٥٧٩/١٢.

رابعاً: رحلته في طلب العلم:

بدأ الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رحلته العلمية في سن مبكرة، حيث لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فانتقل بين البلاد الإسلامية طلباً للعلم وبحثاً عن كبار الشيوخ والمحدثين، وقد جاب الحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها من المدن التي كانت تعتني بالسنة النبوية الشريفة.

وتضمن ترحاله زيارة مدن بارزة منها مكة المكرمة والمدينة المنورة والكوفة وبغداد والشام ومصر، حيث استمع إلى الأحاديث من الرواة المعتبرين وسجلها بدقة بالغة، وكان سبب ترحاله الدائم هو طلب الحديث الشريف وفهمه ودوام متابعة متونه وأسانيده.

وقد بدأ سماع الحديث منذ سنة ٢١٨هـ، أي حين كان عمره نحو اثنتي عشرة سنة، كما ذكر الإمام الذهبي: (وأول سماعه في سنة ثمانية عشر) أي ٢١٨هـ على أصح الأقوال^(١).

وخلال رحلاته، سمع الإمام مسلم من عدد كبير من كبار الشيوخ، منهم^(٢):
في خراسان: يحيى بن يحيى، إسحاق بن راهوية، وآخرون.
في الري: محمد بن مهران، وأبا غسان، وآخرون.
في العراق: أحمد بن حنبل، عبد الله بن مسلمة، وآخرون.
في الحجاز: سعيد بن منصور، أبا مصعب، وآخرون.
في مصر: عمرو بن سواد، حرملة بن يحيى، وآخرون.
وقد روى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفاظه، وفيهم من بلغ درجته العلمية، مثل: أبو حاتم الرازي، موسى بن هارون، أحمد بن سلمة، والترمذي وغيرهم^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء ، ٥٥٨/١٢.

(٢) ينظر تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٩١/٢.

(٣) المصدر نفسه، ٩١/٢.

وهذا الترحال الدائم عزز من حصيلته العلمية، وعمّق فهمه للحديث وعلومه، وجعل منه واحدًا من أعظم المحدثين في تاريخ الأمة الإسلامية.

خامساً: مكانته وثناء العلماء عليه

لقد حظي الإمام مسلم بن الحجاج القشيري بتقدير بالغ من قبل علماء الحديث والنقد، وأجمعوا على جلال مكانته، ووصفوه بأنه من أئمة الإسلام البارزين، وحافظًا متقنًا للحديث، وصاحب الصحيح، ومن هؤلاء ما يأتي:

١. قال شيخه محمد بن عبد الوهاب الفراء: (كان مسلم من علماء الناس وأوعية العلم)^(١).

٢. قال ابن عقدة: (قلما يقع الغلط في مسلم في الرجال لأنه كتب الحديث على وجهه)^(٢).

٣. قال إسحاق الكوسج: (لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين)^(٣).

٤. قال أبو قريش الحافظ: سمعت محمد بن بشار يقول: (حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالري، ومسلم بالنيسابور، وعبد الله الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل البخاري)^(٤).

٥. قال الشيخ عبد العزيز الدهلوي: (من عجائبه أنه ما اغتاب أحدًا ولا ضرب ولا شتم)^(٥).

(١) تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، ١٢٧/١٠.

(٢) المصدر نفسه، ١٢٨/١٠.

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٦٣/١٢.

(٤) المصدر نفسه، ٥٦٤/١٢.

(٥) بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين: عبد العزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي (١١٥٩ هـ / ١٢٣٩ م)، نقله من الفارسية إلى العربية واعتنى به د محمد أكرم الندوي، قدم له العلامة: أبو الحسن علي الحسن الندوي دار الغرب الإسلامي، ٧٧.

٦. قال أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم الحافظ: (إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال: محمد بن يحيى، ومسلم بن الحجاج، وإبراهيم بن أبي طالب)^(١).

٧. قال الخطيب البغدادي: (أحد الأئمة من حفاظ الحديث)^(٢).

٨. وقال النووي: (إن مسلماً رحمه الله أحد أعلام أئمة هذا الشأن، وكبار المبرزين فيه، وأهل الحفظ والإتقان)^(٣).

سادساً: عقيدته ومذهبه

كان الإمام مسلم من أئمة أهل السنة والجماعة في الاعتقاد، ملتزماً بمذهب شيخه البخاري رحمه الله، ومؤازراً له في الحق دائماً، حتى حين وقع خلاف بين البخاري ومحمد بن يحيى الذهلي في مسألة اللفظ، حيث نادى على تلاميذه ومنع الاختلاف إلى الذهلي، ولم يتخلف عن زيارة شيخه رغم الاعتراضات، مؤكداً تمسكه بمذهب البخاري قديماً وحديثاً^(٤).

ويتضح من ذلك أن الإمام مسلم كان يسير على خطى شيخه في المذهب والمعتقد، محافظاً على منهج أهل السنة والجماعة، الذين اتبعوا الرأي السديد والمنهج الصادق المنقول عن الرسول (ﷺ)، دون انحراف أو تهاون.

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي، ٥٦٥/١٢.

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ١٢١/١٥.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، ٣٩٧/٢.

(٤) ينظر: الكنى والأسماء مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م: ١٧/١، وتاريخ بغداد الخطيب البغدادي: ١٢١/١٥.

المبحث الثالث

التعريف بالصحيحين وبيان مكانتهما وأهميتهما العلمية

المطلب الأول: مكانة صحيح البخاري وأهميته العلمية

أولاً: التعريف بكتاب صحيح البخاري ومكانته العلمية

١. اسم الكتاب:

اشتهر بين عامة المسلمين أن كتاب البخاري سمي بـ (صحيح البخاري) وذهبت التسمية وصارت علماً عليه فهل أراد له مؤلفه هذه التسمية؟ ذكر الإمام النووي تسمية الكاملة لكتاب صحيح البخاري بـ (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)^(١). وذكر الإمام ابن حجر تسمية أخرى للكتاب وهي (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)^(٢).

٢. وصف الكتاب:

يُعدّ الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) أصحّ كتاب بعد القرآن الكريم، وقد حظي بمنزلة كبيرة ورفيعة بين أهل الحديث خاصة وبين أهل الفقه عامة، واجمعوا على أنه أصح كتاب بعد القرآن الكريم، حتى قال الإمام النووي: (اتَّفَقَ العلماء على أنّ أصحّ الكتب بعد القرآن الكريم الصحيحان، وأصحّهما صحيح البخاري)^(٣).

(١) شرح النووي، ص ٧

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، ص ٤٩١، وينظر: مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري «عرض ودراسة»، يوسف بن حمود حوشان الحوشان، رسالة: ماجستير في العقيدة، جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: أ. د. عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز، العام الجامعي: ١٤١٧ هـ - ١٤١٨ هـ، ص ٤٢.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا النووي، ١/٤١٤.

٣. نسبته للمؤلف:

لم يرد شك عند علماء الأمة في نسبة كتاب صحيح البخاري لمصنفه محمد بن إسماعيل البخاري، وإن ذلك مثبت في عدة جوانب منها: أنه سمعه جمعا كثيرا من الناس من الامام البخاري نفسه يصل عددهم إلى أكثر من عشرة الألف رجل.

وكذلك تواترت نسبة هذا الكتاب على مدى القرون أنه من تصنيف الإمام البخاري. واستفاضته وشهرته بين العلماء ما يثبت نسبته لمؤلفه، وكذلك عزو الكتاب إلى مصنفه في المخطوطات الموجودة للكتاب.

٤. سبب تأليفه:

لقد كان الدافع وراء تأليف صحيح البخاري ما سمعه وهو شاب في طلب العلم في مجلس الإمام إسحاق بن راهويه، حين قال لهم: "لو جمعتم كتابا مختصرا لسنن النبي (ﷺ) وقع هذا الكلام في قلب البخاري فبدأ بجمع كتابه، وقد ساعده على ذلك أيضا ما رآه في رؤياه، إذ حلم كأنه واقف بين يدي رسول الله (ﷺ) وبيده مروحة يذب بها عنه، فسأل بعض المعبرين عن الرؤيا فقالوا له: (إنك تذب عنه الكذب)، فكانت هذه الرؤيا سببا معنويا وحافزا قويا له لإخراج صحيح البخاري^(١).

٥. عدد الأحاديث الموجودة فيه:

قد حرّر الحافظ ابن حجر عدد الأحاديث المرفوعة في صحيح البخاري والمعلقة وأوضح ذلك في مقدمة الفتح إجمالا وتفصيلا وإليك خلاصة ما انتهى إليه في ذلك على سبيل الإجمال^(٢):

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ٨/٢، شرح النووي، ص ٧.

(٢) الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الثانية - العدد الرابع ربيع الثاني ١٣٩٠ هـ، ص ٤١.

١. عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بما فيها المكررة ٧٣٩٧ حديثاً.
٢. عدد الأحاديث المرفوعة المعلقة بما فيها المكررة ١٣٤١ حديثاً.
٣. عدد ما فيه من المتابعات والتتبيه على اختلاف الروايات ٣٤٤ حديثاً.
٤. عدد ما فيه من الموصول والمعلق والمتابعات المرفوعة بالمكررة ٩٠٨٢ حديثاً.
٥. عدد الأحاديث المرفوعة الموصولة بدون تكرار ٢٦٠٢ حديثاً.
٦. عدد الأحاديث المعلقة بدون تكرار ١٥٩ حديثاً.
٧. عدد الأحاديث المرفوعة موصولة أو معلقة بدون تكرار ٢٧٦١ حديثاً.

ثانياً: مكانة صحيح البخاري وأهميته بين الكتب واهتمام العلماء فيه وأقوالهم عليه

إنّ لكتاب صحيح الامام البخاري مكانة كبيرة عظيمة جليلة في الأمة؛ فهم يعدونه أصح كتاب بعد (القرآن الكريم) وجد على الأرض، وقد بين جملة من أهل العلم مكانة هذا الكتاب، ومنهم ابن حجر رحمه الله تعالى، فقد قال في مقدمة فتح الباري عن الإسماعيلي رحمه الله تعالى^(١) أنه قال: (فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى فرأيتَه جامعاً كما سمي لكثير من السنن الصحيحة، ودالاً على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث نقلته، والعلم بالروايات وعللها، علماً بالفقه واللغة وتمكناً منها كلها وتبحراً فيها، وقد نحا نحوه في التصنيف جماعة، غير أن أحداً منهم لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله، ولا تسبب إلى استنباط المعاني

(١) هو: محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري، أبو بكر المعروف بالإسماعيلي (ت ٢٩٥هـ): من حفاظ الحديث، ثقة. يُنظر: الاعلام للزركشي، ٣٥/٦.

واستخراج لطائف فقه الحديث، وتراجم الأبواب الدالة على ما له وصلة بالحديث المروي فيه تسببه، والله الفضل يختص به من يشاء^(١).

وقال الدارقطني رحمه الله تعالى : (لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء)^(٢).
وقال أبو جعفر محمود بن عمرو العقيلي : (لما أُلّف البخاري كتاب الصحيح عرضه على أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلى ابن المديني وغيرهم، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة إلا في أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة)^(٣).

وقد اهتمّ العلماء بكتاب البخاري من جميع جوانبه: شرحاً، وضبطاً، ودراسةً لرجاله، واستنباطاً لأحكامه، ومن أبرز جهودهم في دراسة رجال صحيح البخاري ما يلي^(٤):

- ابن عدي في كتابه أسامي من روى عنه البخاري.
- الدارقطني في كتابه ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممن صحت روايته من الثقات عند محمد بن إسماعيل البخاري.
- الباجي المالكي في كتابه التعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الجامع الصحيح.
- الصاغاني في كتابه أسامي شيوخ البخاري.
- العجلوني في كتابه المجتبى في معرفة أسماء من ذكرهم البخاري بالأنساب والألقاب والكنى.

(١) فتح الباري لابن حجر، ١/١١

(٢) جامع الاصول لابن الأثير، ١/١٨٨.

(٣) فتح الباري لابن حجر، ١/٧.

(٤) يُنظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال للذهبي، ١/٥٨.

المطلب الثاني

مكانة صحيح مسلم وأهميته العلمية

أولاً: التعريف بكتاب صحيح مسلم ومكانته العلمية

١. اسم الكتاب:

لم يشتهر اسم كتاب مسلم (رحمه الله) كما اشتهر غيره، بل غلب وصفه الصحيح على اسمه العلمي، حتى إنه خلت منه معظم النسخ، والشروح، ولم يذكره الناقلون عنه، ومعظم المترجمون له، بل يقتصرون على وصفه بـ"الصحيح"^(١). لكن نجد عبارات العلماء في تسمية كتاب مسلم وانقسموا فيها إلى ثلاثة آراء:

• **الرأي الأول:** اسمه الجامع، أورده صاحب كشف الظنون في حرف الجيم وعبر عنه بالجامع وكذا غيره في غيره من أهل الحديث وقال المجد صاحب القاموس عند ختمه لصحيح مسلم: (قُرأت بحمد الله جامع مسلم)^(٢).

• **الرأي الثاني:** اسمه المسند الصحيح، وقد أخذت هذه التسمية من قول الإمام مسلم نفسه، حيث قال مسلم رحمه الله: (صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة)^(٣).

• **الرأي الثالث:** أسمه الصحيح، وينسب إلى مؤلفه فيقال: صحيح مسلم وهذا ما نجده عند الكثير من العلماء فغالبا ما يطلقون على كتابه لفظة صحيح مسلم،

(١) يُنظر: فوائد المستخرجات من خلال مسند أبي عوانة، نايف بن ناصر المنصور، رسالة ماجستير في الحديث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، إشراف: عزت روبي الجرحي، العام الجامعي ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص ٢٨.

(٢) يُنظر: المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج ١، ص ٩.

(٣) يُنظر: البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، جلال الدين أبو الفضل السيوطي، تحقيق ودراسة: أبي أنس أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، أصل الكتاب: رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، مكتبة الغرباء الأثرية، الطبعة الأولى، ص ٢.

قَالَ النَّوَوِيُّ^(١): (وَمَنْ حَقَّقَ نَظْرَهُ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَاطَّلَعَ عَلَى مَا أَوْدَعَهُ فِيهِ عِلْمٌ أَنَّهُ إِمَامٌ لَا يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ عَصْرِهِ وَقَلٌّ مِنْ يَسَاوِيهِ بَلْ يَدَانِيهِ مِنْ أَهْلِ وَقْتِهِ وَدَهْرِهِ).

٢. وصف الكتاب:

هو كتاب جامع في أحاديث النبي (ﷺ)، واقتصر مؤلفه على ما صح، وتجنب الضعيف، ولا يعتني بذكر الموقوفات، والمقطوعات، وأقوال العلماء، وآرائهم الفقهية وإن كان بعض ذا قد يأتي بِقِلَّةٍ لِعِلَّةٍ، وقد ابتدأ كتابه بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه، وطريقته...، ثم ذكر مسائل في علوم الحديث، ثم أورد بعد المقدمة كتاب الإيمان ثم الطهارة، فالحيض، فالصلاة، فالمساجد، فصلاة المسافرين، فالجمعة، فالعيدين، فالاستسقاء، فالكسوف، فالجنائز، فالزكاة، فالصيام، فالاعتكاف، فالحج، فالنكاح، فالرضاع، فالطلاق، فاللعان، فالعتق، فالبيوع، فالمساقاة، فالفرائض، فالهبات، فالوصية، فالنذر، فالإيمان، فالقسامة والمحاريب والقصاص والديات، فالحدود، فالأقضية، فاللقطة، فالجهاد والسير، فالإمارة، فالصيد والذبائح، فالأضاحي، فالأشربة، فاللباس والزينة، فالآداب، فالسلام، فالألفاظ من الأدب، فالشعر، فالرؤيا، فالفضائل، ففضائل الصحابة، فالبر والصلة، فالقدر، فالعلم، فالذكر والدعاء، فالتوبة، فصفة المنافقين، فالقيامة، وصفة الجنة والنار، فالفتن وأشرار الساعة، فالزهد والرقائق، فالتفسير^(٢).

(١) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ هـ، ج ١، ص ١١.

(٢) يُنظر: المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (أبو عوانة)، (المقدمة)، ص ٢٠٦.

٣. نسبته للمؤلف:

لا شك أن الكتاب ينسب إلى الإمام مسلم وهذا ما صرح به جمع غفير من العلماء الذين اعتنوا بالحديث النبوي، وكذلك ما ورد في مقدمة صحيحه^(١).

٤. سبب تأليفه:

من المعروف أن العلوم تنشأ نتيجة الحاجة البشرية إليها، فكلما جدت الحاجة في أمر نهض من العلماء المختصين من يقوم بهذه المهمة، فصنف الإمام مسلم كتابه الصحيح حفاظاً على سنة رسول الله (ﷺ)؛ لأنها مصدراً تشريعياً، وقد صرح بذلك في مقدمة صحيحه^(٢) لطلب بعض أصحابه، فوضع هذا الكتاب ليكون بين أيدي الناس حتى يصونهم عن القصاص وجهلة المتصوفة، الذين كانوا يشغلون الناس بالمناكير و يتركون الأخبار الصحيحة، فأراد الإمام مسلم (رحمه الله) أن يحارب الخطأ بإيجاد الصواب فجمع رحمه الله طائفة من الأحاديث الصحيحة المتصلة إلى رسول الله (ﷺ) المشتملة على أحكام الدين وسننه^(٣).

(١) يُنظر: الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ، أحمد بن طاهر الداني الأندلسي، تحقيق: أبو عبد الباري رضا بو شامة الجزائري (ج ١-٣)، عبد الباري عبد الحميد (ج ٤-٥)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج ١، ص ٢٦٣. والمُعْلَم بفوائد مسلم، محمد بن علي التميمي المازري المالكي، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات بيت الحكم، ج ١، ص ١٥٧. والتحرير في شرح مسلم (قطعة تمثل النصف الثاني من الكتاب)، إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق: إبراهيم أيت باخة، دار أسفار، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص ٦٥.

(٢) يُنظر: صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م، ج ١، ص ٣-٨.

(٣) يُنظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣-٨.

٥. عدد الأحاديث الموجودة فيه:

الأحاديث فقد وقع فيها الاختلاف قديماً وحديثاً لاختلافهم في عدد أحاديث الأصول دون المكررات، واختلافهم في عدد المكررات بالمتابعات والشواهد، ولكنها بعد الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي بلغت (٣٠٣٣) من غير المكررات، وقال النووي رحمه الله: (إنها بإسقاط المكرر نحو أربعة آلاف حديث)^(١).

وفي عددها اختلاف يطول ذكره، إلا أن مشهور حسن سلمان جمع بين هذه الاختلافات، فقال ما ملخصه: إن عدد أحاديث صحيح مسلم بأصوله ومتابعاته وشواهد ومقدمته بلغت: (٧٣٩٥) حديثاً^(٢).

وقد ذكر محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي من قام بشرح صحيح مسلم، فقال: ما ذكر من عدد أحاديث صحيح مسلم، فلم أر من قام بتحريره حق قيام، بل اختلفوا فيه اختلافاً شديداً،... وبالجمله فالكتاب يحتاج إلى متخصص بعلم الحديث والخبرة الفتيّة. والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب^(٣).

ثانياً: مكانة صحيح مسلم وأهميته بين الكتب واهتمام العلماء فيه وأقوالهم عليه

إنّ لكتاب صحيح الإمام مسلم مكانة عظيمة للأمة الإسلامية وهو أفضل من صنف في جمع الحديث النبوي بعد كتاب صحيح الإمام البخاري، فكلا الكتابين

(١) يُنظر: إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق (ﷺ)، محيي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق وتخريج ودراسة: عبد الباري فتح الله السلفي، أصل التحقيق: رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج ١، ص ١٢١.

(٢) ينظر: الإمام مسلم صاحب المسند الصحيح، مشهور حسن سلمان، دار القلم، دمشق، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٣) قرّة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، ١/٥٣.

يُعدّان من أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وقد أجمعت الأمة على صحة ما جاء فيهما من أحاديث وتلقت الأمة هذين الكتابين بالقبول والرضى، وعلى موثوقية أسلوب الإمامين في جمع الأحاديث وضبط أسانيدها، حتى قال العلماء ومنهم النووي إلى أنهما يمثلان القمة في التصنيف الحديثي من حيث الصحة والدقة^(١).

وقد اعتنى الكثير من العلماء بصحيح مسلم عنايةً كبيرة ودقيقة، سواء من حيث المنهج والضبط والترتيب والشرح أو من حيث دراسة رجاله وأسانيده من حيث العدالة والضبط، ومن أبرز المؤلفات التي تناولت رجال صحيح مسلم كتاب (رجال صحيح مسلم) لابن منجويه، وهو من أقدم وأشمل ما ألّف في هذا الباب، وقد رتب ابن منجويه تراجم الرواة على حروف المعجم، مبتدئاً بمن اسمه أحمد تبرّكاً باسم النبي (ﷺ)^(٢).

كما ذكر في كل ترجمة اسم الراوي ونسبه وكنيته ونسبته، وسنتي مولده ووفاته، وشيوخه، والأبواب التي وردت فيها روايته في صحيح مسلم. كما أورد أحياناً حديثاً له أو من روى عنه، دون أن يتعرّض للجرح والتعديل، لأن غرضه كان الفهرسة والتوثيق لا النقد^(٣).

أشهر أقوال العلماء في صحيح مسلم (رحمه الله):

١. قال النيسابوري (رحمه الله): (ما تحت أديم السماء كتابٌ أصحّ من كتاب مسلم)^(٤)، ولكن الصحيح الذي اتفق عليه جمهور العلماء أن صحيح البخاري أصح من صحيح مسلم. رحمهما الله.

(١) يُنظر: الأربعون النووية، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ص ٤٧.
(٢) يُنظر: رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه (ت ٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ٣٠/١.

(٣) يُنظر: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الذهبي، ٥٨/١.

(٤) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ١٢ / ٥٦٦.

٢. قال أحمد بن سلمة (رحمه الله): (رأيت أبا زرعة و أبا حاتم يقدمان مسلماً في معرفة الصحيح على مشائخ عصرهما)^(١).
٣. قال ابن حجر (رحمه الله): (حصل لمسلم في كتابه حظ عظيم مفرط لم يحصل لأحد مثله، بحيث إن بعض الناس كان يفضل على صحيح محمد بن إسماعيل، وذلك لما اختص به من جمع الطرق، وجودة السياق، والمحافظة على أداء الألفاظ كما هي، من غير تقطيع ولا رواية بمعنى)^(٢).
٤. قال فؤاد سزكين: (إنه يفوق صحيح البخاري في حسن السياقة)^(٣).

(١) تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ٢ / ٩١.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٠ / ١١٤.

(٣) تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جامعة الملك سعود، ١٤١١هـ - ١٩٩١م ، ١ / ٢٦٤.

المطلب الثالث

الأهمية العلمية للصحيحين ومكانتهما بين المؤلفات

يُعدُّ كتابا صحيح البخاري وصحيح مسلم من أعظم كتب السنة النبوية وأصحّها بعد القرآن الكريم، وقد حظيا بمكانة عظيمة عند علماء الأمة. امتاز الصحيحان بالدقة في اختيار الأحاديث، والتحقق من صحة الأسانيد والرواة وفق شروط دقيقة ومنهج علمي رصين. كما جمعا بين صحة الرواية وحسن الترتيب والتنظيم، مما جعلهما مصدرا أساسيا للتشريع الإسلامي وفهم السنة النبوية. وقد أسهم الصحيحان في حفظ الحديث النبوي ونقله للأجيال بثقة وأمانة.

١. احتوائهما على أدق شروط الصحة:

امتاز الصحيحان باعتمادهما أعلى درجات الدقة في قبول الأحاديث النبوية، إذ التزم الإمامان البخاري ومسلم بشروط الحديث الصحيح التزاما دقيقا. فالحديث الصحيح هو ما اتصل سنده بنقل الرواة العدول الضابطين عن أمثالهم، مع خلوه من الشذوذ والعلّة. وقد تحققت هذه الشروط في أحاديث الصحيحين بدرجة عالية من التحري والتثبت. كما عُرف الإمامان بدقة اختيار الرواة وشدة العناية بالأسانيد. لذلك نال الصحيحان مكانة عظيمة بين كتب السنة، وأصبحا المرجع الأوثق بعد القرآن الكريم. ويُعدّ منهجهما نموذجا متكاملًا في تصنيف الحديث الصحيح وحفظ السنة النبوية^(١).

٢. كونهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى:

اتفقت كلمة أهل العلم والمحدثين على أنّ أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى هما صحيحا الإمام البخاري والإمام مسلم، لما تميّزا به من دقة في جمع الأحاديث وتحري صحتها. وقد نالا منزلة عظيمة بين كتب السنة، واعتمد عليهما العلماء في مختلف العصور. كما حظيا بقبول الأمة وثقتها، لما اشتملا عليه من الأحاديث

(١) تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة العاشرة،

١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٤. والوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن

سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص ٢٢٥-٢٢٦.

الصحيحة الثابتة عن النبي (ﷺ). ويرى الإمام النووي أن كتابي الصحيح مقدّمان على سائر كتب الحديث من حيث الصحة والاعتبار. لذلك أصبح المرجع الأهم في علم الحديث بعد القرآن الكريم^(١)، وابن الصلاح الذي نصّ على تقدّمهما في الصحة على سائر كتب الحديث^(٢).

٣- الحكم بصحة أحاديثهما المسندة:

أجمع أهل الحديث والعلماء على صحة الأحاديث التي أوردها الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما، لما توافرت فيها شروط القبول والصحة. وقد عُدَّ كتاباهما من أوثق كتب السنة النبوية وأعلاها منزلة. كما أن الأحاديث الواردة فيهما متصلة الأسانيد ومرفوعة إلى النبي (ﷺ) بثبوتٍ ودقة. وقد نال الصحيحان قبول الأمة عبر العصور، واعتمد عليهما العلماء في الاستدلال والتصنيف. ويرى أهل العلم أن ما اتفق عليه الشيخان يُعدُّ في أعلى درجات الحديث الصحيح. ولهذا أصبح الصحيحان أساساً مهماً في دراسة السنة النبوية وعلوم الحديث^(٣).

٤- العناية الفائقة بهما من قبل العلماء:

تجلت المكانة السامية لصحيحي البخاري ومسلم في اهتمام علماء الأمة قاطبة؛ حيث أجمعوا على أن ما ورد فيهما من أحاديث مسندة ومتصلة تعتبر في أعلى درجات الصحة واليقين. ويُعد الكتابان أول مصنفين أُفردا حصراً للحديث الصحيح المجرد، مما منحهما أولوية مطلقة ومكانة لم تدركها بقية كتب السنة الستة. وقد تلقتهما الأمة بالقبول والتعظيم، وتسابق العلماء في الثناء عليهما وإبراز منزلتهما

(١) يُنظر: الأربعون النووية، يحيى بن شرف النووي، عناية: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٤٧.

(٢) يُنظر: معرفة أنواع علم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٨٤.

(٣) يُنظر: شرح سنن ابن ماجه (مجموع من ثلاثة شروح)، وهي: مصباح الزجاجة لجلال الدين السيوطي، وإنجاح الحاجة لمحمد عبد الغني المجددي، وما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات لفخر الحسن الكنكوهي، قديمي كتب خاتمة، كراتشي، ص ٦٤.

الرفيعة، كما فعل الإمام ابن الصلاح وغيره من النقاد. ويظهر هذا الاعتناء جلياً في تتابع أقوال العلماء عبر العصور على توثيق ما فيهما، واعتبارهما المرجع الأول والأوثق للسنة النبوية المشرفة^(١)، وقد قرر ذلك أيضاً ابن الصلاح في معرض حديثه عن نشأة التصنيف في الصحيح^(٢).

٥- كثرة المستخرجات عليهما:

حظي صحيحا البخاري ومسلم بمكانة رفيعة لدى الأمة الإسلامية، مما دفع العلماء للتسابق في التأليف عليهما من خلال "المستخرجات". وقد تجلّى ذلك في كثرة المصنفات التي نسجت على منوالهما، حتى تجاوزت المستخرجات على صحيح مسلم وحده العشرين مؤلفاً. ويعكس هذا الاهتمام البالغ القيمة العلمية للصحيحين، حيث استتبط العلماء منهما فوائد إضافية وزيادات لم تكن في الأصل. ومن أبرز تلك المؤلفات "المستخرج للإسماعيلي" و "المستخرج للبرقاني"، وكلاهما صُنّف على الصحيحين معاً، مما يبرز التوسع العلمي والمنهجي الذي أحاط بهذين الكتابين الجليلين^(٣).

(١) يُنظر: الجمع بين الصحيحين، عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، عناية: حمد بن محمد الغماس، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٨.

(٢) يُنظر: معرفة أنواع علوم الحديث (المعروف بمقدمة ابن الصلاح)، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٢٨.

(٣) يُنظر: المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (أبو عوانة)، تحقيق: رسائل جامعية وبحوث أكاديمية بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط ١، ج ١-٢٠: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ج ٢١-٢٤: ١٤٣٨هـ/٢٠١٦م، (المقدمة)، ص ٣٤٢. وتيسير مصطلح الحديث، ص ٥١. ومنهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٦٢.

٦- تلقي الأمة لهما بالقبول:

إنّ مما يبرهن على المكانة السامية لصحيحي البخاري ومسلم هو إجماع الأمة الإسلامية قاطبةً على تلقيهما بالقبول والثقة، وقد تجلّى ذلك بوضوح في الانتشار الواسع لنسخهما عبر القرون؛ حتى أصبحت حجر الزاوية في كل مكتبة إسلامية. ولم يقتصر هذا الاحتراف على مجرد الاقتناء، بل تعداه إلى عناية علمية فائقة شملت القراءة والسماع والضبط والاستنباط، وهو ما جعل هذين الكتابين مرجعاً لا يغني عنه غيره. كما أن هذا القبول لم ينحصر في دائرة المتخصصين في الحديث فحسب، بل امتد ليشمل جمهور المثقفين وطلبة العلم بمختلف مشاربهم، مما يعكس الثقة المطلقة في صحة ما احتواه هذان السفران العظيمان^(١).

٧- جلالة رجال الإسناد فيهما:

تتجلّى رفعة الصحيحين في دقة اختيار الرواة؛ إذ انتقى الشيخان (البخاري ومسلم) نقلة الحديث من أرفع طبقات الثقاة والعدول الضابطين. وقد شمل هذا الانتقاء سلسلة الرواية الممتدة من بواكير عصر الرواية حتى منتصف القرن الثالث الهجري، مما جعل أسانيد الكتابين في أعلى درجات الصحة والاتصال، وهو ما يفسر الإقبال العلمي الكبير عليهما قراءةً واقتناءً من لدن العلماء وطلبة العلم على حد سواء^(٢).

٨- دقة ضبط الشيخين فيهما:

تجلّت عبقرية الإمامين البخاري ومسلم في منهجية ترتيب أحاديثهما، وهي دقة لم تكن وليدة الصدفة بل نتاج إتقان رفيع أشار إليه الحافظ ابن حجر

(١) يُنظر: النكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر، ج ١، ص ١٣٨.

(٢) يُنظر: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي ابن حجر الشافعي، تحقيق: عبد المحسن بن محمد القاسم، محققة على نسخ مقروءة على المصنف وعليها خطه وإجازته، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م، ص ١١٨.

العسقلاني؛ حيث أكد أن اختيار الرواة لم يكن مجرد جمع للمعلومات، بل هو تركية مبنية على إجماع الأمة على عدالتهم، وقد بلغت هذه الدقة ذروتها في التفاصيل الفنية للروايات؛ فالتكرار الذي قد يظهر في الأسانيد أو المتن ليس حشواً، بل هو مقصود لغايات علمية دقيقة^(١).

٩- رفعة منزلة مؤلفيهما:

يُعدّ الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج نموذجاً فذاً يُحتذى به في سعة الاطلاع، والورع، والتمسك بالدين. وقد تجلّت هذه المكانة من خلال عرضهما لمنهجهما العلمي ونتائجهما المعرفي على كبار علماء عصرهما وجهابذة الحديث في زمانهما؛ مما أضفى على كتابيهما صبغةً عالية من الموثوقية، ومنحهما قبولاً واسعاً وإجماعاً لدى الأمة، وعزز من قيمة تصنيفهما كأصح الكتب بعد كتاب الله^(٢)، إنّ مسلم والبخاري رحمهما الله أعلم أهل الحديث روايةً ودرايةً، ومعرفةً بالعلل وضبطاً للأسانيد، ويكفي في الدلالة على ذلك أن كتابيهما قد أجمعت الأمة على تقديمهما في الصحة بعد كتاب الله تعالى^(٣).

(١) يُنظر: شرح علل الترمذي، زين الدين بن رجب، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج ١، ص ١٣٩. ونزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، يليها: جمع أشكال الحديث الضعيف لمحمد بن حسن بن همام الدمشقي (منشور بالشاملة مستقلاً)، تحقيق وتعليق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، المحقق، الطبعة الثالثة، ١٤٤٣هـ/٢٠٢١م، ص ١٢٩.

(٢) يُنظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي - دار الوراق للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٤٩٠. والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ١، ٤٥١.

(٣) يُنظر: مكانة الصحيحين، خليل إبراهيم ملا ناظر، المطبعة العربية الحديثة، ط ١، ١٤٠٢هـ، ص ٨٦.

الفصل الثاني

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية

المبحث الأول: المناسبات التعبدية الشرعية الثابتة

المبحث الثاني: أحاديث الأعياد والأحداث الكونية



الفصل الثاني

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية

تمهيد:

تمثل المناسبات التعبدية الشرعية محطات إيمانية بارزة في حياة المسلم، تكتسب أهميتها من كونها مواسم للطاعة والقرب من الله تعالى، وفرصًا لتجديد العهد مع القيم الروحية والأخلاقية.

وقد عني الإسلام بتوجيه الخطاب الدعوي نحو هذه المناسبات؛ لما تحمله من دلالات تربوية واجتماعية، ولما توفره من فرص لتعزيزية النفوس وبناء الوعي الجماعي.

ومن هنا جاءت الأحاديث النبوية لتؤصل مكانة هذه المواسم، وتحدد فضائلها، وتوجه المسلم إلى استثمارها بما يحقق المقاصد الكبرى للشريعة من عبادة وإصلاح وتركيزية.

وفي هذا السياق، يتناول هذا الفصل المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الدينية، مع التركيز على المناسبات التعبدية الثابتة التي شكلت إطارًا راسخًا في الوعي الإسلامي الجمعي، مثل شهر رمضان وليلة القدر، ويوم الجمعة، والعشر الأوائل من ذي الحجة، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء.

وتبرز أهمية هذا الفصل في الكشف عن كيفية توظيف هذه المناسبات في بناء الإيمان الفردي، وترسيخ القيم الدعوية، وتفعيل دور المسلم في محيطه الاجتماعي، بما يجعلها منابر متجددة لتربية الأمة وإحيائها.





المبحث الأول

المناسبات التعبدية الشرعية الثابتة

تُعَدُّ المناسباتُ التعبديةُ الشرعيةُ الثابتةُ محطاتَ إيمانيةٍ عظيمةً يغتتمها المسلم لتجديد صلته بربه وزيادة حسناته، ومن أبرز تلك المحطات تعظيمُ شهرِ رمضان المبارك، الذي تتضاعف فيه الحسنات والأجور، وليلةُ القدرِ التي هي خيرٌ من ألفِ شهر، ويومُ الجمعةِ الذي يُعَدُّ خيرَ يومٍ طلعت عليه الشمس، والعشرُ الأوائلُ من ذي الحجة المباركة، وهي من أفضل مواسم العمل الصالح، فضلاً عن يومِ عرفةَ ويومِ عاشوراء، اللذين يُعَظَّمُ فيهما أجرُ الصيام.

وسأعرض في هذا المبحث تلك المواسمَ الثابتةَ للعمل الصالح والعبادة، وما تتضمنه الأحاديثُ الواردةُ فيها من مضامينَ دعويةٍ، وذلك على وفق المطالب الآتية:

- **المطلب الأول:** تعظيم شهر رمضان وليلة القدر وأثرهما في زيادة الوعي الإيماني والدعوي.
- **المطلب الثاني:** إبراز أهمية يوم الجمعة وبيان دوره التربوي والتعبدية.
- **المطلب الثالث:** استثمار العشر الأوائل من ذي الحجة في العمل الصالح الفردي والجماعي.
- **المطلب الرابع:** بيان فضل يوم عرفة والدعوة إلى صيامه والإكثار من الذكر والدعاء فيه.
- **المطلب الخامس:** نشر سنة صيام يوم عاشوراء وبيان الحكمة من تشريعه.



المطلب الأول

تعظيم شهر رمضان وليلة القدر وأثرهما في زيادة الوعي الإيماني

والدعوي

يُعدُّ شهرُ رمضانَ المباركُ ذروةَ المواسمِ الإيمانية التي تتجلى فيها معاني العبودية الخالصة، إذ يجتمع فيها الصيامُ والقيامُ وتلاوةُ القرآن والدعاء، وتمثل هذه الشعائر مجالاً خصباً لترسيخ القيم التعبدية وتجديد الصلة الروحية بين العبد وربّه. كما تُسهم ليلةُ القدر في تعميق هذا الوعي الإيماني والدعوي، لما تحمله من تجلٍّ ربانيٍّ يوقظ الضمير ويشحذ الهمم نحو الطاعة.

وسأشرع من خلال هذا المطلب بعرض إبراز الإرشادات النبوية والفوائد الدعوية التي يمكن استنباطها من الأحاديث المتعلقة بتعظيم شهر رمضان وليلة القدر وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً- إبراز البعد التعبدي والإيماني في قيام رمضان:

شهر رمضان الكريم له مكانة مركزية في البناء العقدي والتعبد للمسلم؛ إذ يشكّل محطة سنوية لتجديد الإيمان وتعميق الصلة بالله تعالى، فقد ورد في الحديث عن النبي (ﷺ) قوله: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)^(١).

إن هذا النص النبوي يبرز بجلاء البعد التعبدي والإيماني الذي يقوم عليه صيام رمضان وقيامه؛ حيث يربط بين أداء العبادة بروح الإيمان الصادق ورجاء المغفرة والنجاة، وبين تحقق القبول والثواب، فقيامٌ فصيامٌ أيام رمضان وقيامٌ لياليه يُعدّان سبباً لنيل المغفرة؛ إذ إنّ مَنْ أقبل على صيام رمضان صياماً صحيحاً بقلبه

(١) صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر ، ٤٥/٣ ، رقم ٢٠١٤ .
الطبعة مطبعة مصر ، ١٣١١ هـ .

وجوارحه، لا مجرد امتناع عن الطعام والشراب، ثم جاهد نفسه في قيام لياليه المباركة، فقد استحقَّ المغفرة التي يريجوها من هذا الشهر الكريم^(١).

ويُضاف إلى ذلك بُعد آخر في تحقق المغفرة وهو احتسابُ الأجر عند الله تعالى، والإقبال عليه بقلبٍ مخلصٍ وإيمانٍ صادقٍ وعملٍ صالحٍ؛ لما ثبت في الحديث الصحيح: (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)^(٢).

إن الصيام في التصور الشرعي ليس امتناعاً شكلياً عن الطعام والشراب فحسب، بل هو عبادة جامعة تستهدف تزكية القلب والجوارح معاً، وقد دلَّ على هذا المعنى بوضوح قول النبي (ﷺ): (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)^(٣)، وهو حديث يؤسس لفهم مقاصدي للصيام، مفاده أن حقيقة الصيام لا تتحقق بمجرد الكفِّ عن المفطرات الحسية، ما لم يصاحب ذلك كفٌّ عن آفات اللسان والجوارح، وتطهيرٌ للقلب من دواعي الزور والفساد، فالحديث يقرر أن الصيام الذي لا يثمر سلوكاً قيمياً وأخلاقياً لا يحقق الغاية التي شرع من أجلها، وإن أسقط الفرض من حيث الصورة الظاهرة^(٤).

وقد قرّر الإمام أبو حامد الغزالي أن للصوم ثلاث مراتب: صوم العموم، وهو كفّ البطن والفرج عن الشهوات؛ وصوم الخصوص، وهو حفظ السمع والبصر

(١) يُنظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلمي البغدادي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص ٢٠٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، ٤٥/٣، رقم ٢٠١٤. متفق عليه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، ٢٦/٣، رقم ١٩٠٣.

(٤) يُنظر: المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، ٢٣٠/٢.

واللسان وسائر الجوارح عن الآثام؛ وصوم خصوص الخصوص، وهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة والتعلق بغير الله، بحيث يفسده الانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة^(١).

وبذلك يربط الغزالي بين صحة العبادة في ظاهرها وكمالها في باطنها، ويجعل القلب محور الصيام ولبّه الحقيقي.

ومن هنا يتضح أن الخطاب الدعوي المعاصر ينبغي أن يركّز على إحياء هذا البعد المقاصدي للصيام، فيغرس في نفوس المسلمين أن ثمرة الصيام والقيام لا تختزل في الجوع والعطش، وإنما تتمثل في تزكية النفس، وإيقاظ الضمير، وتعميق مراقبة الله تعالى، واستشعار عظمتة جلّ شأنه في السر والعلن؛ إذ بذلك يتحول الصيام من طقس تعبدي محدود الأثر إلى مشروع تربوي شامل يعيد بناء الإنسان من الداخل.

ثانياً: الدعوة إلى إحياء سنة تحري ليلة القدر في العشر الأواخر:

إنّ ممّا خصّ الله تعالى به بعض الأيّام والليالي من الفضل العظيم والأجر الجزيل ما خصّ به ليلة القدر، التي تُعادل في ثوابها عبادة ألف شهر من العبادة والذكر والطاعة، فهذه الليلة المباركة تُنزل فيها الرحمات، وتُضاعف فيها الحسنات، ويعمّ فيها فضل الله تعالى بالمغفرة والقبول وإجابة الدعاء وإكرام العباد^(٢).

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار المعرفة - بيروت، ٢٣٤/١.

(٢) يُنظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٤٦٤/١٥.

وقد ورد في القرآن الكريم عنها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۚ ۞ ﴾^(١)؛ وهنا دلالة على عِظَم منزلتها، وما حُقَّت به من مظاهر القرب والرحمة الإلهية^(٢).

كما أن ليلة القدر تمثل ذروة هذا الموسم الإيماني، حيث أودع الله فيها من الفضل ما لم يجعله في غيرها، قال تعالى: ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾^(٣)، وقد سُمِّيت ليلة القدر بهذا الاسم لما تُكْتَب فيها الملائكة من الأقدار والأرزاق والآجال في تلك السنة، إذ يُطلعهم الله تعالى على ما قضاه، فيؤدِّي كلُّ منهم وظيفته التي أُمر بها، وقيل: سُمِّيت بذلك لعِظَم قدرها وشرف منزلتها، أو لأنَّ مَنْ أتى فيها بالطاعات نال قدراً رفيعاً عند الله، أو لأنَّ نفس الطاعات الواقعة فيها تكتسب قدراً زائداً وفضلاً عظيماً على غيرها^(٤).

لقد حضَّ النبي (ﷺ) على تحرِّي ليلة القدر في الأيام العشر من رمضان، فقال: (تحرّوا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان)^(٥).

(١) سورة القدر: ٤.

(٢) يُنظر: تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣م، ٧٧١/٤.

(٣) سورة القدر: ٣.

(٤) يُنظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لشمس الدين الزُّمَاطي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٢٢٤/١.

(٥) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر باب تحرِّي ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر، رقم ٢٠١٧، ٤٦/٣.

وهذا التوجيه النبوي الجميل يتضمن دعوة صريحة إلى الاجتهاد في العبادة خلال هذه الليالي، ونشر فقه الاجتهاد العملي فيها والذي يقوم على المداومة على القيام والدعاء والذكر وتلاوة القرآن، فالنبي (ﷺ) بدأ بنفسه تعليمًا للأمة وتوجيهًا للاقتداء به (ﷺ) فشَدَّ المِئْزَرَ. وقد اختلف أهل العلم في المراد بقول النبي محمد (ﷺ) (شد المئزر) إلى ثلاثة آراء^(١):

١. أن المقصود به مضاعفة الاجتهاد في العبادة وبذل الجهد على خلاف عادته (ﷺ) فيما سواه من الأيام.
 ٢. وقيل بأنه التعبير كناية عن التشمير والاستعداد التام لأداء العبادة والتفرغ لها كاملاً.
 ٣. وقيل هو اعتزال النساء والانقطاع عن مشاغل الدنيا بغية التفرغ للعبادة والانشغال بأداء الطاعات.
- ومن هنا يظهر أن إحياء سنة تحرّي ليلة القدر ليس مجرد اجتهاد فردي، بل هو قضية دعوية تستهدف الأمة جمعاء، لتبقى مرتبطة بأسباب الرحمة والقبول في مواسم الخير.
- وإذا كان السؤال عن ماهية ليلة القدر ذاتها، فقد جاء البيان القرآني الصريح: **قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾**^(٢).
- وقد اختلف المفسرون في بيان صيغة السؤال عن ماهية ليلة القدر على أقوال عدّة، هي^(٣):

- (١) يُنظر: رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٣٣٦.
- (٢) سورة القدر: ٢.
- (٣) يُنظر: تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ١٠/٥٨٤.

١. أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ حَقِيقَةَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ حَتَّى أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِهَا، فَبَيَّنَ لَهُ فَضْلَهَا وَمَكَانَتَهَا.
٢. قِيلَ: إِنَّ صِيغَةَ السُّؤَالِ وَرَدَتْ لَغَرَضِ التَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، وَبَيَانِ عِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي يَفُوقُ إِدْرَاكَ الْعُقُولِ.
٣. قِيلَ: إِنَّهَا جَاءَتْ لِلتَّسْلِيَةِ وَالتَّطْمِينِ لِقَلْبِ النَّبِيِّ (ﷺ)، إِذْ أُطْلِعَهُ اللَّهُ فِيهَا عَلَى مَا أَعَدَّهُ لِعِبَادِهِ مِنَ الْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ.
٤. ذَهَبَ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الصِّيغَةِ هُوَ بَيَانُ مِقْدَارِ الْعَمَلِ فِيهَا، إِذْ إِنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ لَا تَكُونُ فِيهَا هَذِهِ اللَّيْلَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ (١).

ثالثاً: بيان أثر إيمان المسلم واحتسابه على قبول العمل:

يقول النبي (ﷺ): (مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ) (٢)، وَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ (ﷺ) فِي هَذَا الْحَدِيثِ التَّأْكِيدَ عَلَى أَثَرِ النِّيَّةِ وَالِاحْتِسَابِ فِي قَبُولِ الْعَمَلِ، فَقِيَامَ اللَّيْلِ فِي رَمَضَانَ لَيْسَ مَجْرَدَ حَرَكَةٍ أَوْ عَادَةٍاجْتِمَاعِيَّةٍ؛ بَلْ هُوَ عِبَادَةٌ رُوحِيَّةٌ تَقُومُ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَيَقِينِ الْعَبْدِ بِوَعْدِهِ، وَعَلَى الْإِحْتِسَابِ الَّذِي يَعْنِي طَلَبَ الْأَجْرِ مِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَأَنَّ الْإِخْلَاصَ بِذَلِكَ يَعِدُ الْعَمَلَ وَسِيلَةً إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَثَوَابِهِ (٣).

(١) سورة القدر: ٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر رقم ٢٠١٤، ٤٥/٣.

(٣) يُنْظَرُ: الْكُوْثَرُ الْجَارِي إِلَى رِيَاضِ أَحَادِيثِ الْبُخَارِيِّ، أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكُورَانِي الشَّافِعِي، الْمُحَقِّقُ: الشَّيْخُ أَحْمَدُ عَزُوزُ عَنَايَةِ، دَارُ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوت، الطَّبْعَةُ الْأُولَى، ٢٠٠٨م، ٤/٢٥٨.

وقد جاء في تفسير ألفاظ الحديث أنّ كلمة إيماناً تعني تصديقاً جازماً بشرعية الصيام وكونه طاعة أمر الله تعالى بها، مع الرضا بها والتسليم لحكمها. أما احتساباً فالمقصود بها طلب الأجر والثواب من الله تعالى وحده، بعيداً عن كل غرض دنيوي أو نية ريائية؛ فالاحتساب من مادة الحُسب أي العدّ والإحصاء، أي أن العبد يعدّ عمله في ميزان الحسنات حين يبتغي به وجه الله وحده. ومن ثم فإنّ من نوى بعمله وجه الله كان معتدّاً بعمله عنده سبحانه، أما من قصد به غير ذلك فقد ضيّع ثوابه وأبطل أثره^(١).

وهذا المعنى يفتح مجالاً واسعاً أمام الدعاة لتوضيح أن العبادات لا تُقبل إلا إذا استوفت شرطين أساسيين، هما^(٢):

١- الإخلاص لله تعالى.

٢- المتابعة لسنة النبي (ﷺ).

وإذا اجتمع الشرطان، تولّد في قلب المسلم وعي إيماني عميق ينعكس أثره على سلوكه الفردي والاجتماعي، ليصبح رمضان بحق مدرسة للتزكية والإصلاح، وليلة القدر رمزاً للعطاء الرباني الذي يتجاوز حدود الزمن^(٣).

ويرى الإمام ابن القيم (رحمه الله) أنّ الصيام ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب؛ بل هو تربية للنفس وضبط لشهواتها حتى تبلغ درجة التزكية والسمو الروحي، فغاية الصيام أن يحرّر الإنسان من سلطان العادة والمألوف، ويُنمي فيه قوّة

(١) يُنظر: اللّاليء المكية من كلام خير البرية (شرح سبعين حديثاً نبوياً صحيحاً)، محمد بن صالح الشاوي، أوقاف الشيخ محمد بن صالح الشاوي، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م، ص ٢٥٦.

(٢) يُنظر: شرح عمدة الأحكام، عبد الغني المقدسي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، نسخة الشاملة، د.ت.ن، ٧/١.

(٣) يُنظر: أثر عمل القلب على عبادة الذكر والدعاء، إبراهيم بن حسن الحضريتي، نسخة الشاملة، د.ط، ١٤٤٤هـ، ص ١٠٨.

الإرادة والقدرة على مقاومة الهوى، ليتهيأ قلبه لمعرفة الله تعالى ومحَبَّته، كما أن الجوعَ والعطشَ يُرَقِّقان القلب ويبعثان فيه الإحساس بآلام المحتاجين^(١).

(١) يُنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، الرياض، الطبعة الثالثة، ٣٤/٢.



المطلب الثاني

تعظيم يوم الجمعة وإبراز أثره التربوي والتعبدية:

لقد خصَّ الله تعالى يومَ الجمعة بجملةٍ من الخصائص والمزايا التي جعلته من أعظم الأيام وأجلّها في حياة المسلم؛ إذ جعله سبحانه عيداً متجدّداً تتوحّد فيه القلوب على الطاعة، ويجتمع فيه المسلمون على العبادة والذكر. وهو يومٌ تُرفع فيه الدرجات، وتُرجى فيه إجابة الدعوات، فضلاً عن كونه منبراً أسبوعياً جامعاً للتوعية والإرشاد، تُستهض فيه الهمم، وتُجدّد فيه معاني الإيمان، ويُربط فيه المسلم بقضايا دينه وأخلاقه ومسؤوليته في مجتمعه.

ولإبراز المكانة العظيمة لهذا اليوم المبارك، سأتوقف عند أبرز المحطات الدعوية التي تُبين آثاره التربوية والتعبدية، وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: بيان أهمية يوم الجمعة وتعزيزها في نفوس المسلمين:

يمثل يوم الجمعة في الوجدان الإسلامي محطة أسبوعية دعوية جامعة للتربية الإيمانية والتهذيب الروحي، وقد أولاه الشرع الحنيف منزلة خاصة ميّزته عن سائر أيام الأسبوع، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(١) إشارة إلى عِظَم شأنِ النداء إلى صلاة الجمعة ومكانته في حياة المسلمين؛ إذ هو دعوة ربّانية جامعة تستهض المؤمنين إلى الاجتماع على ذكر الله وترك شواغل الدنيا، فالنداء إلى الجمعة ليس نداءً إلى صلاةٍ فحسب، بل إلى وحدةٍ إيمانيةٍ تُجدّد الصلة بين العبد وربّه، وتربط الجماعة بمقصدها الروحي والاجتماعي، وتلبيةُ هذا النداء مظهرٌ من مظاهر الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى، ودليلٌ على

(١) سورة الجمعة: ٩.





حياة القلب واستشعاره لعظمة الشعيرة، إذ يجتمع المسلمون لسماع الموعظة وتذكير بعضهم بعضاً بالحق، فتتجدد فيهم معاني الإيمان والوحدة والمسؤولية الجماعية^(١).

وقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) أنه قال: (خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ. فِيهِ خُلِقَ آدَمُ. وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ. وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا. وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ)^(٢).

وهذا الحديث الشريف يبرز مكانة الجمعة باعتباره أفضل أيام الأسبوع، وهو ما يفرض على أهل الخطاب الدعوي مسؤولية إبراز هذه القيمة في نفوس المسلمين، وتعظيم شعيرة الجمعة بما ينسجم مع مقصدها الإيماني والتعبدية، فتعظيم الجمعة لا يقف عند أداء الصلاة فحسب، بل يتسع ليشمل تكوين وعي جمعي بأهمية استثمار هذا اليوم في الطاعات، والتزود من معاني الإيمان والالتزام الجماعي بالعبادة^(٣). ويمكننا أن نجمل فضائل يوم الجمعة في النقاط الآتية^(٤):

١. يوم الجمعة يوم اجتماع المسلمين وتعارفهم؛ فهو مناسبة أسبوعية لاجتماع المسلمين في ساعة واحدة على صلاة واحدة، حيث يلتقون في بيوت الله تعالى، فيتحقق بينهم التعارف والتواصل، وتتجدد روابط الأخوة الإيمانية،

(١) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، د.ت، ٣٨٠/٢٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، ٥٨٥/٢، رقم ٨٥٤، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٩٥م.

(٣) يُنظر: الإفصاح عن معاني الصحاح، محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ، ٤١/٨.

(٤) يُنظر: الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٠/٦.

وتتوحد كلمتهم على طاعة الله، بما يعزّز الشعور بالانتماء الجماعي للأمة، ويُرسّخ وحدة الصف وروح التضامن بين أفراد المجتمع المسلم.

٢. يوم تقوم فيه الساعة؛ فقد اختصّ الله تعالى يوم الجمعة بكونه اليوم الذي تقوم فيه الساعة كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ): (لا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة)^(١)، وفي ذلك إشارة إلى عظمة هذا اليوم وخصوصيته في نظام الكون والقدر الإلهي.

٣. عيدٌ أسبوعيّ للمسلمين؛ حيث ميّز الله تعالى أمة الإسلام بيوم الجمعة عيداً يتكرر كل أسبوع يجتمع فيه المسلمون للعبادة والذكر، وتتجلى فيه مظاهر الفرح المشروع، والنظافة والتجمل، وصلة الأرحام، كما ورد في الحديث الشريف: (إن هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين، فمن جاء إلى الجمعة فليغتسل وإن كان طيب فليس منه وعليكم بالسواك)^(٢)، فهو يوم سرورٍ روحيٍّ واجتماعٍ دينيٍّ يعمّ المؤمنين كل جمعة.

٤. كثرة الصلاة على النبي (ﷺ) فيه؛ فقد جاء في بعض الروايات (إنّ من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثرُوا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة عليّ...)^(٣)، مما يدل على فضل الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) في هذا اليوم.

٥. أفضليته بالنسبة لأيام الأسبوع؛ فقد قرر العلماء أن يوم الجمعة هو أفضل الأيام على الإطلاق ضمن أيام الأسبوع، أما يوم عرفة ويوم النحر ففضلهما

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، ٥٨٥/٢، رقم ٨٥٤.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، ٣٤٩/١، رقم ١٠٩٨.

(٣) صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، د.ن.ت، ص ٣٠٣٠.



متعلق بأيام السنة^(١)، وقد جمع العلماء بين النصوص بأن الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام السنة^(٢).

٦. كثرة الطاعات فيه؛ فيوم الجمعة يوم يتجلى فيه الفضل بمضاعفة الأجر والثواب، وارتبط بالاجتماع لصلاة الجمعة التي هي شعيرة من شعائر الإسلام العظمى^(٣).

ثانياً: توعية المسلمين بفضيلة الساعة المستجابة فيه، والحث على اغتنامها بالدعاء والذكر:

إنَّ من أبرز فضائل يوم الجمعة هو اشتماله على ساعة الإجابة، والتي حثَّ النبي (ﷺ) على اغتنامها بالدعاء والذكر، فقد جاء في الحديث: (فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه)^(٤).

وهذا الحديث يبيِّن عظيم فضل هذا اليوم وضرورة اغتنامه بالإكثار من الدعاء والذكر والصلاة^(٥).

(١) يُنظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، محمد بن عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ٤٨١/١٠.

(٢) يُنظر: التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكلثاني ثم الصنعاني، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ٤٩٧/٢.

(٣) يُنظر: روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ٣٩٣/١.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة باب الساعة التي في يوم الجمعة، رقم ٩٣٥، ١٣/٢.

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٢٨٦/٨.



وقد اختلف العلماء في تحديد وقت هذه الساعة، فهي ساعة ليست طويلة، وقد تكون ساعة كاملة، وقد تكون نصف ساعة، وقد تكون ربع ساعة، ولكنها فترة من الزمن في يوم الجمعة، وهذه الفترة إذا وافقها عبد مؤمن وهو يدعو ربه سبحانه، استجاب الله له وأعطاه عز وجل ما سأل^(١).

وقد اختار الحافظ ابن المنذر من هذه الاختلافات حول تحديد وقت الساعة عدة أوقات، ذكرها أنها راجحة عند العلماء؛ فمنهم من قال إنها بعد طلوع الشمس، ومنهم من جعلها بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وآخرون قالوا إنها عند زوال الشمس أو عند أذان الجمعة، بينما رأى بعضهم أنها عند جلوس الإمام على المنبر وحتى فراغه من الخطبة، وقيل أيضاً إنها الساعة التي اختارها الله للصلاة، أو ما بين الزوال إلى دخول الإمام في الصلاة، أو ما بين العصر إلى غروب الشمس^(٢).

وهذه الأقوال وإن تنوعت فإنها تدل على حرص العلماء على تعيين هذه الساعة المباركة لما لها من شأنٍ عظيم في استجابة الدعاء، كما أن هذا التنوع في الأقوال يعكس رحمة الله وسعة فضله، ويُفتح المجال أمام الدعاة للتأكيد على أن المسلم ينبغي أن يكون في حالة إقبال على الله بالدعاء في معظم ساعات الجمعة، ليغتتم فرصة الإجابة^(٣).

(١) يُنظر: طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت، ٢٠٧/٣.

(٢) يُنظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ٢٨٥/١-٢٨٧.

(٣) يُنظر: طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، ٢١٤/٣.

لقد كان التأكيد النبوي الشريف على اغتنام هذه الساعة المباركة لما تمثله من بابٍ عظيم للمغفرة والإرشاد الدعوي؛ فهي تذكير بفضل الله ورحمته، وإحياء لروح الصلة الدائمة به، وفرصة للتائب والمحتاج وصاحب الهم، وقد قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، أي أخلصوا الدعاء لله واطلبوا منه حوائجكم، فهو وحده القادر على إجابة الدعاء ودفع الكرب، فساعة الاستجابة في يوم الجمعة تفتح أبواب الرجاء، وتغرس في النفس اليقين برحمة الله واستجابته لعباده المؤمنين^(٢).

ثالثاً: إحياء سنة التبكير إلى الجمعة، وقراءة سورة الكهف، والتطيب والاعتسار:

إنَّ من مظاهر تعظيم يوم الجمعة هي إحياء السنن التي أرشد إليها النبي (ﷺ)، كالاعتسار، والتطيب، وليس أحسن الثياب، والتبكير، والدنو من الإمام، وقراءة سورة الكهف، والإكثار من الدعاء والصلاة على النبي (ﷺ)^(٣)، فقد جاء في الحديث: (إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل)^(٤).

إنَّ توجيه النبي (ﷺ) إلى الاعتسار يوم الجمعة لا يقتصر على بُعد فقهي شكلي، بل ينطوي على مضمون دعوي عميق، يتمثل في تهيئة المسلم نفسياً وروحياً لاستقبال شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، فالاعتسار يُشعر المسلم بعظمة الموقف

(١) سورة غافر: ٦٠.

(٢) يُنظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ١٩/٤.

(٣) يُنظر: فقه عمل اليوم والليلة، أبو محمد عبد الله بن مانع بن غلاب الغبيوي الروقي العتيبي، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م، ص ١٠٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة باب فضل الغسل يوم الجمعة وهل على الصبي شهود يوم الجمعة أو على النساء، رقم ٨٧٧، ٢/٢.

الذي يُقبل عليه، ويُخرجه من حالة الاعتیاد إلى حالة الاستعداد الواعي للوقوف بين يدي الله، وسماع الذكر والموعظة. كما يسهم في تهذيب السلوك العام، وترسيخ قيمة احترام الجماعة، وصيانة بيوت الله من الأذى، وهو ما أشار إليه شراح الحديث حين ربطوا الاغتسال بمقاصد الطهارة الظاهرة والباطنة، وجعلوه مدخلاً لتطهير الجسد واستدعاء طهارة القلب وحضور الخشوع، فالغسل حق لصلاة الجمعة لا لليوم، لمزيد فضلها واختصاص الطهارة بها^(١).

كما رغب النبي (ﷺ) في الاغتسال والتطيب والتبكير إلى صلاة الجمعة، لما في ذلك من تعظيم لشعائر الله وإظهار لجمال الإسلام ونظامه. قال رسول الله (ﷺ): (من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة...) ^(٢)، ويظهر من هذا الحديث أنّ التهيؤ لهذا اليوم من آداب المسلم التي تُثاب وتُقرَّب إلى الله تعالى^(٣).

أما قراءة سورة الكهف، فقد جاء في الحديث: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)^(٤).

(١) يُنظر: المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م، ١/٢٠٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، ٧/٢، رقم ٨٨١.

(٣) يُنظر: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ٤/٢٢٧.

(٤) رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، كتاب التفسير " بسم الله الرحمن الرحيم قد بدأنا في هذا الكتاب بنزول القرآن، في ما روي في المسند من القراءات، وذكر الصحابة الذين جمعوا القرآن وحفظوه، هذا قبل تفسير. السور " تفسير سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم، رقم ٣٣٩٢، ٣٩٩/٢. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠. وهو حديث صحيح على شرط البخاري. ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله الرحمانى المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ٧/٢٤٩.

يُراد بالنور الوارد في فضل قراءة سورة الكهف الهداية والبركة والبصيرة التي يفيضها الله تعالى على قلب المؤمن، جزاءً لملازمته القرآن وتدبره لمعانيه، ولا سيما ما تضمنته السورة من دروس الثبات أمام الفتن والتمسك بالحق، فهذا النور ليس ضوءاً حسيّاً، وإنما صفاءً إيمانيّاً يهدي السلوك، ويحصّن القلب من ظلمات الشبهات والشهوات، ويورث سكينَةً داخلية تمتد آثارها في الدنيا، وتكون سبباً للأمن والطمأنينة في الآخرة. كما يعكس التعبير بالنور ما تحقّقه قراءة القرآن يوم الجمعة من تجدد روحي ونقاء قلبي؛ إذ يغدو القرآن مصدر إشراقٍ للهداية، وثباتٍ للاستقامة، ونورٍ يرافق المؤمن ما بين الجمعتين^(١).

وهذه السنن، حين تُفَعَّل على المستوى الدعوي، تُسهم في إعادة الاعتبار للجمعة باعتبارها يوماً جامعاً للبعد الروحي والتربوي والاجتماعي، إذ يجتمع المسلمون في بيوت الله على كلمة سواء، يتلقون الخطبة الجامعة، ويتذكرون معاني القرآن، ويجددون العهد على التزكية والطاعة.

ومن خلال ما تقدّم، يتبيّن أن يوم الجمعة يمثل في حياة المسلم محطةً أسبوعيةً للتزوّد بالإيمان وتجديد الصلة بالله تعالى، ويتجلّى ذلك في جملة من المعاني والآثار، من أبرزها ما يأتي^(٢):

١- كونه يوماً للسكينة والطمأنينة، ينفصل فيه المسلم نسبياً عن ضغوط الحياة اليومية ومشاكل العمل، فيتهيأ قلبه للذكر والتأمل ومراجعة الذات.

(١) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، ١٩٨/٦.

(٢) يُنظر: تيسير مسائل الفقه (شرح الروض المربع وتنزيل الأحكام على قواعدها الأصولية وبيان مقاصدها ومصالحها وأسرارها وأسباب الاختلاف فيها)، عبد الكريم علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ٤٣/٢.



٢- تميّزه بكونه موعدًا جامعًا لاجتماع المسلمين في المسجد، حيث تتجدد الصلة بالله من خلال الصلاة والخطبة، ويُستمع إلى التوجيه والموعظة التي تُسهم في ترسيخ الوعي الديني والأخلاقي، وتنظيم علاقة الفرد بالمجتمع على أسس الرحمة والإصلاح والتكافل.

٣- اشتماله على فرصٍ عملية لتنظيم الوقت واستثماره في الطاعات، كقراءة القرآن، والذكر، والدعاء، إلى جانب أداء الواجبات الأسرية والاجتماعية، بما يعزّز وحدة الجماعة المسلمة، ويحقّق التوازن بين الفرد وواقعه الاجتماعي.

وبذلك يتضح أن يوم الجمعة ليس مجرد يوم عبادة فردية، بل هو فضاء أسبوعي متجدد لبناء الوعي الجماعي، وتفعيل قيم الدعوة، وربط المسلمين بخطاب إيماني متجدد يراعي حاجاتهم الروحية والتربوية. وهو ما يحقق مقصد الشرع في جعله يوم اجتماع وحدة.



المطلب الثالث

استثمار العشر الأوائل من ذي الحجة في العمل الصالح:

تُعَدُّ الأيام العشر الأول من ذي الحجة من أعظم الأيام عند الله تعالى، إذ اختصّها بفضائل جليلة وجعلها موسماً للطاعات والقربات، تجتمع فيها شرف الأزمنة بسمو العبادات، وتضاعف فيها الحسنات وتُرفع الدرجات، وقد أقسم الله بها في كتابه الكريم تنويهاً بعظيم مكانتها، فقال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾^(١)، وفي هذا القسم تنبيه على عظيم شأنها ورفعة قدرها، كما أنّ من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين أن جعل هذه الأيام ميداناً واسعاً للطاعات، وفرصة مباركة للتزود بالأعمال الصالحة التي تضاعف بها الحسنات وتُرفع بها الدرجات.

ولبيان أبرز الفوائد الدعوية المستنبطة من استثمار هذا الموسم العظيم في الطاعة، فإنني سأعرضها على وفق النقاط الآتية:

أولاً: توجيه الخطاب الدعوي نحو استنهاض همم المسلمين في هذه الأيام المباركة:

العشر الأوائل من ذي الحجة من أعظم الأيام التي خصّها الشرع بفضائل جليلة، إذ جعلها ميداناً للتنافس في الطاعات وموسماً متكاملاً للعبادة الفردية والجماعية، وقد جاء في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) قوله: (مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامِ الْعَشْرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ. قَالُوا: وَلَا الْجِهَادُ؟ قَالَ: وَلَا الْجِهَادُ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ)^(٢).

(١) سورة الفجر: ١-٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين باب فضل العمل في أيام التشريق، ٢/٢٠، رقم ٩٦٩.

إنّ التفاضل بين عشر ذي الحجة والعشر الأواخر من رمضان يجري بحسب ما يغلب عليها من نوع العبادة ومحلّها، فليست الأفضلية مطلقة في جميع الأحوال؛ فأيام عشر ذي الحجة امتازت بأن العمل الصالح فيها هو أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، لما اشتملت عليه من شعائر كبرى كالحج، ويوم عرفة، ويوم النحر، حتى بلغ من فضلها أن جعل العمل فيها مقدّمًا على سائر الأعمال إلا ذروة الجهاد. أما ليالي العشر الأواخر من رمضان فقد خُصّت بشرفٍ آخر، إذ هي ليالي الإحياء والقيام، التي كان النبي (ﷺ) يخصّها بمزيد اجتهد، فيشدّ المؤزر، ويحيي الليل، ويوقظ أهله، دلالةً على التفرغ التام للعبادة، واستغراق الزمن كله في الطاعة، وطلبًا لليلة جعلها الله خيرًا من ألف شهر^(١).

وبهذا يظهر أن الفضل يتنوّع بتنوّع الأزمنة؛ فأيام ذي الحجة ميدان العمل الظاهر، وليالي رمضان ميدان العبادة القلبية والقيام، وهو تفاضل تكاملي لا تعارض فيه، وإنما يعكس حكمة الشريعة في تنويع مواسم القرب والطاعة.

وقد اختلف أهل العلم في تفضيل أيّ الأيام أفضل: أيّام العشر الأول من ذي الحجة أم أيّام العشر الأواخر من رمضان؛ فمنهم من قال إنّ أيّام العشر الأول أفضل، ومنهم من قال إنّ أيّام العشر الأواخر من رمضان أفضل لاشتمالها على ليلة القدر المباركة، بينما ذهب آخرون إلى أنّ ليالي العشر الأواخر من رمضان هي الأفضل بين الليالي، وأيّام العشر الأول من ذي الحجة هي الأفضل بين الأيام، فكلٌّ من الزمانين فضله ومزيّته^(٢).

(١) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢م، ٧١/٨.

(٢) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م، ٤٦/١٠.

كما اختلف العلماء والمفسرون في تفسير قوله تعالى: **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ عَشْرِ** ^(١) **﴿﴾﴾**، فذهب بعضهم إلى أنها الليالي العشر الأواخر من شهر رمضان، ورأى آخرون أنها أيام عشر ذي الحجة، والراجح أنها أيام العشر الأوائل من شهر الله المحرم ^(٢).

وهذا الحث النبوي العظيم على العبادة والطاعة يضع بين أيدينا قاعدة دعوية مركزية، تتمثل في ضرورة توجيه الخطاب الدعوي نحو استنهاض همم المسلمين في هذه الأيام المباركة، وحثهم على اغتنامها بما يليق بعظيم قدرها، فالمسلم حين يُذكر بفضلها يستشعر قيمة الوقت كوعاء للطاعة، ويتربى على اغتنام الفرص العبادية التي يفيض الله بها على عباده بين الحين والآخر ^(٣).

ومن ثمّ، فإن إحياء هذه العشر بالدعوة والوعظ يرسّخ في النفوس ثقافة الاستعداد الروحي، ويُخرج المسلم من رتابة العادة إلى حيوية العبادة.

ثانياً: تسليط الضوء على شمولية العمل الصالح في هذه الأيام، من صلاة وصيام وذكر وصدقة:

تتميز هذه الأيام المباركة بشمولية العمل الصالح فيها، فهي لا تقتصر على شعيرة واحدة، وإنما تنفتح على مختلف صور القربات، من صلاة وقيام، وصيام، وذكر، وصدقة، وبر وصلة رحم، حيثُ كان ابن عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما يخرجان إلى السوق في أيام العشر يكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ^(٤).

(١) سورة الفجر: ٢.

(٢) يُنظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، طنطاوي، ٣٨٣/١٥.

(٣) يُنظر: نيل الأوطار من أسرار مننقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ١٠٥/٧.

(٤) رواه البخاري تعليقاً بصيغة الجزم، كتاب العيدين، باب فضل العمل في أيام التشريق، ٢٠/٢، رقم ٩٦٨.

يدلُّ هذا الحديث على أن الأعمال الصالحة في تلك الأيام أحبُّ إلى الله تعالى من الأعمال في سائر أيام الدنيا بلا استثناء، وبما أن الحبَّ إلى الله معيار للفضل، فإنها بذلك تكون أفضل عنده، وإذا كان العمل في هذه الأيام أفضل من العمل في غيرها من أيام السنة كلها، فإن حتى الأعمال المفضولة فيها تُقدَّم على الأعمال الفاضلة في غيرها من الأيام، ولهذا جاء سؤال الصحابة: (ولا الجهاد في سبيل الله؟) فأجاب النبي (ﷺ): (ولا الجهاد)، دلالة على أن فضل الأعمال في هذه الأيام عظيم، ويوازيه في الحب إلى الله الجهاد المخلص لمن يخرج بنفسه وماله دون عودة^(١).

وقد عظم المولى سبحانه هذه الأيام، حيث قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾^(٢). وقال المفسرون: المراد بالعشر: الأيام التسعة من أول ذي الحجة، وقد أقسم الله بها لعظمها^(٣).

وهذا يدل على أن العمل الصالح فيها يتجاوز العبادات الفردية إلى نشر الأجواء الإيمانية العامة، بحيث يتحول المجتمع إلى فضاء جماعي مفعم بذكر الله؛ فالعمل الصالح هنا مفهوم شامل يضم الصيام والصلاة وقراءة القرآن، ويشمل كل صور الخير والنفع، سواء كانت مادية دنيوية أو روحية أخروية، فلا يجوز تضيق

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عامر بن علي ياسين، دار بن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص ٥٨٠.

(٢) سورة الفجر: ١-٢.

(٣) يُنظر: الجامع العام في فقه الصيام، محمد بن علي حلاوة، تقديم: مصطفى بن العدوي، مكتبة العلوم والحكم، الشرقية - مصر، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م، ص ٢٨٧.

مفهومه أو حصره في جانب واحد، بل هو أوسع ما وسَّعه الله تعالى في هذه الأيام المباركة^(١).

وهنا تتبين القيمة التربوية لهذه الأيام، إذ تعلَّم المسلم أن العبادة ليست مجرد سلوك فردي منغلَق، وإنما هي طاقة روحية تبني الذات وتنعكس على الجماعة، وتؤسس لأجواء اجتماعية يتناغم فيها الفرد مع الجماعة في سبيل تعظيم الله وذكره.

ثالثاً: ربط العشر الأوائل من ذي الحجة بموسم الأضحية والحج، باعتباره موسماً تعبدياً متكاملًا:

ترتبط العشر الأوائل من ذي الحجة بموسم الأضحية والحج، مما يجعلها موسماً تعبدياً متكاملًا يضم ألوان الطاعات، فالحج يجمع بين الشعائر الجسدية والروحية في أبهى صورها، بدءاً من الطواف والسعي والوقوف بعرفة وانتهاء برمي الجمرات، كما أن الأضحية تترجم معاني التضحية والإيثار والتقرب إلى الله سبحانه، بدليل قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ النُّقُوى مِنْكُمْ﴾^(٢).

أي أن الله تعالى لا يتقبل من الأضاحي لحومها ولا دماءها لذاتها، وإنما يتقبل التقوى التي تصحبها، أي نية المضحي وإخلاصهم لله تعالى، فليس المقصود رضا الله باللحم المتصدق به أو الدم المهرق بالنحر، بل المراد رضا الله عن أصحاب اللحوم والدماء إذا صدقت نياتهم وخلصت مقاصدهم، فالمعزى أن القبول الإلهي مرهون بصدق النية ومراعاة شروط التقوى، لا بمجرد أداء الشعيرة في ظاهرها^(٣).

(١) يُنظر: تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ت، ٩٧٨٦/١٦.

(٢) سورة الحج: ٣٧.

(٣) يُنظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م، ٤٤٢/٢.

وقد أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) إلى أن سبب امتياز أيام العشر من ذي الحجة على غيرها من الأيام هو اجتماع أمهات العبادات فيها من صلاة وصيام وحج وصدقة، وهو ما لا يجتمع في غيرها من المواسم^(١).

فالمقصود من الأضحية ليس اللحم ولا الدم، وإنما صفاء النية، وصدق التوجه إلى الله تعالى، ومجاهدة النفس في تقديم ما تحبه طاعةً لربها، وهكذا تتكامل الأضحية مع روح العشر الأوائل من ذي الحجة في تحقيق الغاية الكبرى من العبادة، وهي تحقيق التقوى والتقرب إلى الله بالنية والعمل^(٢).

وعليه، فإن استثمار العشر الأوائل من ذي الحجة يتجاوز مجرد التنبيه على فضلها إلى بناء وعي جماعي بأهمية استغلالها في تعميق القيم الإيمانية، وتفعيل معاني التضامن الاجتماعي، وتأكيد وحدة الأمة في مواسمها التعبدية الكبرى، فهي ليست أياماً عابرة في تقويم العام، بل محطات ربانية تستنهض الهمم وتعيد تشكيل الوجدان الجمعي للأمة في إطار من الطاعة والتقوى.

(١) يُنظر: فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية - مصر الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ٤٦٠/٢.

(٢) يُنظر: المفصل في أحكام الأضحية، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، المكتبة الشاملة، د.ت، ص ٦٤.

المطلب الرابع

بيان فضل يوم عرفة والدعوة إلى صيامه والإكثار من الذكر والدعاء فيه:

إنَّ يومَ عرفةَ هو أعظمُ أيَّامِ العام، فهو يومٌ تنتزِلُ فيه الرَّحْمَاتُ، وتُغْفَرُ فيه الذنوب، وتُعْتَقُ فيه الرِّقَابُ من النار، وهو الركنُ الأعظمُ من أركان الحجِّ، ولذلك نرى النبيَّ مُحَمَّدًا (ﷺ) قد حثَّ المسلمين على صيامه -لغير الحُجَّاج- لما في صيامه من تكفيرٍ للذنوب ورفعٍ للدرجات، فضلًا عن كونه موسمًا غنيًّا ومباركًا من مواسم الذكر والدعاء.

ولبيان فضلِ هذا اليومِ العظيمِ ومَنْزِلَةِ الذكرِ فيه، فإنِّي سأعرضُ لذلك من خلال الفقراتِ الآتية:

أولاً: ترسيخ قيمة يوم عرفة كأعظم أيام العتق من النار:

يُعَدُّ يوم عرفة من أعظم الأيام التي ميَّزها الله تعالى بخصائص روحية وعبادية بالغة الأثر، حتى صار في الوعي الإسلامي رمزًا للغفران والتوبة والنجاة من النار؛ فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي (ﷺ) قوله: (مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ. وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ. فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟) ^(١).

ولما كان الحجُّ عرفة، وكان الحجُّ يهدم ما قبله من الذنوب؛ كان ما في يوم عرفة من الخلاص من العذاب، والعتق من النار، أعظمَ مما يكون في سائر الأيام، ولأنَّ الناس يتقربون إلى الله تعالى في ذلك اليوم بأعظم القُرْبَات؛ كان الله سبحانه - وهو الأبرَّ بعباده والألطف بهم - يتجلَّى لهم فيه بفيض رحمته وواسع مغفرته، فعبر عن ذلك بالقرب منهم في الموقف؛ أي بدُنُوِّهم منهم دنوَّ رحمةٍ وإكرام، لا دنوَّ مسافةٍ

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ٩٨٢/٢، رقم

ومكان، ثم يُباهي بهم ملائكته، أي يُفاخر بهم، والمعنى أنه يُنزلهم منازل الكرامة والقرب، فيجعلهم في مقام يُباهى به، تعظيمًا لشأنهم، وإِعلاءً لقدرهم^(١).

فما من يومٍ أكثرَ عتقًا من النار من يوم عرفة؛ أي إنَّ هذا اليوم هو أكثرَ الأيام عتقًا للرقاب من النار، وأعظمها فوزًا بالمغفرة والرضوان^(٢).

ومن هنا، يمكننا بيان البُعد الدعوي في توجيه المسلمين إلى إدراك هذه المنزلة واستثمارها، سواء كانوا حجاجًا أو غير حجاج، إذ إنَّ فضل اليوم لا يقتصر على أهل الموقف بعرفات، بل يشمل جميع الأمة في مشارق الأرض ومغاربها، فهو موسم إيماني شامل يخفف لمسلم على مراجعة نفسه، وتجديد توبة، وإحياء وجدانه بالذكر والدعاء طمعًا في أن يكون من المعتوقين من النار.

فصيام يوم عرفة يمثل فرصة نادرةً لتجديد العهد مع الله تعالى، واستثمارًا روحيًا عظيمًا في موسمٍ تنتزل فيه المغفرة والرحمات.

ثانيًا: دعوة غير الحاج إلى صيام عرفة تأسيًا بالسنة المطهرة:

إذا كان الحجُّ يمثل ذروة التعبد الجماعي في الإسلام، فإنَّ يومَ عرفة يتجاوز حدود الزمان والمكان، ليغدو يومًا جامعاً للأمة كلّها، إذ يجتمع فيه الحجاج على صعيدٍ واحدٍ بأجسادهم، ويشاركهم المسلمون في سائر الأقطار بأرواحهم وعباداتهم، ففي الوقت الذي يقف فيه الحجاج على عرفات، يُشرع لغير الحاج أن يتقرب إلى الله تعالى بالصيام والدعاء والذكر، تأسيًا بالسنة النبوية المطهرة. فقد ثبت عن النبي

(١) يُنظر: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢م، ٢/١٥٠.

(٢) يُنظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له: محيي الدين ديب ميسو وآخرون، (دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٣/٤٦٠).

(ﷺ) قوله: (صيامُ يومِ عرفةٍ أحتسبُ على الله أن يُكفِّرَ السنةَ التي قبله والسنةَ التي بعده)^(١)، وهنا تبرز المكانة الخاصة لهذا اليوم في مضاعفة الأجر ومغفرة الذنوب.

ومن هنا كان صيام يوم عرفة سنة مؤكدة لغير الحاج؛ لأنَّ الحاج في هذا اليوم منشغلٌ بأداء المناسك والوقوف بعرفة، وقد ترك النبي (ﷺ) صيامه في الحج ليقوى على الدعاء والذكر؛ فقد ورد عنه (ﷺ): (خير الدعاء دعاء يوم عرفة)^(٢).

أما غير الحاج فصيامه في هذا اليوم مظهرٌ من مظاهر الاقتداء بالهدي النبوي، ومشاركةٌ روحية في شعائر الحجاج، إذ يحقق الصائم معنى الإخلاص والتقوى، ويرجو أن يكون من الذين يكفر الله عنهم سيئاتهم سنتين كاملتين^(٣).

إن من أبرز الوسائل العملية التي دعا إليها النبي (ﷺ) في تعظيم هذا اليوم ورفع مكانته هو صيامه لغير الحاج، حيث قال: (صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده)^(٤).

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ٨١٨/٢، رقم ١١٦٢.

(٢) رواه الترمذي في الجامع الكبير (سنن الترمذي)، أبواب الدعوات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ٥٤١/٥، رقم ٣٥٨٥. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م. هذا حديث ضعيف غريب من هذا الوجه وعند حماد بن أبي محمد ليس هو بالقوي لمناهل الحديث.

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، ٢٣٠/٤-٢١١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، ٨١٨/٢، رقم ١١٦٢.

فأحب رسول الله (ﷺ) صومها إلا أن يكون حاجا فأحب له ترك صوم يوم عرفة لأنه حاج مضح مسافر ولترك النبي (ﷺ) صومه في الحج وليقوى بذلك على الدعاء وأفضل الدعاء يوم عرفة^(١).

ويستحب صيام يوم عرفة لغير الحاج، وروى أبو قتادة كفاة السنة، والسنة التي تليها وفيه تأويلان؛ أحدهما إن الله تعالى يغفر له ذنوب سنتين، والثاني: إن الله تعالى يعصمه في هاتين السنتين فلا يعصي فيهما^(٢).

ثالثاً- تعزيز مفهوم الاستعداد الروحي ليوم عرفة بما يناسب منزلته ومكانته:

إن من أبرز التوجيهات الدعوية المستنبطة من صيام يوم عرفة هو تعزيز مفهوم الاستعداد الروحي بما يناسب منزلته ومكانته؛ فالمسلم مدعو لأن يتأهب له مسبقاً، بتهيئة قلبه وصفاء نيته وتجديد توبته، حتى يدخل يوم عرفة وهو في حالة من الصفاء الروحي واليقظة الإيمانية، مستشعراً أنه مقبل على يوم هو أعظم أيام العتق من النار، وموقناً بأن النفحات الإلهية فيه تنتزل على العباد.

إن هذا الاستعداد لا يقتصر على مجرد أداء بعض الشعائر، بل يمتد ليشمل مراجعة النفس ومحاسبتها، والقطع مع مظاهر الغفلة والذنوب، والالتفات إلى معاني الطاعة والإخلاص والتسليم لله تعالى، فـ(الاستعداد للخير فهو من أثر يد الله في عبده إذا أراد به خيراً، وقد خلق الرجل مستعداً للعضائم، مهياً لمعالي الأمور)^(٣).

(١) يُنظر: الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م، ٤٧٢/٣.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه، ٤٧٢/٣.

(٣) آثار الإمام مُحَمَّدُ البَشِيرِ الإِبْرَاهِيمِي، مُحَمَّدُ بن بشير بن عمر الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ١٤٩/٤.

وفي مجال الدعوة والإرشاد فإنّ العلماء والمرشدين يتحمّلون مسؤولية كبرى في توجيه الأمة نحو إدراك أبعاد هذا اليوم، انطلاقاً من قوله تعالى قَالَ تَعَالَى ﴿١﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٢﴾^(١)

فعبر بخطاب يربط بين العقيدة والسلوك، ويستنهض همم المسلمين لاستثمار اللحظات الفاضلة بما يليق بها، فالجانب التربوي يظهر في ترسيخ معاني التوبة والرجاء والخشوع، وفي الحث على أعمال البر المتنوعة، وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال^(٢)، من صيام وذكر ودعاء وإكثار من التهليل والتكبير، بما يجعل المسلم حاضر القلب واللسان والجوارح بين يدي الله.

وبهذا يتحقق البعد الإيماني والعملي معاً، فيتجاوز المسلم الشكل الظاهري للعبادة إلى حقيقتها العميقة التي تصلح القلب وتضبط السلوك.

أما على المستوى الجماعي، فإنّ يوم عرفة يمثل فرصة لإعادة شحذ الوجدان الجمعي للأمة، حيث يتوحد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها على ذكر الله والدعاء له والتضرع بين يديه، وهذه الوحدة الروحية تجعل من عرفة رافعة إيمانية تسهم في تجديد معاني القرب من الله، وتعزز في الأمة الثقة برحمته وفضله، وتؤهلها نفسياً وروحياً لاستقبال عيد الأضحى بروح من الطاعة والامتثال، فيغدو العيد امتداداً طبيعياً لصفاء يوم عرفة ونفحاته، لا مجرد مناسبة اجتماعية^(٣).

كما أن في هذا اليوم يتجلى الاستعداد الروحي المتعلق بموقف يوم عرفة من خلال الوحدة الروحية للأمة؛ إذ تتوحد القلوب والهمم في عبادة واحدة وذكر واحد،

(١) سورة البينة: ٥.

(٢) يُنظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت، ٤٨/٧.

(٣) يُنظر: الوصايا العشر مع فضائل العشر، الشربيني بن فايق الشربيني، المكتبة الشاملة، د.ت، ص ٢٧-٢٨.



فتستنهض مشاعر الانتماء والتضامن بين المسلمين، كما يظهر في المشهد عظيم المساواة بين الناس، فلا فرق بين غني وفقير، قوي وضعيف، متعلم وغير متعلم، فتتجلى الحقيقة الإيمانية القائلة بأن القرب من الله لا يُقاس بالمكانة الدنيوية، بل بالإخلاص والتقوى، ويصبح هذا اليوم مدرسةً روحيةً للأمة تؤكد على الوحدة والعدل والتواضع أمام الله^(١).

وهكذا يتحقق المقصد الدعوي الأسمى من هذا اليوم المبارك، وهو أن يظلّ ركيزةً للتزكية الفردية والنهضة الجماعية، بما يجمع بين عمق العبادة وروح التجديد، ليذكر الأمة بأن اجتماعها على طاعة الله هو سبيل عزّها وكرامتها في الدنيا والآخرة.

(١) يُنظر: شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، الشبكة الإسلامية، د.ت، ١/١٧٥.

المطلب الخامس

نشر سنة صيام يوم عاشوراء وبيان الحكمة من تشريعه

يُعدّ يوم عاشوراء من الأيام العظيمة التي تجلّت فيها معاني الشكر لله تعالى والافتداء بالأنبياء في مواقف الإيمان والثبات، فهو يوم تتلاقى فيه الدلالات العقدية والتربوية والتاريخية في مشهدٍ واحد، يربط الأمة بجذورها الإيمانية وبالمنهج النبوي في التعبير عن الشكر والخضوع لله، وقد أولت السنة النبوية لهذا اليوم عنايةً خاصة، فشرعت صيامه وجعلت له فضلاً عظيماً، إذ ورد في الحديث الصحيح أن صيام يوم عاشوراء يُكفّر ذنوب سنةٍ ماضية، وهو بذلك موسم من مواسم الرحمة والمغفرة وتجديد العهد مع الله تعالى.

أولاً: إبراز البعد العقدي في صيام عاشوراء، باعتباره شكراً لله على نجاة موسى وقومه:

يوم عاشوراء من الأيام التي اكتسبت منزلة خاصة في الوجدان الإسلامي، نظراً لارتباطه بأحداث عقدية عظيمة جسّدتها نصوص السنة النبوية، فقد روى البخاري أنّ النبي (ﷺ) حينما قدم المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم عن سبب صيامهم، فقالوا: (هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً لله فنحن نصومه". فقال (ﷺ): (فنحن أحق وأولى بموسى منكم)، فصامه وأمر بصيامه^(١).

ويظهر من هذا الحديث أن صيام يوم عاشوراء جاء شكراً لله على نجاته موسى وقومه من فرعون، وهو بذلك صلاة شكرٍ وامتنان على فضل الله وعونه، فالغاية من صيامه ليست التقليد أو الانقياد لموروث ديني بلا فهم، بل هو تعبير عن إدراك العبد لمعجزات الله وفضله، وتصحيح للمفاهيم الخاطئة التي قد تنسب للصيام

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى وهل أتاك حديث موسى، رقم ٣٣٩٧، ١٥٣/٤.

لمجرد التقليد، وفي هذا المعنى يشير الشراح إلى أن النبي (ﷺ) أراد أن يرسّخ في نفوس المسلمين شعور الشكر والامتنان لله على نعمه، وأن الأعمال التعبدية ينبغي أن تُبنى على معرفة وفهم لما يشرّعها، فلا يكون الصيام مجرد امتناع عن الطعام والشراب، بل عبادة قائمة على تقدير نعم الله ومراقبته في السرّ والعلن^(١).

وإذا كان الأنبياء صاموا عاشوراء واليهود صاموه، وقريش في جاهليتها تصوم عاشوراء -كما في صحيح مسلم- فحري بالمسلم الذي يرجو ثواب ربه أن يصومه... لا سيما وقد ورد في فضله أنه يكفر سنة... وما أحوجنا جميعاً إلى تكفير الذنوب^(٢). كما يتضح من الحديث أن البعد العقدي في صيام عاشوراء يقوم على معنى الشكر لله تعالى على نصره لأنبيائه وأوليائه، وترسيخ مبدأ وحدة الرسالات السماوية في أصلها التوحيدي، وبيان أن أمة الإسلام امتداد للحق الذي مثله الأنبياء جميعاً. ومن هنا، يغدو صيام عاشوراء تجسيداً لربط المسلم بجذور عقيدته، وتعزيزاً لوعي الانتماء لخط التوحيد الإلهي الممتد عبر التاريخ^(٣).

ثانياً: مخالفة اليهود والنصارى اتباعاً لهدي النبي محمد (ﷺ):

جاء التوجيه النبوي بضرورة تمييز الأمة الإسلامية في شعائرها، حتى لا تذوب خصوصيتها في تقاليد الأمم الأخرى، فقد ورد في صحيح مسلم أنّ النبي (ﷺ)

(١) يُنظر: الكوكب الدري على جامع الترمذي، رشيد أحمد الكنكوهي، المحقق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، مطبعة ندوة العلماء الهند، ١٣٩٥هـ، ٥٨/٢. والمنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ، ٢٠٥/١٠.

(٢) يُنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٦٧/٢.

(٣) يُنظر: شعاع من المحراب، سليمان بن حمد العودة، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م، ١٨/٥.



قال: (لئن بقيتُ إلى قابلٍ، لأصومنَّ التاسعَ)^(١)، إشارة إلى الحث على صيام يوم قبله أو يوم بعده، مخالفة لليهود.

وقد بين العلماء أن هذا التوجيه النبوي يحمل بُعداً عقدياً وتربوياً عميقاً؛ إذ يُراد به تأكيد تميّز الأمة الإسلامية في عباداتها، وتحريرها من تقليد الأمم السابقة في شعائرها، فالمخالفة هنا ليست مجرد تغاير في الشكل، بل تعبير عن استقلال المنهج الإيماني والتعبدية، فقال الإمام النووي (رحمه الله): (قال بعض العلماء: ولعل السبب في صوم التاسع مع العاشر أن لا يتشبه باليهود في أفراد العاشر، وفي الحديث إشارة إلى هذا، وقيل: للاحتياط في تحصيل عاشوراء، والأول أولى)^(٢).

وهنا تتجلى الحكمة التربوية والدعوية في توجيه المسلمين إلى الجمع بين صيام يوم عاشوراء وصيام يوم آخر معه، ترسيخاً لمفهوم الاستقلالية الدينية وحماية الهوية الإسلامية من التقليد الأعمى.

حيث إن من السنة مخالفة اليهود بصوم يوم قبله أو يوم بعده، ومن صام التاسع والعاشر والحادي عشر، فذاك أكمل وأعلى مراتب صيامه^(٣).

فإن قيل: يحتمل أن تكون قریش إنما صامتة؛ لأن اليهود أخبروهم، وكان عندهم أصحاب علم، فصامه النبي (ﷺ) كذلك في الجاهلية، أي بـ(بمكة)، فلما قدم (المدينة)، ووجد اليهود يصومونه قال: (نحن أحق وأولى بموسى منكم)، فصامه

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام باب أي يوم يصام في عاشوراء، ٧٩٨/٢، رقم ١١٣٤.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢م، ١٣/٨.

(٣) يُنظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ٦٧/٢.





اتباعاً لموسى. فالجواب أن هذا مبني على أنه عليه الصلاة والسلام كان متعبداً بشريعة موسى عليه الصلاة والسلام، وليس كذلك^(١).

وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب؛ أدناها أن يصام وحده، وفوقه أن يصام التاسع معه، وفوقه أن يصام التاسع والحادي عشر^(٢).

فهذا التوجيه النبوي يفتح مجالاً للخطاب الدعوي كي يغرس في نفوس المسلمين معنى الاعتزاز بشعائهم وحرصهم على اتباع السنة النبوية بدقة، بوصفها إطاراً جامعاً للسلوك التعبدية.

ثالثاً: بيان عظمة وفضل يوم عاشوراء، وربطه بمفهوم التوبة والإنابة:

ورد في صحيح مسلم أن النبي (ﷺ) قال: (صِيَامُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ)^(٣).

فهذه البشارة النبوية تكشف عن عظمة هذا اليوم في محو الذنوب، بما يجعله موسماً متجدداً للتوبة والإنابة، وفرصةً تتجدد فيها صلة العبد بربه، فيراجع نفسه، ويجبر ما فاتته من تقصير، ويجدد عهده مع الله عز وجل، فالصيام في يوم عاشوراء لا يقتصر على الامتناع عن الطعام والشراب، بل يتجاوز ذلك إلى تحقيق مقاصد روحية أعمق، تتمثل في تركية النفس، وتنمية الوازع الديني، وإعادة توجيه السلوك نحو الاستقامة والطهر القلبي، انطلاقاً من مقاصد الصيام الكبرى التي عبرت عنها

(١) يُنظر: الباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، ٦٦/٢.

(٢) الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، خالد الرباط، سيد عزت عيد، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ط١، ٢٠٠٩، ٤٦٧/٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، رقم ١١٦٢، ٨١٨/٢.



آياته بقول الله تعالى: **﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**^(١)، وقوله: **﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾**^(٢)، فالصيام ليس مجرد إمساك عن الشهوات، بل هو مدرسة للتقوى ومجاهدة للنفس في سبيل تحقيق الفضائل والابتعاد عن الرذائل، ليلبغ الصائم بذلك مرتبة الإحسان، ويغدو أكثر صفاء ونقاءً وقرباً من الله تعالى^(٣).

وقد أشار الإمام النووي (رحمه الله) إلى أن تكفير السنة الماضية بصيام يوم عاشوراء "هو تكفير للذنوب الصغائر، فإن لم يكن له صغائر رُجي أن يخفف من كبائره، وإن لم تكن له كبائر ولا صغائر، رُفعت له درجات"^(٤).

كما بين ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) أن الدعوة إلى صيام يوم عاشوراء تشير إلى مكانته العظيمة في بداية حقبة التشريع، فالاستدلال بالحديث يدل على مشروعية تعويد الصبيان على الصيام، فضلاً عن أن صيامه كان يُعدّ فرضاً قبل فرض صيام شهر رمضان^(٥).

فهذا يُظهر عَظَمَ شأن هذا اليوم وعمق أثره التربوي، إذ لم يكن مجرد عبادة زمنية، بل وسيلة لغرس قيمة الصبر والطاعة في النفوس منذ الصغر، مما يجعل فضل هذا اليوم ممتداً إلى بناء الوجدان الأخلاقي للمسلم، وإحياء شعوره بالمسؤولية عن تزكية نفسه والسمو بروحه في مدارج الطاعة والقرب من الله تعالى.

وعليه، فإنّ نشر سنة صيام عاشوراء لا يقتصر على التذكير بفضله، وإنما يتطلب خطاباً دعوياً متكاملًا يربط بين أبعاده العقيدية والتربوية والتزكوية، فهو يوم

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٥.

(٣) يُنظر: التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ص ١٦٦.

(٤) شرح النووي على مسلم، النووي، ٥١/٨.

(٥) يُنظر: فتح الباري بشرح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٢٠١/٤.



يجمع بين التاريخ والعقيدة والعبادة، ويؤكد في وعي المسلم أنَّ النجاة لا تتحقق إلا بالاعتصام بالله، وأن التوبة سبيل مفتوح للرجوع إليه، وأن اتباع النبي (ﷺ) هو الضمانة لاستقامة العبادة وصحتها، فصيام عاشوراء يغفر لصائمه "ذنوبه كلها إلا الكبائر، فإن وجد ما يكفره من الصغائر كفره وإن لم يصادف صغيرة ولا كبيرة كتبت به حسنات ورفعت له به درجات، وإن صادف كبيرة أو كبائر ولم يصادف صغائر رجونا أن تخفف من الكبائر^(١).

وبذلك يتحقق المقصد الدعوي من هذه الشريعة، في توجيه الأمة نحو التعلق بالله، واستحضار سنن أنبيائه، وتجديد العهد بالالتزام بالهدي النبوي في شكر الله والإنابة إليه.

(١) يُنظر: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد صقر، دار الفرقان للنشر - البحيرة، ١/٥٢٥.





المبحث الثاني

أحاديث الأعياد والأحداث الكونية

إنَّ المتنبع للأعياد الدينية والمناسبات الكونية في الشريعة الإسلامية يلحظ أنها بمثابة المحطات التي ترفد المسلم بقوة الإيمان، إذ تتجلى فيها معاني العبودية لله تعالى، والتي تجمع بين الفرح المشروع والشكر الدائم، وبين التأمل في آيات الله في الكون، والتفاعل التعبدية مع مظاهر قدرته، فالأعياد في الإسلام ليست مجرد مظاهر اجتماعية أو مناسبات زمنية محدودة، بل هي شعائر دينية تُبنى على مقاصد شرعية سامية، تُذكر المسلم بنعم الله وتربطه بجماعة الأمة في مظاهر السرور المشروع، أما الأحداث الكونية كالكسوف والمطر فهي بدورها مظاهر ربانية تذكّر الإنسان بعظمة الخالق وضعف المخلوق، وتحثّه على الخشوع والتسليم والإقبال على الطاعة.

وهكذا يجمع الإسلام في نظرته إلى الزمان والكون بين الفرح والخشوع، وبين الحركة والعبادة؛ لتبقى حياة المؤمن كلها دائرة بين شكرٍ عند النعمة، وصبرٍ عند الابتلاء، كما قال عليه الصلاة والسلام: (الإِيمَانُ نِصْفَانِ نِصْفٌ لِلشُّكْرِ وَنِصْفٌ لِلصَّبْرِ)^(١).

وقد جاءت الأحاديث النبوية الشريفة لتؤصّل هذه المعاني وتربطها بالمنهج التربوي والمقصد الدعوي والروحي للإسلام؛ إذ رسمت معالم الفرح المشروع، وحددت ضوابطه وسياقه التعبدية، كما وجّهت إلى كيفية التعامل مع الظواهر الكونية على أنها آيات إلهية تستوجب التفكير والاعتبار لا الغفلة والانشغال بالمظاهر.

(١) نواذر الأصول في أحاديث الرسول (ﷺ)، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، الأصل السادس والثلاثون، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت، ٢٠١/١.



وسوف أعرض في هذا المبحث جملةً من الأحاديث النبوية التي تناولت هذه المناسبات والأحداث، مبيِّناً ما ترسّخه من قيم عقديّة وتربويّة وسلوكيّة، وذلك على وفق المطالب الآتية:

١. المطلب الأول: ترسيخ مفهوم الفرح المشروع في الإسلام من خلال عيد الفطر.

٢. المطلب الثاني: تعظيم عيد الأضحى وأيام التشريق كأيام شعائر وذكر.

٣. المطلب الثالث: التفاعل التعبدي مع الظواهر الكونية كالكسوف والخسوف.

٤. المطلب الرابع: تعميق البعد الروحي في استقبال المطر والتعامل مع النعم.



المطلب الأول

ترسيخ مفهوم الفرح المشروع في الإسلام من خلال عيد الفطر

يأتي عيد الفطر المبارك بعد شهرٍ حافل بالطاعة والصيام والقيام؛ ليكون خاتمةً رحيمة، ومظهرًا من مظاهر الشكر لله تعالى على التوفيق والقبول، وقد جاءت الأحاديث النبوية لتؤصّل مفهوم الفرح المنضبط بالشرع، وتُبيّن آداب الاحتفال المشروع، فتجعل من العيد وسيلةً للتقوى لا للتفكّات، وللألفة لا للتنازع.

فقد ورد في صحيح البخاري ومسلم ما يبيّن مشروعية اللعب واللهو في العيد ضمن حدود الشرع، كما في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها: (رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرْنِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ، فَزَجَرَهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعَهُمْ، أَمَّا بَنِي أَرْفَدَةَ يَغْنِي مِنَ الْأَمْنِ)^(١).

والمقصود الدعوي والتربوي من هذا الحديث المشروع في يوم العيد ليس مجرد شعور داخلي، بل له مظاهر اجتماعية مقننة تعزز المحبة والبهجة في أوساط المسلمين، ضمن ضوابط التعبد والطاعة^(٢).

وانطلاقًا من هذا المعنى، يمكن استنباط أبرز الإرشادات والفوائد الدعوية لترسيخ الفرح المشروع من خلال عيد الفطر، والتي يأتي على رأسها ما يلي:

أولاً: التأكيد على أن الفرح في الإسلام منضبط بالشرع.

إنّ الفرح في الإسلام يعد قيمةً إنسانية سامية غير منفصلة عن الضوابط الشرعية، إذ هو في حقيقته تعبير عن الشكر لله تعالى والعبودية له، وليس مجرد انفعالٍ نفسيٍّ أو مظهرٍ دنيويٍّ عابر، وقد تجلّى هذا المعنى بوضوحٍ في تشريع

(١) صحيح البخاري، كتاب المناقب باب قصة الحبش وقول النبي ﷺ يا بني أرفدة، ١٨٥/٤، رقم ٣٥٣٠.

(٢) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، مكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ٣/٣٤٠.



الأعياد الإسلامية التي أرادها الشرع مواسم شكرٍ وذكرٍ وتواصلٍ ورحمة، لا فوضى ولهوٍ مجردٍ من الروح التعبدية.

ومن أبرز ما يدل على هذا المنهج ما ورد في حديث السيدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين: (دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُعَيَّنَانِ بِغِنَاءٍ بُعِثَتْ، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَنْتَهَرَنِي وَقَالَ: مِرْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: (دَعُهُمَا) يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ^(١).

ويُبيِّن هذا الحديث أن الإسلام لا ينكر الفرح، بل يوجِّهه نحو الخير والعبادة، ويضبط مظاهره بما يتوافق مع قيم الدين، فالأعياد لم تُشرع لتكون امتداداً لأعياد الجاهلية أو تقاليد الأمم الأخرى، وإنما لتجسّد معاني الشكر والامتنان بعد أداء شعائر الطاعة^(٢).

ويشير المظهري (رحمه الله) إلى البعد العقدي في هذا الإبدال الإلهي، قائلاً في قوله: (قد أبدلكم الله تعالى بهما خيراً منهما)؛ يعني: اتركوا هذين اليومين -أي النيروز والمهرجان- وخذوا واقبلوا بدلها يوم الأضحى ويوم الفطر، وهذا يدل على أن تعظيم يوم النيروز والمهرجان وغيرهما مما لم يأمر الشارع به لا يجوز^(٣).

وهذا التفسير يوضح أن فرح المسلم لا يكون إلا في حدود ما شرعه الله، وأن الفرح المشروع هو ما كان متصلاً بالعبادة، كما في الأعياد التي تمثل شكراً لله

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد، ١٦/٢، رقم ٩٤٩.

(٢) يُنظر: فقه الإسلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام)، عبد القادر شيبه الحمد،

مطابع الرشيد - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٢/٢٢٩.

(٣) يُنظر: المفاتيح في شرح المصابيح، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضرير الشيرازي الحنفي

المشهور بالمظهري (ت ٧٢٧ هـ)، تحقيق لجنة بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر - وزارة

الأوقاف الكويتية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، ٢/٣٤٢.



على النعمة، لا تقليدًا لطقوس الأمم الأخرى، فالإسلام أبدل اللهو الجاهلي بالفرح العبادي، وحوّل الغبطة الدنيوية إلى شكرٍ روحيٍّ نابعٍ من تمام النعمة الإلهية.

أما من ناحية بسط المعنى التربوي والمقصد الدعوي والروحي للحديث^(١):

١. أنّ العيد الحقيقي والفرح والسرور للمؤمن ينبغي أن يكون في العبادة، ففيه نهى عن اللهو واللعب.

٢. في الحديث إشارة خفية إلى جواز شيءٍ منهما في يوم العيدين مما ليس فيه فاحشة ولا خروج عن طريقة الدين وشعاره.

٣. كما أنّ فيه نهى عن تعظيم أعياد المشركين ومواسمهم والسرور فيها.

ومن هذا يتضح أن الإسلام لم يحرم الفرح لذاته، بل وجّه طاقته لتكون تعبيرًا عن العبادة الصادقة والشكر لله، فالعيد في جوهره ليس مناسبة دنيوية، بل يوم عبادة وفرح بطاعة الله، يجتمع فيه البهجة بالقبول، والسرور بالتوفيق، والاحتفاء بالهداية الإلهية التي أخرجت الإنسان من الجاهلية إلى النور. وعليه فيتبين لنا أنّ الأعياد في الإسلام تحمل رسالةً أخلاقيةً وتربويةً عميقة؛ وهي أن الفرح لا قيمة له إلا إذا كان في طاعة الله، وأن السعادة الحقيقية لا تتحقق إلا في كنف العبادة والرضا الإلهي^(٢).

ثانيًا: الدعوة إلى إحياء سنة التكبير والتهنئة بين المسلمين في عيد الفطر.

من أبرز معالم الفرح المشروع في الإسلام ما يُشرع في أيام العيد من تكبيرٍ وتهنئةٍ وتراحٍ بين المسلمين، إذ جعل الله تعالى ذكره شعارًا للفرح ووسيلةً لإعلان

(١) يُنظر: لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي الحنفي

(ت ١٠٥٢هـ)، تحقيق تقي الدين الندوي، دار النوادر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ

- ٢٠١٤م، ٥٥٦/٣.

(٢) يُنظر: أحكام عقود التمويل في الفقه الإسلامي، عبد الله بن راضي المعيدي، دار كنوز

إشبيليا للنشر والتوزيع - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م، ١/١٣٨.



تمام النعمة، كما قال سبحانه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)، فجاء التكبير في العيد مظهرًا من مظاهر الشكر على التوفيق لصيام رمضان، وإشارةً إلى أن الفرح لا يكتمل إلا بتعظيم الله وتمجيده، وقد أشار الفراء (رحمه الله) إلى أن التقدير في قوله: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

أنها شرع جملة ما ذكره وهو الأمر بصوم العدة وتعليم كيفية القضاء والرخصة في إباحة الفطر، موضحًا أن هذا نوع من اللف لطيف المسلك؛ أي أن يُذكر في الكلام عدة أحكام أو معانٍ مختلفة، ثم تُجمع وتُختَم بجملة واحدة تشير إليها جميعًا، من غير تفصيل مباشر لكل حكم على حدة (٢).

وقد استدل المفسرون على أن قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ﴾ أصلٌ في مشروعية التكبير عند تمام الصيام، وظهوره في العيد شكرًا لله تعالى، فابن كثير (رحمه الله) يرى أن المراد بالتكبير: تعظيم الله عند إكمال عدة رمضان، وأنه يظهر ذلك في يوم الفطر إعلانًا للشكر على الهداية والتوفيق للطاعة (٣).

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) يُنظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ٥٠٤/١.

(٣) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٦٢/٢.

أما القرطبي (رحمه الله) فيقرر أن الآية دليل على استحباب التكبير عند إكمال العدة، ويذكر أن العلماء استدلوا بها على سُنَّة التكبير في العيد، وأنه شعارٌ ظاهر من شعائر الإسلام^(١).

وقد كانت شعيرة التكبير في عيد الفطر سُنَّة ثابتة عن النبي (ﷺ) وأصحابه، يجهر بها المسلمون في المساجد والأسواق والمنازل، إظهاراً لبهجة الإيمان، فقد كان المسلمون إذا رأوا الهلال كبروا الله حتى يغدو الناس إلى المصلّى، فيكبّرون بتكبيرهم، وفي ذلك دلالة على أن الفرح في الإسلام مقرونٌ بذكر الله، لا بالغفلة عنه^(٢).

كما أن التهنئة بالعيد تعدّ من السنن الحسنة التي تعمّق روح الأخوة، وتوثّق روابط المودة، وتشيع الألفة بين المسلمين، وقد ورد عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يهنّئون بعضهم فيقولون: (تقبّل الله منا ومنكم)^(٣).

وذكر البيهقي (رحمه الله) عن آدم مولى عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) قال: (كنا نقول لعمر بن عبد العزيز في العيدين: تقبل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين، فيرد علينا مثله، ولا ينكر ذلك)^(٤).

(١) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ٣٥٩/٢ - ٣٦١.

(٢) يُنظر: بغية المقتصد شرح (بداية المجتهد) لابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ)، شرح: محمد بن حمود الوائلي، اعتنت به وعلقت عليه: كاملة الكواري، تقديم: عبد الله بن إبراهيم الزاحم، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ٢٨٧٠/٥.

(٣) يُنظر: شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبى في شرح المجتبى)، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَوِي، دار المعراج الدولية للنشر (ج ١-٥)، دار آل بروم للنشر والتوزيع (ج ٦-٤٠)، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٤٢٤هـ، ٢٥٨/١٧.

(٤) السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤٤٦/٣، رقم ٦٢٩٦. اسناده حسن.

ولا تقتصر الدعوة في هذا السياق على القول فحسب، بل تمتد إلى إحياء روح التراحم والتواصل الاجتماعي التي هي من مقاصد الأعياد، إذ تُستشعر فيها وحدة الأمة وتتكامل فيها معاني التكافل، فالعيد في الإسلام ليس مناسبة فردية، بل هو موسم جماعي لتجديد روابط الأخوة، وتطهير النفوس من الضغائن، وفتح صفحة جديدة عنوانها الصفح والمودة.

وخلاصة ما تقدّم: أنّ التهنة بالأعياد مشروعة في أصلها، فقد ورد أصلها في أحاديث صحيحة في غير العيد، وأما بخصوص يوم العيد فلم يثبت فيها حديث مرفوع إلى النبي (ﷺ)، وإنما وردت من آثار الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم، فهي سنة عملية مأثورة عن خير القرون، ومن فعلها فله في السلف قدوة، ومن تركها فله عذر من جهة عدم ثبوت المرفوع، فلا يُنكر على فاعلها ولا على تاركها؛ إذ الأمر فيها على السعة، ولثبوت التهنة في غير العيد بكثرة، وفعل الصحابة لها في العيدين، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب^(١).

ثالثاً: تطبيق سنة الفطر على تمرات قبل الذهاب إلى صلاة العيد.

من السنن الثابتة في عيد الفطر ما روي عن أنس قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكَلَ تَمْرَاتٍ) وقال مرجأ بن رجاء: حدثني عبيد الله قال: حدثني أنس، عن النبي (ﷺ): وَيَأْكُلُهُنَّ وَتَرَا^(٢).

وهذه السنة النبوية الطيبة تحمل معاني تعبدية وسلوكية ودعوية متعددة، لعلّ من أبرزها ما يأتي:

١. إنها إعلان عملي لانتهاء الصيام، وامتنال صريح لأمر الله تعالى بالإفطار بعد إكمال العدة، فلا يبقى الصوم ممتداً إلى يوم العيد.

(١) يُنظر: البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي، ١٧/٥١٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب العيدين باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج، ١٧/٢، رقم ٩٥٣.



٢. إنها مظهرٌ من مظاهر الشكر لله تعالى على التوفيق لإتمام فريضة الصيام، إذ يُقدّم المؤمن الفطر شكرًا قبل خروجه إلى الصلاة.
٣. إن الإفطار قبل صلاة العيد يُظهر الفرق الواضح بين يوم العيد وغيره من أيام رمضان، تأكيدًا لخصوصية هذا اليوم وكونه يومَ فطرٍ وفرحٍ مشروع.
٤. وقيل: إن الحكمة في الأكل قبل الصلاة ألا يظنّ ظانٌّ لزوم الصوم إلى ما بعد صلاة العيد، فكان الإفطار قبلها سدًا لهذه الذريعة.
٥. وقيل: إن في تعجيل الفطر مبادرةً إلى امتثال أمر الله تعالى، إذ لما وقع وجوب الفطر عقب وجوب الصوم، استُحبَّ تعجيله تحقيقًا لكمال الطاعة والانقياد^(١).

أما من الناحية السلوكية، تُعلّم هذه السنة المؤمن الاعتدال في الفرح؛ إذ يبدأ يوم العيد بذكرٍ وطاعة، لا بإسرافٍ ولهو، فالإفطار على تمرات قبل الصلاة يُجسّد الآتي:

١. أن بهجة المسلم منضبطة بالعبودية.
٢. أن سروره لا ينفصل عن الامتثال لأوامر الله تعالى وفعل رسوله (ﷺ) حيث كان يأكلهن وتراً^(٢).
٣. أن في اختيار التمر إشارة إلى البساطة والاقتداء بالنبي (ﷺ)، وتذكيرًا بأن السعادة الحقيقية لا تُقاس بوفرة الطعام، بل بنقاء النية وصفاء القلب.

(١) يُنظر: البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعي المغربي (ت ١١١٩هـ)، تحقيق: علي بن عبد الله الزين، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ١٣/٤.

(٢) يُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ١٠٦٦/٣.



رابعاً: التوعية بالصلة بين ختام الصيام وفرحة العيد كمظهر من مظاهر القبول والتوفيق.

عيد الفطر ذروة موسم الطاعة في شهر رمضان، فهو فرح القبول بعد الجهد، وسرور التوفيق بعد الصبر، ولذلك كانت الصلة بين ختام الصيام وفرحة العيد من أعمق الروابط التعبدية في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١)، فجعل تمام العدة مقروناً بالشكر والتكبير؛ لأنَّ الفرحة الحقيقي وهو فرح الهداية والقبول، ولذلك يقرر ابن كمال باشا (رحمه الله) أن هذا نوع من اللف لطيف المسلك، لا يطلع عليه إلا الحذاق من علماء البيان (٢).

ومن المعاني السامية حين يُربط الفرح بالصبر على الطاعة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٣)، حيث يدل على أن الفوز الحقيقي وهو ثمرة الصبر، وأن الجزاء إنما يكون بعد احتمال المشقة والثبات على الامتثال (٤).

فحين يفرغ المسلم من صيامه وقيامه ويُقبل عليه يوم العيد يجد في قلبه طمأنينةً ممزوجةً بالرجاء، إذ يرجو أن يكون من المقبولين الذين قال فيهم النبي

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) يُنظر: ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (ت ٩٤٠هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، مكتبة الإرشاد، إسطنبول - تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ٣١/٢.

(٣) سورة المؤمنون: ١١١.

(٤) يُنظر: التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨ هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ، ٨١/١٦.

(ﷺ): (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)^(١)، فالفرح في العيد هو أولى بشائر القبول في الدنيا قبل فرحة اللقاء في الآخرة.

وفيه: الإشارة إلى أن الصائم إذا قارب فطره، وحصلت له هذه الفرحة، فإنها تقابل ما مر عليها في نهاره من مشقة ترك الشهوات، فهي من باب التنشيط، وإنهاض الهمم على الخير والصبر عليه^(٢).

والصبر ثلاثة أنواع، كما أشار بذلك ابن رجب الحنبلي (رحمه الله)؛ صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه وصبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن^(٣).

إن التوعية بهذه الصلة الإيمانية ضرورية في واقع اختلطت فيه مظاهر العيد بالترف المادي والغفلة؛ لأنَّ العيد في جوهره محطة روحية لتجديد العهد مع الله، وتذكير بأن الطاعة لا تنتهي بانقضاء رمضان، فقد سئل أحد الصالحين: عن قوم يتعبدون ويجتهدون في رمضان، فإذا انقضى تركوا العبادة، فقال: بنس القوم لا يعرفون الله حقاً إلا في شهر رمضان^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن يبدلوا كلام الله، ١٤٣/٩، رقم ٧٤٩٢.

(٢) يُنظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ص ٩٦.

(٣) يُنظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٥٠.

(٤) يُنظر: صفحات رمضان، عبد الكريم بن صنيطان العمري، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٩٢.



ولذلك كان من تمام الشكر أن يقترن الفرح بالعبادة، وأن تكون مظاهر السرور سبيلاً لتعميق القيم الإيمانية والاجتماعية، لا ميداناً للغفلة والإسراف. فمن خلال ما تقدم تبين لنا: أنَّ عيد الفطر في الإسلام ليس مجرد احتفال زمني، بل هو تجسيدٌ لمعنى القبول الإلهي والتوفيق الرباني، ووسيلة لتربية النفس على دوام الشكر والتواضع، وعلى أن الفرح الأسمى هو في رضا الله تعالى.





المطلب الثاني

تعظيم عيد الأضحى وأيام التشريق في نفوس المسلمين

يتميّز عيد الأضحى بمكانة خاصة في الإسلام؛ إذ يقترن بمناسك الحج وبشعائر الذبح والتقرب إلى الله تعالى، فيجسد معاني الإخلاص، والامتثال، والتضحية، وقد حثّت الأحاديث على تعظيم هذه الأيام لما فيها من فرص للذكر والطاعة والتواصل الإنساني، فكانت أياماً جامعة بين العبادة والفرح، وبين التقوى والعطاء.

ويمكننا بيان أهم المضامين الدعوية والإرشادات الشرعية المستخلصة من أحاديث تعظيم عيد الأضحى المبارك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: إبراز مكانة عيد الفطر باعتباره أعظم أيام السنة.

عيد الأضحى المبارك ذروة الشعائر التعبدية في الإسلام، حيث يجتمع فيه المسلمون على إقامة أعظم أعمال القرب والطاعات، فيرتبط هذا اليوم بأداء فريضة الحج، وإحياء سنة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) في التضحية والفداء، وبالتعبير عن كمال الخضوع لله تعالى وإظهار الشكر له على ما أنعم به من هداية وتوفيق، وقد وصف النبي (ﷺ) هذا اليوم بأنه "أفضل الأيام عند الله"، لما يتضمنه من شعائر جليلة تجمع بين عبادة القلب والجوارح، بين الذكر والنحر، وبين التضرع والعمل، وذلك كما روى أبو داود (رحمته الله) عن عبد الله بن قرط (رحمته الله) أن النبي (ﷺ) قال: (إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ)^(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب المناسك - باب الهدي إذا عطب قبل أن يبلغ، ١٨٠/٣، برقم: (١٧٦٥)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح".

وهذا الحديث وإن لم يرد في (الصحيحين)، إلا أن العلماء قرّروا بمجموع النصوص أن أفضل الأيام عند الله تعالى هو يوم الأضحى المبارك (يوم النحر)، كما دلّ عليه هذا الحديث صراحةً، وأيدته نصوصٌ أخرى صحيحة في بيان مكانة هذا اليوم وعِظَم شأنه^(١).

وفضلاً عن ذلك، فقد وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرها تُبيّن فضل أيام التشريق، وتؤكد أنها أيام فرح مشروع وذكرٍ لله تعالى، لا أيام صيام ولا إمساك، كما في قوله (ﷺ): (أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ لِلَّهِ)^(٢). وبذلك يتّضح أن الشريعة جعلت الفرح في هذه الأيام عبادةً مشروعة، مقترنةً بذكر الله تعالى وشكره، فيتحقق التوازن بين بهجة العيد وروح التعبد، دون انفلاتٍ أو إسراف.

ويوم النحر هو اليوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الحج الأكبر الذي تقع فيه معظم أعمال النسك من الرمي والنحر والطواف والحلق^(٣). أما يوم الفَرِّ، فهو اليوم الذي يليه؛ وسُمّي بذلك لأنّ الحجاج يقرّون فيه بمنى بعد إتمام الأعمال العظام، فيستقروّن للراحة والذكر وشكر الله تعالى^(٤).

(١) يُنظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن المظاهري، ج ٣، ص ٣٢٢؛ الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ٢٤٤/٥.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام باب تحريم صوم أيام التشريق، ٨٠٠/٢، رقم ١١٤١.

(٣) يُنظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠٣م، ١٨٨/٤.

(٤) يُنظر: فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي مكتبة لينة - دمنهور، ومكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، ٣٠٥/٢.

وتدل هذه الدلالة النبوية على أن فضيلة يوم النحر لا تقتصر على كونه يوم العيد فحسب، بل تمتد إلى رمزيته الكبرى في التعبير عن إخلاص العبودية، وارتباطه بمناسك الحج التي تمثل ذروة القرب إلى الله.

ومن تأمل النص النبوي وجد أن التفضيل هنا قائم على اجتماع أعظم مقاصد الدين في هذا اليوم؛ فالنحر مظهر للتوحيد وإحياء سُنَّة الخليل، والذكر شكر للنعمة^(١)، والاجتماع في الصلاة والخطبة تذكير بوحدة الأمة، كما يتبين لنا أن يوم الأضحى ليس مجرد يوم فرح، وإنما هو يوم توبة وامتنال وتجديد للعهد مع الله تعالى.

وقد ذهب العلماء إلى أن يوم النحر سُمِّي بالحج الأكبر لما اجتمع فيه من الشعائر الكبار، كذبح الهدي وطواف الإفاضة ورمي الجمار، وكلها ترمز إلى تجريد النفس من علائق الدنيا وإخلاص العمل لله تعالى، كما أن هذا اليوم يعقب أياماً من التهيئة الروحية في عرفات والمشعر الحرام، فتكون فيه قلوب الحجاج والمسلمين في أوج الصفاء والإقبال، ولهذا كان أعظم الأيام عند الله؛ لأنَّ العبادة فيه تبلغ كمالها بالقول والعمل والتضحية والذكر^(٢).

وكلما عظم المسلم يوم النحر وأيام التشريق في نفسه وفعله وذكره، ازداد قرباً من الله؛ لأنَّ التعظيم ليس بالمظاهر وحدها، وإنما بعمق الفهم لمعنى النسك والذبح والذكر، فالنحر رمز للفداء، والقرّ رمز للسكينة، وأيام التشريق رمز لاستمرار الذكر، وكلها تشكل منظومة عبودية متكاملة تُذكر المسلم؛ بأنَّ حياته كلها ينبغي أن تكون طاعة لله، وأن الفرحة الحقيقي وهو لا يتحقق إلا بالقرب منه

(١) يُنظر: فقه الإسلام: شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٢/٢١٦.

(٢) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦هـ، ٣/٢.



سبحانه، وقد قال رسول الله (ﷺ): (يَوْمَ عَرَفَةَ وَيَوْمَ النَّحْرِ وَأَيَّامَ النَّشْرِ عِيدُنَا أَهْلَ الْإِسْلَامِ، وَهِيَ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشَرَبٍ)^(١).

وبذلك يظهر أن تعظيم عيد الأضحى إنما هو تعظيم للمعاني الإيمانية التي تجلّت فيه، وأن أفضلية هذا اليوم ليست من جهة الزمن وحده، بل من جهة ما اشتمل عليه من عبودية خالصة وتوحيدٍ وتجديدٍ للعهد مع الله تعالى، وهو ما يجعل عيد الأضحى وأيام التشريق من أعظم مواسم الإيمان والذكر في الإسلام.

ثانياً: إظهار مكانه الأضحى كشعيرة تعبدية مرتبطة بتوحيد الله وشكر نعمه.

تحتل الأضحى موقعاً مركزياً في شعائر عيد الأضحى المبارك، إذ إنّها تعبر عن كمال العبودية لله تعالى وتجديد عهد التوحيد الذي أرساه سيدنا إبراهيم (عليه السلام) حين استجاب لأمر ربه في التضحية بابنه، فجاء الإسلام ليخلّد هذا الموقف رمزاً للتسليم المطلق لله كما قال تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾^(٢).

إشارة لما فيها من إشارة إلى اقتران الصلاة وهي أرفع مظاهر العبودية القلبية- بالنحر، وهو أظهر صور القرب العملي، لتجتمع العبادة القولية والفعلية في سبيل توحيد الله وشكره، فكأنه قال تعالى له (ﷺ) فاعبد ربك ولا تعبد غيره، وانحر له ولا تتحر لسواه من الأصنام والأوثان والأنصاب حسبما كانت عليه العرب وقريش في جاهليتها^(٣).

(١) سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ٥٤٨/١. رقم ٢٤١٩. أخرجه أبو داود في سننه والترمذي والنسائي.

(٢) سورة الكوثر: ٢.

(٣) يُنظر: أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ٤/٤٥٨.



وقد وضع لنا ابن عاشور (رحمه الله) أن اقتران الصلاة بالنحر في سورة الكوثر له دلالة خاصة تتناسب مع مضمون السورة وغرضها، إذ جاء الأمر بالنحر عقب الامتتان الإلهي على النبي (ﷺ) بالعطاء الكثير، فيكون النحر هنا شكرًا عمليًا على النعمة، مثلما كانت الصلاة تسبيحًا وشكرًا قلبيًا، فضلاً عن كونه تسليّة للنبي (ﷺ) عمّا لاقاه من صدّ المشركين له عن البيت الحرام في الحديبية، إذ بشره الله تعالى بما سيأتيه من الخير والنصر، كما بشره من قبل بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾^(١)، مما يجعل النحر في هذا السياق مظهرًا من مظاهر الشكر على النصر والتمكين الإلهي^(٢).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ﴾^(٣)، تأكيد على أن الأضحية ليست مجرد طقسٍ ماديٍّ أو عادةٍ اجتماعية، بل عبادة محضة يُراد بها إخلاص النية وصدق التوجه، ولهذا كانت الأضحية من شعائر الله التي ينبغي تعظيمها^(٤)، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٥).

(١) سورة الفتح: ١.

(٢) يُنظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٥٧٤/٣٠.

(٣) سورة الحج: ٣٧.

(٤) يُنظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو (ت ١٤٤٢هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ٤٤٢/٢. والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ص ٧٣٤.

(٥) سورة الحج: ٣٢.

يقول الغزالي (رحمه الله) في وصف شعائر يوم النحر: (ثم إذا أصبح يوم النحر يخلط الحاج بين التلبية والتكبير، فيلبي تارة ويكبر أخرى، حتى يصل إلى منى ومواضع الجمرات الثلاثة. يتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر، حتى ينتهي إلى جمرة العقبة على يمين المستقبل للقبلة في الجادة، وهي مرتفعة قليلاً في سفح الجبل، واضحة للعيان. ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بسبع حصيات، رافعاً يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة: الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان، اللهم تصديقاً بكتابك واتباعاً لسنة نبيك. وعقب إتمام الرمي يقطع التلبية والتكبير إلا التكبير، من بعد صلاة ظهر يوم النحر وحتى عقب الصبح من آخر أيام التشريق، ولا يقف في هذا اليوم للدعاء، بل يدعو في منزله)^(١).

ويُظهر هذا الوصف تفاعل الفرد مع الشعيرة بين التكبير والتلبية والرمي، موضحاً كيف يُمارَس عبادة الله بالتكامل بين الطقوس الفردية والجماعية، ما يجعل يوم النحر تجسيداً عملياً لشكر الله وإتمام الطاعة.

ثالثاً: الدعوة إلى إحياء سنة التكبير والتهليل في أيام التشريق، وربطها بالذكر الجماعي.

إنَّ أيام التشريق هي امتداد روحيّ لأيام النحر، وقد سماها الله تعالى "الأيام المعدودات" في قوله: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾^(٢)، وهي الأيام الثلاثة التي تلي يوم العيد، يُشرع فيها الإكثار من التكبير والتهليل والتحميد^(٣).

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢٥٦/١.

(٢) سورة البقرة: ٢٠٣.

(٣) يُنظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ١١٦/١.



والمقصد الدعوي من هذا الذكر الجماعي أن يبقى المؤمن حاضر القلب بذكر الله بعد أداء النسك، فيتربى على دوام الشكر واستحضار عظمة المعبود^(١). وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي (ﷺ) قال: (أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلِ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ)^(٢).

ففي هذا الحديث توجيه نبوي شريف دعوي إلى الجمع المباح من متاع الدنيا (الأكل والشرب) وبين الذكر الدائم لله، ليبقى الإنسان متوازناً بين روحه وجسده، فلا يُغفل جانب العبادة في زمن السرور^(٣).

وقد نقل عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وابن عمر (رضي الله عنهما) وأبي هريرة (رضي الله عنه) أنهم كانوا يكبرون في منى عقب الصلوات، فيرتجّ الموقف بالتكبير، فيكون الذكر سمة جماعية تعبّر عن وحدة الأمة في طاعتها لله تعالى^(٤).

ولهذا يُستحبّ للمسلمين إحياء سُنَّةِ التكبير في المساجد والمنازل والأسواق، إظهاراً لشعائر الإسلام وتعظيماً لأيام الذكر.

رابعاً: توجيه المسلمين نحو استثمار هذه الأيام في صلة الأرحام والتوسعة على الأهل.

إنّ المتأمل في نصوص الشريعة الإسلامية وما تحتويه من تشريعات ومقاصد يجد أنّ الأعياد هي ليست مواسم للعبادات الفردية، وإنما هي مناسبات اجتماعية تُبعث فيها القيم العليا من التراحم والمواساة وصلة الأرحام، فالعيد في

(١) يُنظر: الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، ١/٥٦٢-٥٦٧.

(٢) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، كتاب الصيام، باب تحريم صوم أيام التشريق، رقم ١١٤١، ٢/٨٠٠.

(٣) الاستذكار، للقرطبي، ٤/٢٣٨.

(٤) يُنظر: تيسير البيان لأحكام القرآن، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، المشهور بـ (ابن نور الدين) (ت ٨٢٥هـ)، بعناية: عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ١/٢٥٩.





الإسلام ليس فرحاً دنيوياً عابراً، وإنما فرحٌ بطاعة الله وتمام النعمة، قال تعالى:

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾^(١).

ومعنى الفرح هنا هو لذة في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، يقول:

ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته، فإن ما آتاهم الله من الموعظة وشفاء ما في الصدور، وتلج اليقين بالإيمان، وسكون النفس إليه، خير مما يجمع غيرهم من أعراض الدنيا مع فقد هذه الخلال^(٢).

كما أنّ المقاصد الدعوية للعيد إدخال السرور على الأهل والعيال وإكرام الجار والفقير، وهي معانٍ رسّخها النبي (ﷺ) قولاً وفعلًا، فقد كان يوسّع على أهله ويأمر أصحابه بالتوسعة في هذه الأيام المباركة، وقد ثبت عنه (ﷺ) أنه قال:

(أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرِ لِلَّهِ)^(٣).

وفي هذا توجيه نبويّ دعويّ بليغ إلى الجمع بين متعة الجسد وطمأنينة الروح؛ إذ يلتقي الفرح المشروع مع الذكر والشكر في تناغمٍ بدعيّ يعكس توازن التصور الإسلامي للإنسان بين حاجاته المادية والروحية، وإذا كان من مقاصد العيد إدخال السرور على الناس، فإنّ كلّ عملٍ يُبهج قلبَ المسلم يدخل في دائرة القُرْبَات؛ لذلك يقول (ﷺ): (وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ)^(٤).

(١) سورة يونس: ٥٨.

(٢) يُنظر: التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه خمس عشرة رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، ٢٣٢/١١.

(٣) سبق تخريجه: ص ١٢٥.

(٤) المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ١٣٩/٦، رقم ٢٠٦٧.



وفي العيد تتحقق معاني التآلف الاجتماعي؛ إذ يتبادل الناس التهنئة والدعاء، ويتواصل الأقارب بعد انقطاع، فتزول الضغائن وتُستبدل المودة بالمصافحة والتبسم، ومن هنا كان استثمار هذه الأيام في صلة الرحم من أعظم القربات، يقول النبي (ﷺ): ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ))^(١)، فالعيد فرصة لإحياء هذا المعنى الإيماني في صورة جماعية راقية، تجمع بين فرح الطاعة وبهجة اللقاء، في إطار من الاعتدال والانضباط الشرعي، بعيداً عن المظاهر المترفة أو السلوكيات الخارجة عن حدود الأدب الإسلامي، فالله سبحانه يبقي أثر واصل الرحم مدة طويلة في الدنيا، وأنه لا يضمحل^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب البيوع باب من أحب البسط في الرزق، رقم ٢٠٦٧، ٥٦/٣.
(٢) يُنظر: شرح مصابيح السنّة للإمام البغوي، محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا الرومي الكرمانلي الحنفي، المشهور بابن الملك (ت ٨٥٤هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ٢٧٨/٥.

المطلب الثالث

إظهار الأبعاد التعبدية في التعامل مع الظواهر الكونية

يُظهر الإسلام في توجيهاته للظواهر الكونية توازنًا دقيقًا بين العلم والإيمان؛ إذ يدعو إلى النظر في آيات الله في الكون باعتبارها دلائل على قدرته، لا مجرد حوادث طبيعية بلا معنى، فجعل النبي (ﷺ) من الكسوف والخسوف عباداتٍ وفرصًا للتذكر والخشوع، لا للتطير والتشاؤم، ومن خلال هذا المطلب سأقوم بعرض أبرز المضامين المستنبطة من الأحاديث المتعلقة بالظواهر الكونية، وذلك على وفق الآتي:

أولاً: بيان أن الكسوف والخسوف آيتان من آيات الله تظهران عظمة الخالق وقدرته.

تُعَدُّ الظواهر الكونية الكبرى - كالكسوف والخسوف - من الآيات العظيمة التي يُظهر الله تعالى بها جلال قدرته وعظيم سلطانه، لتكون موضعَ تذكّرٍ وتأملٍ وخشوع، لا مجالَ فيها للخرافة أو الوهم.

وقد أرشد النبي (ﷺ) أمته نحو التعامل التعبدي السليم معها، فبيّن أنها ليست حوادث عشوائية ولا مظاهر مرتبطة بموت أحد أو حياته، وإنما هي آيتان من آيات الله يخوف بهما عباده، فقد ثبت في الصحيحين عن النبي (ﷺ) أنه قال: (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، يَخَوِّفُ اللَّهُ بِهِمَا عَبْدَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ، فَصَلُّوا وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بَكُمْ)^(١).

ويُعَدُّ هذا الحديث أصلاً في بيان الموقف الشرعي من ظاهرتي الكسوف والخسوف، وهو من النصوص الجامعة التي تجمع بين التوحيد العقدي والسلوك التعبدية والوعي العلمي، ويمكن النظر في دلالاته من وجوه عدّة:

(١) سنن النسائي، باب الأمر بالدعاء في الكسوف، ٣٣/٢، رقم ١٥٠٢.

١- قوله (ﷺ): (إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) يشير إلى أن هذين الجرمين العظيمين ليسا مجرد ظاهرتين فلكيتين، بل علامتان دالتان على عظمة الخالق وقدرته، والآية في اللغة هي العلامة الظاهرة، أي إنها مخلوقان من مخلوقات الله، مسيرران بأمره، لا تأثير لهما بذاتهما، ولا تصدر عنهما أفعال مستقلة، فخصّ النبي (ﷺ) فذكرهما؛ لأنّ الناس في الجاهلية كانوا يعتقدون أن الكسوف والخسوف يحدثان لموت عظيم أو لمصيبة عامة، فصحّح النبي (ﷺ) هذا التصور وردّه إلى حقيقة التوحيد: أنّ كل ما في الكون من حركة أو سكون إنما هو بإرادة الله وحده لا شريك له^(١).

٢- قوله (ﷺ): (يَخَوْفُ اللَّهُ بِهِمَا عِبَادَهُ) يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمَقْصِدَ الدَّعَوِيَّ مِنْ هَذِهِ الظُّوَاهِرِ لَيْسَ الرَّعْبُ الْحَسِّيُّ، بَلِ الْخَوْفُ التَّعْبِدِيُّ الَّذِي يورث الخشوع والرجوع إلى الله، فالكسوف تذكيرٌ بضعف الإنسان أمام جلال الله (عزّ وجلّ)، وتنبيهٌ إلى أن الكون بأسره خاضعٌ لقدرة الخالق الذي يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَيَبْدِلُ نَوْرَ الشَّمْسِ وَظِلْمَةَ الْقَمَرِ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا﴾^(٢)، ومن ثمّ فالمؤمن إذا رأى مثل هذه الآيات وجب عليه أن ينتقل من مقام الغفلة إلى مقام الذكر والاعتبار^(٣).

(١) يُنْظَرُ: الإِعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقي، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ٢٨٢/٤.

(٢) سورة الإسراء: ٥٩.

(٣) يُنْظَرُ: الإِعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن، ٢٨٢/٤.

٣- ما ورد في الحديث من الأمر بالصلاة والدعاء عند الكسوف: (فَإِذَا رَأَيْتُمْ كُسُوفَ أَحَدِهِمَا فَصَلُّوا ، وَادْعُوا حَتَّى يَنْكَشِفَ مَا بِكُمْ)^(١)، يدل على أن العبادة هي الاستجابة الوجودية الصحيحة أمام التغيرات الكونية، لا الفزع ولا الخرافة، فالتحوّل الكوني يقابله في الإنسان تحوّل روحي نحو الله تعالى، بالصلاة والذكر والاستغفار، فيتحوّل الخوف الطبيعي إلى خشية إيمانية مثمرة، وقد روي أن النبي (ﷺ) كان إذا كسفت الشمس قام فزعاً إلى الصلاة، يطيل الركوع والسجود، حتى تتكشف^(٢)، وهو يذكر الناس قائلاً: (فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا ، وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا)^(٣).

ففي هذا التوجيه الدعوي النبوي دعوة إلى الله (ﷻ) تحويل للحدث الفلكي إلى درس إيماني وتربوي، يُظهر تكامل الدين مع سنن الكون، ويؤكد أن الإيمان لا يتنافى مع المعرفة العلمية، بل يوجّهها نحو الغاية المقصودة: معرفة الله وخشيته، وكذلك فيه: أن الإمام يلزمه عند الآيات موعظته للناس ويأمرهم بأعمال البر وينهاهم عن المعاصي، ويذكرهم نقمات الله. وفيه: أن الصدقة والصلاة والاستغفار تكشف النقم، وترفع العذاب^(٤).

كما تدلّ ظواهر الكسوف والخسوف على دقة النظام الكوني الذي أودعه الله في خلقه؛ إذ تجريان وفق سنن ثابتة أودعها الله تعالى في خلقه، فلا تزيغ الشمس ولا ينحرف القمر عن مداريهما المرسومين، قال الله تعالى:

(١) سنن النسائي سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، دار المعرفة ببيروت، الخامسة، ١٤٢٠هـ، كتاب الكسوف - باب الأمر بالدعاء في الكسوف، رقم ١٥٠١، ٣ / ٢٣٩، قال النسائي: إسناده صحيح.

(٢) يُنظر: الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن، ٢٨٢/٤.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الكسوف، باب الصدقة في الكسوف، ٣٤ / ٢، رقم ١٠٤٤.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٣٣ / ٣.

﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(١)، أي يجريان بحساب دقيق مقدّر لا يختلّ، وقال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢)، أي إلى غاية محددة قدرها الله تعالى في علمه، فإذا انتهى الأجل المسمّى، تكوّرت الشمس وانكدرت النجوم كما أخبر سبحانه في قوله: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾^(٣) و﴿إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٤).

فالكسوف والخسوف مشهذان من مشاهد الانتظام الكوني التي تُظهر كمال التدبير الإلهي في حركة الأجرام السماوية، وفي الوقت ذاته يذكران الإنسان بعجزه وضعفه أمام عظمة الخالق، فيتأمل في ملكوت الله تعالى ويزداد إيماناً وتسبيحاً^(٥)، كما قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦).

ثانياً: الدعوة إلى إحياء سنة إقامة صلاة الكسوف والخسوف بالذكر والاعتبار.

لقد جعل الإسلام لظاهرة الخسوف والكسوف عبادةً مخصوصة تُظهر الخشوع والخضوع، حيث كان النبي (ﷺ) يدعو إليها الناس جماعة في المسجد عند حدوثها، فيقوم بهم قياماً طويلاً وركوعاً وسجوداً ممتداً، في صورة تعبّر عن الوقوف الطويل بين يدي الله عند نزول الآيات، فقام النبي (ﷺ) (يَجُرُّ رِدَاءَهُ، حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَدَخَلْنَا، فَصَلَّى بِنَا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى انْجَلَتْ الشَّمْسُ)^(٦).

(١) سورة الرحمن: ٥.

(٢) سورة لقمان: ٢٩.

(٣) سورة التكويد: ١ - ٢.

(٤) يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١/١٠٥٨.

(٥) سورة غافر: ٥٧.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الكسوف - باب الصلاة في كسوف الشمس، ٣٣ / ٢، رقم ١٠٤٠.

ويُعرّف العلماء الكسوف بأنه التغيّر إلى السواد، فيقال: كسف وجهه وكسفت الشمس، أي اسودّ وجهه وذهب ضوءها. وجاء في الاستعمالين: كسفت بفتح الكاف وانكسفت، غير أن البعض أنكر استعمال (انكسفت)، وحكي أيضاً (كُسفت) بالضم، وهو نادر^(١).

وقد ورد في الحديث: (يجر رداءه)، وزاد بعضهم: (من العجلة)، كما روى البعض زيادة: (فخطبنا)، وجاء في رواية: (رأيتموها) بالثنية، أي الشمس والقمر، وهو ما يدلّ على تنوّع الروايات اللفظية في وصف هذا الحدث الكوني العظيم^(٢). قد جاء اهتمام النبي (ﷺ) بهما لأنهما من الآيات العظيمة التي تُذكّر الناس بقدرة الله وتوقظ القلوب من الغفلة.

ولأن وقوعهما مظنة خوفٍ واضطراب، فشرعت العبادة فيهما لربط الناس بالله وإصلاح حالهم.

ومن فقه هذه الظاهرة العجيبة السنّة الكونية أن تُعلن المساجد أوقات الصلاة عند حدوث الكسوف أو الخسوف في العصر الحديث بالوسائل المتاحة، وأن تُذكّر الناس بمعناها الإيماني لا بكونها حدثاً فلكياً فحسب، فيجتمع المسلمون على الذكر والدعاء والتوبة كما كان النبي (ﷺ) يفعل عند حدوثهما، وفيه دليل على أن صلاة الكسوف تستدام حتى تتجلي الشمس^(٣).

(١) يُنظر: لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٢٩٨/٩؛ ومعجم الصواب اللغوي: دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، ١٦٧/١.

(٢) يُنظر: التوشيح شرح الجامع الصحيح، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ٩٣٠/٣.

(٣) يُنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلمي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق لمكتب تحقيق دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٢٧٥/٩.



والمقصد الدعوي من الحديث: بيانُ المبادرةِ إلى العبادة عند نزول الآيات الكونية؛ فقد بادر النبي (ﷺ) إلى صلاة الكسوف ليُريَ الأمة على تعظيم أمر الله واللجوء إليه.

كما يدلّ على الدعوة العملية بالقُدوة؛ إذ خرج مسرعاً يجرّ رداءه، فكان فعله أبلغ من القول في حثّ الناس على الصلاة.

ويؤكد ربط الناس بالآخرة والتذكير؛ لأن صلاة الكسوف شرعت للتخويف والاعتبار. وفيه ما كان (ﷺ) عليه من خوف الله تعالى، والمبادرة إلى طاعته، فقام يجرّ رداءه من شدة الخوف والمبادرة، وإنما الذم في جرّ الثوب خيلاء، وإبطال اعتقاد أنّ الكسوف لموت أحد من العظماء^(١).

ثالثاً: توجيه المسلمين لربط هذه الأحداث بالخوف من الله، لا بالخرافات.

لقد نهى النبي (ﷺ) صراحةً عن الاعتقاد الجاهلي الذي كان يربط بين هذه الظواهر وموت العظماء أو ولادة الكبار، فقال (ﷺ): (لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ)^(٢).

وفي ذلك تصحيحٌ لمسار الفكر البشريّ نحو إفراء الله تعالى بالعبادة، وإبطالٌ للموروثات الخرافية التي تُفسد الوعي الديني وتضعف الصلة بالله، فضلاً عن أن فيه رد على مزاعم الجاهلية الذين يقولون: إذا كسفت الشمس وخسف القمر إنما هو لموت عظيم، بينما الحق أنهما آيتان من آيات الله^(٣).

(١) ينظر: اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لشمس الدين البرزماوي، ٤ / ٤٥٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الكسوف باب لا تتكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته، ٣٨/٢، رقم ١٠٥٧.

(٣) يُنظر: شرح المحرر في الحديث، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، المكتبة الشاملة، د.ت.ط، ٣/٥٠.



ولما كانت الجاهلية تعتقد أن الشمس والقمر ينخسفان لموت عظيم، والمنجمون يعتقدون تأثيرهما في العالم، وكثير من الكفرة يعظمونها لكونهما أعظم الأنوار حتى أفضى الحال إلى أن عبدهما كثير منهم؛ خصهما النبي (ﷺ) بالذكر، تنبيهًا على سقوطهما عن هذه المرتبة، لما يعرض لهما من النقص، وذهاب ضوئهما الذي عظم في النفوس من أجله^(١).

وقد جاء أيضًا في حديث مشتمل على سبب الكسوف قوله (ﷺ): (إِنَّ نَاسًا يَرْعُمُونَ أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ إِلَّا لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنَّهُمَا آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا تَجَلَّى لَشَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ خَشَعَ لَهُ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا كَأَحَدٍ صَلَاةٍ صَلَّيْتُمُوهَا مِنَ الْمَكْتُوبَةِ)^(٢)، فبين النبي (ﷺ) أن هذا باطل لنلا يفترخوا بأقوالهم لاسيما فقد صادف موت إبراهيم ابن رسول الله (ﷺ)^(٣).

(١) يُنظر: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٩٩/٣.

(٢) سنن النسائي، كتاب المساجد - كتاب كسوف الشمس والقمر - نوع آخر من صلاة الكسوف، رقم ١٨٨٣، ٢/ ٣٤٦. قال النسائي: إسناده ضعيف لانقطاعه. قال الألباني: ضعيف.

(٣) يُنظر: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦هـ)، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠هـ)، دراسة وتحقيق وتخريج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيان، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ٧٢٨/٩.



فالموقف الشرعيّ والمقصد الدعوي من هذه الآيات أن تُستقبل بالخوف والرجاء والإنابة، لا بالذعر ولا بالأساطير، وأن يُتخذ منها وسيلة لتجديد العهد مع الله تعالى، فهي -كما وصفها النبي (ﷺ) دعوة إلى الصلاة والدعاء والاستغفار والصدقة، إذ قال (ﷺ): (فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ)^(١).

(١) صحيح البخاري، كتاب الكسوف - باب الذكر في الكسوف رواه ابن عباس رضي الله عنهما، ٣٩ / ٢، رقم ١٠٥٩.

المطلب الرابع

تعميق البعد الروحي في استقبال المطر والتعامل مع النعم

يُعَدُّ المطر من أعظم النعم التي يُفيضها الله على عباده، فقد جاءت الأحاديث لتربي في المسلم وعيًا دينيًا راسخًا من خلال النظر إلى هذه النعمة، بحيث يتجاوز الفرح الحسي إلى إدراك المعنى الروحي، فيشكر الله عند نزوله، ويدعوه عند انحباسه، ويستحضر دومًا أن المطر آية من آيات الرحمة الإلهية، وسأشرح بعرض ابرز الفوائد الدعوية والإرشادات النبوية المستنبطة من الأحاديث النبوية المتعلقة بنعمة نزول المطر وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: إحياء سنه الدعاء والذكر عند نزول المطر.

إنَّ الدعاء عند نزول المطر من السنن النبوية الدالة على عمق الارتباط بين الإيمان والظواهر الكونية، حيث يلتفت المؤمن عند نزول الغيث بالاستغفار والذكر والدعاء المشروع إلى المسبّب لا إلى السبب، فيرى في المطر رحمة الله لا مجرد ظاهرة طبيعية، وقد صحّ عن النبي (ﷺ) أنه كان إذا رأى المطر قال: (اللهم صَيِّبًا نافعًا)^(١)، وهي دعوة جامعة بين العبادة والشكر والخوف والرجاء. فالمطرُ في ذاته ليس خيرًا محضًا ولا شرًّا محضًا، بل يكون نافعًا إذا أنزله الله بقدر ورحمة، وضارًّا إذا تجاوز الحدّ الذي تحتمله الأرض والمخلوقات، كما تشهد بذلك الحوادث والكوارث التي تصحب الأمطار الغزيرة أحيانًا، فجمع النبي (ﷺ) في دعائه بين طلب الخير ودفع الضرر، فقال: (اللهم صَيِّبًا نافعًا)، وهو من جوامع كلمه (ﷺ)^(٢).

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء باب ما يقال إذا مطرت، ٣٢/٢، رقم ١٠٣٢.

(٢) يُنظر: شرح بلوغ المرام، عطية سالم، ١٠٩/٥.

وقد فصل العلماء القول في معنى الصيّب، فقالوا إن أصله صيُوب، وعند علماء الصرف إذا اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون، قُلبت الواو ياءً وأُدغمت الياء في الياء، كما في لفظ جيّد، وأصله جيُود من الجودة. وأصل كلمة الصيب من الإصابة، يقال: صوّب السهم فأصاب الرمية^(١).

وسُمّي المطر صيياً؛ لأنّه ينزل فيصيب الأرض والمكان المقصود، وقد أشار العلماء إلى أنّ من أسماء المطر أيضاً: الويل، والرذاذ، والهتان، وكلها تُطلق بحسب صفات المطر من شدة ورقّة وغزارة وانقطاع^(٢).

كما أن الحديث يدلّ على استحباب الضراعة إلى الله عند نزول المطر، طلباً؛ لأنّ يكون مطرَ رحمةٍ لا عذاب، ولا هدم، ولا غرق، كما يدلّ على استحباب اهتمام المسلمين به واعتباره نعمة عامة تستوجب الشكر الجماعي، فقد ورد في رواية مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أن النبي (ﷺ) كان إذا رأى الغيم أو الريح تغيّر وجهه وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرّاً، وقال: (إِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ عَذَابًا سُلِّطَ عَلَى أُمَّتِي)^(٣)، فكان (ﷺ) إذا رأى المطر قال: (رحمة وخير)^(٤). وخير^(٤).

أما من الناحية اللغوية والبيانية، فلفظ الصيّب بتشديد الياء أصله صيُوب، قُلبت الواو ياءً وأُدغمت كللفظ سيّد، ومعناه المطر الذي يُصوّب أي ينزل ويقع،

(١) يُنظر: تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١٢/١٧٧؛ وكتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٦٦/٧.

(٢) يُنظر: شرح بلوغ المرام، عطية سالم، ١٠٩/٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر، ٦١٦/٢، رقم ٨٩٩.

(٤) يُنظر: فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبه الحمد، ٢٥٧/٢.

وهو من صيغ المبالغة الدالة على الشدة والدوام، وقد أشار الواحدي إلى أن التكرير في قوله (ﷺ) (صبيًا نافعًا) يفيد أنه نوع خاص من المطر، شديد في إنزاله، لكن مقرون بالنفع لا بالضرر، ولذلك كان ختم الدعاء بلفظ نافعًا تمييزًا في غاية الحسن؛ لأنَّ المطر الشديد مظنة الضرر، فجاء الدعاء لتقييده بالنفع^(١). إنَّ هذا الحديث قد ورد مختصرًا في رواية البخاري، ومطوَّلًا عند مسلم عن عطاء عن عائشة (رضي الله عنها)، فالدعاء بـ(اللهم صبيًا نافعًا) يُستحب بعد نزول المطر، شكرًا لله على رحمته، وطلبًا لازدياد الخير، ودفعًا لما يُخشى من الضرر، كما أنَّ في فعل النبي (ﷺ) عند ظهور السحب واشتداد الريح دلالة على كمال خوفه من الله تعالى، ودوام مراقبته، حتى في مظاهر النعمة^(٢).

إذا قول النبي (ﷺ): (صبيًا نافعًا) هو في معنى الدعاء الموطأ، أي الذي يُقصد به وصف الشيء بما يُرجى حصوله فيه، كما في قولك: "زيدٌ رجلٌ فاضلٌ"، فالصفة مقصودة بالإخبار، والمطر هنا مقصود بدعاء النفع لا بمجرد ذكره، فـ(صبيًا) هو المطر النازل بإصابةٍ، و(نافعًا) هو القيد الذي يُحيل المطر من مجرد ظاهرةٍ طبيعية إلى رحمةٍ إلهيةٍ مشهودة^(٣).

كما أن نزول المطر من المواطن التي دلَّت النصوص النبوية على خصوصية الدعاء فيها، إذ ورد في الحديث الشريف عن سهل بن سعد (رضي الله عنه) أن

(١) يُنظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا علي القاري، ١١٠٧/٣.

(٢) يُنظر: كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر الشنقيطي، ٣٨٠/١٠.

(٣) يُنظر: مصابيح الجامع: محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدماميني، وبابن الدماميني (المتوفى: ٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيقًا وضبطًا وتخریجًا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م، ٦٦/٣.



النبي (ﷺ) قال: (تَتَنَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)^(١).

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث أن اجتماع مظاهر الرحمة الإلهية في مثل هذه الأحوال - كرفع الصوت بالأذان والدعاء عند انصباب المطر - يُنبئ عن انفتاح أبواب القبول؛ لأنَّهما يجتمعان على معنى الانكسار والضراعة وعموم الرحمة، فوجه كون الدعاء لا يُردَّ عند نزول المطر أنه وقت تنزل الرحمة، ووقت الإجابة مظنة انصباب الفضل، فناسب أن يكون الدعاء حينئذ أقرب إلى القبول^(٢).

ولذلك اعتبر الفقهاء أنَّ الدعاء عند المطر من السنن المهجورة التي ينبغي إحيائها في المجتمعات الإسلامية، لما فيها من تعميق لشعور التوحيد والافتقار إلى الله، وتذكير بأن المطر ليس حادثًا طبيعيًا مجردًا، بل رحمة مُنزلة من السماء، فالمطر رحمة عامة، فإذا اجتمع معها تضرع العبد وصدق الالتجاء إلى الله، كان مظنة القبول^(٣).

ويُلاحظ في تعاليم السُّنَّة أن المقصود من اغتنام هذه اللحظة التعبدية لا ينحصر في طلب الحاجات الدنيوية، بل في استحضار القرب من الله وشكر نعمته الظاهرة، فالمطر مظهر من مظاهر تجدد الحياة على الأرض، والدعاء فيه يعكس تجدد الحياة الروحية في قلب المؤمن، ولهذا فإن البركة تشمل النماء المادي والروحي، فمن اغتنم وقت نزول المطر بالدعاء فقد جمع بين بركتي

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد - باب الدعاء عند اللقاء، ٤/ ١٩٣، رقم: (٢٥٤٠)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط، "حديث صحيح. وهذا إسناد حسن في المتابعات والشواهد".

(٢) يُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين المناوي، ٣/ ٣٤٠.

(٣) يُنظر: فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبه الحمد، ٢/ ٢٥٧.





الأرض والسماء، والبركة في حياته، ويدخل فيها البركة في طعامه، وشرابه، وكسوته، وأهله، وعمله^(١).

ثانياً: تنمية الشعور بالافتقار إلى الله عند انحباس المطر أو الحاجة إلى الغيث، والرجوع إليه بالدعاء والاستغفار.

يُعدّ انحباس المطر من الابتلاءات التي تُظهر ضعف الإنسان وحاجته المطلقة إلى خالقه، وتُوقظه إلى حقيقة الفقر الذاتي الملازم له في وجوده ومعاشه، فالقرآن الكريم يربط بين القحط والذنوب، وبين الغيث والتوبة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، أي لوسعنا عليهم الرزق من كل جهة بسبب تقواهم وطاعتهم لله، كما أن المعصية تكون سببا في الحرمان وانحباس القطر^(٣).

وهنا يظهر البعد التربوي والمقصد الدعوي في ظاهرة انحباس المطر، إذ إنها ليست مجرد تغير مناخي، بل رسالة إلهية لإحياء روح الاستغفار والرجوع إلى الله في المجتمع، كما قال النبي (ﷺ): (وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا)^(٤).

إنّ انحباس المطر كان يدفع النبي (ﷺ) وأصحابه إلى صلاة الاستسقاء، وهذه السُنَّة النبوية هي مظهر عملي من مظاهر الافتقار الجماعي إلى الله، فقد

(١) يُنظر: فتح الرحيم في الصلاة والسلام على النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن خليفة التميمي، انتقاؤه واعتنى به: عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد، دار الأمجاد - دار المتميز، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ص ٥١.

(٢) سورة الأعراف، ٩٦.

(٣) يُنظر: تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٥٣/٣.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الفتن - باب العقوبات، ٥/ ١٥٠، رقم: (٤٠١٩)، قال قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "حسن لغيره وهذا إسناد ضعيف".



أورد البخاري عن عبد الله بن زيد أن النبي (ﷺ) (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَاسْتَسْقَى فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَقَلَبَ رِءَاءَهُ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ) (١).

وقد أشار ابن حجر في شرحه لهذا الحديث إلى أن في تحويل الرءاء إشارة إلى تحويل الحال من القحط إلى الخصب، ومن الضيق إلى السعة، واستمداد للبركة بظهور الضعف والافتقار (٢).

فالمقصود الدعوي والتربوي من الاستسقاء ليس مجرد طلب المطر، بل هو إعلان رمزي عن حاجة الأمة إلى الله، وتطهير قلوبها من الغفلة والعُجب، وتجديد عهدها بالعبودية والتسليم.

كما يؤكد العلماء أن الدعاء عند القحط لا يتحقق أثره إلا إذا اقترن بالإجابة الصادقة وإصلاح الظاهر والباطن، إذ الاستغفار هو مفتاح الغيث، كما قال تعالى على لسان نبيه نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١﴾ (٣)، فقد جعل الله عز وجل الاستغفار سبباً للغيث والبركة؛ لأنَّ الذنوب تحجب الرزق، والطاعة تفتح أبوابه، فإذا تاب العباد أُعيدت إليهم النعمة (٤).

ومن هنا فالدعاء في أوقات الجفاف ليس دعاءً شكلياً، بل هو توبة جماعية، ومراجعة للنفس وللمجتمع في علاقته بالله تعالى.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب تحويل الرءاء في الاستسقاء، ٢٧/٢، رقم ١٠١٢.

(٢) يُنظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة،

مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ٢٠٤/٢.

(٣) سورة نوح، ١٠-١١.

(٤) يُنظر: تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية،

١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ٨/٢٣٢-٢٣٤.

ويُظهر تأمل النصوص النبوية أن الافتقار عند انحباس المطر لا يُراد به مجرد الإحساس بالعجز، بل استشعار العبودية الكاملة لله، الذي بيده تصريف السحاب وإنزال القطر، وقد ورد عن أنس رضي الله عنه أنه قال: (دخل رجل يوم الجمعة والنبي ﷺ) يخطب فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْكُرَاعُ، هَلَكَ الشَّاءُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَنَا، فَمَدَّ يَدَيْهِ ﷺ) وَدَعَا يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ اسْقِنَا، فَمَطَرُوا إِلَى الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ^(١).

ففي رفع اليدين هنا إظهار الافتقار إلى المولى سبحانه، فإن رفع اليدين هيئة السائل الدليل أمام سيده العظيم الكريم، وهي من أعظم أسباب الإجابة^(٢). وعليه فالمطر في المفهوم النبوي ليس مورداً مادياً فقط، بل آية من آيات التوحيد التي تربط السماء بالأرض، والعبودية بالقدرة الإلهية المطلقة.

ثالثاً: تصحيح المفاهيم الخاطئة حول نزول المطر.

لقد اعتنى الإسلام بتصحيح التصورات المنحرفة التي قد تُلحق بالظواهر الكونية أسباباً مستقلة عن مشيئة الله تعالى، ومن أبرزها ما يتعلق بنزول المطر؛ إذ يقع بعض الناس في نسبة الغيث إلى الكواكب أو المواسم أو غيرها من الأسباب الطبيعية، نسياناً لمصدر القدرة الأولى، وقد جاء التصحيح النبوي الحاسم لهذا الانحراف في الحديث الصحيح: (قَالَ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنُوءٍ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)^(٣).

ويظهر من الحديث أن الكفر الحقيقي هو ما يعارض الإيمان بالله تعالى، فيحمل على من اعتقد أن المطر من فعل الكواكب أو خلقها، لا من فعل الله

(١) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب رفع اليدين في الخطبة، ١٢/٢، رقم ٩٣٢.

(٢) يُنظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ٥٥٣/٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون،

٣٣/٢، رقم ١٠٣٨.

تعالى، كما يعتقد بعض المنجمين والطبائين وبعض العرب في الجاهلية؛ أمّا من اعتقد أن الله تعالى هو الخالق الحقيقي وهو للمطر، وتكلم بالقول المذكور خطأً، فليس بكافر، ولكنه مخطئ من وجهين^(١):

١. الأول أنه خالف الشرع الذي حذر من هذا الإطلاق.

٢. الثاني أنه تشبه بأهل الكفر في قوله، وهو ما لا يجوز؛ إذ أمرنا الله بمخالفة المشركين واليهود ونهانا عن التشبه بهم.

فبدل ذلك على أن التشبه بهم في الألفاظ والأفعال ممنوع، حتى وإن قصدنا به الخير، لتفادي الذريعة والالتزام بأوامر الله في مخالفة أهل الكفر في الأفعال والأقوال.

ويظهر في هذا التوجيه النبوي الربط بين الاعتقاد الصحيح في توحيد الله تعالى وبين النظرة العلمية إلى الأسباب، فالإسلام لا ينكر الأسباب الطبيعية، لكنه يربطها دوماً بإرادة الله المطلقة.

وقد أشار علماء التفسير إلى أن القرآن قد نبّه إلى خطورة هذا الخلط في النسبة، حين عرض مواقف الأمم السابقة من الظواهر الكونية، فقال تعالى على لسان قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾^(٢)، فظنّوا أن السحاب الذي أقبل عليهم فيه مطر ورحمة، فاستبشروا به، وما علموا أنه عذاب أليم، وفي هذا تنبيه للمؤمنين ألا يغتروا بالظواهر، وأن يجعلوا قلوبهم معلقة بمشيئة الله وحده^(٣).

(١) يُنظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، ٢٥٩/١.

(٢) سورة الأحقاف، ٢٤.

(٣) يُنظر: إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنّة (ت ٥٣٥هـ)، قدم له ووثق نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، بدون ناشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص ٣٧٧-٣٧٩.

فالتعلق بالمطر من حيث كونه ظاهرة مادية فحسب يُعدّ من صور الغفلة عن المسبب الحقيقي وهو الله تعالى؛ وبذلك حرصت السُنَّةُ على ربط نزول الغيث بالاستغفار والذكر والدعاء المشروع.

وإن من أبرز مظاهر الانحراف التي حذّر منها العلماء نسبة المطر إلى مجرد الحظ أو المصادفة أو "الطبيعة"، وهي تعبيرات تُضعف صلة العبد بربه جل وعلا، وتتنافى مع مقتضى الإيمان بالقضاء والقدر، إذ إن في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ﴾^(١)، دلالة على أن المطر لا ينزل جزافاً، ولا بطبيعة كما زعم أهل الإلحاد، وإنما هو بتقدير وحكمة وإرادة، يضعه الله حيث يشاء ومتى يشاء^(٢).

من المفاهيم التي يجب أن تصح:

كثر الكلام حول مشروع هرب حتى أنهم بدأوا ينسبون نزول الغيث لهذا المشروع الوهمي ونسوا قدرة الله سبحانه وتعالى، ولو وضعت آيات أكثر عن نزول الغيث مثلاً:

١. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾^(٣).
٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٤).
٣. ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٥).

(١) سورة المؤمنون، ١٨.

(٢) يُنظر: لباب التفاسير، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرماني (ت بعد ٥٣١هـ)، تحقيق: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ص ١٦٢٦-١٦٢٧.

(٣) سورة الشورى، ٢٨.

(٤) سورة لقمان، ٣٤.

(٥) سورة الأعراف: ٥٧.

٤. ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ تَمُوتَ بِحَبَابٍ ثُمَّ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمُ زَكَاةً فَتَرَى الْوَدَقَ يَخْرِجُ مِنْ خَلَالِهِ﴾^(١).

وبذلك يُعاد ضبط المفهوم الإيماني للغيث على أساس عقيدة القدر، فيتعلّم الإنسان أن المطر فضلٌ ورحمة، وأن انحباسه ابتلاءً وحكمة، كلاهما بيد الله لا بيد الطبيعة ولا الكواكب ولا المواسم.

كما تبيّن لنا أن تصحيح المفاهيم الشعبية حول المطر هو جزء من تصحيح البنية العقدية للمجتمع المسلم؛ لأنّه يعيد توجيه الإنسان نحو خالقه في كل مظاهر الطبيعة، ويربط العلم بالإيمان، والظاهرة بالقدر الإلهية، فالمطر في المنظور القرآني والنبوي ليس مجرد حدثٍ جويّ، بل آية من آيات التوحيد، تذكّر العبد بربوبية الله وسعة رحمته، وتدعوه إلى أن يعبر عن شكره بالذكر والدعاء والعمل الصالح، لا بالانشغال بالأسباب المادية وحدها أو بتأويل الظواهر تفسيراً دنيوياً منقطعاً عن خالقها سبحانه.

وبذلك تتجلّى سُنّة الدعاء عند نزول المطر كنموذج راقٍ للتفاعل التعبدية مع الظواهر الكونية في الإسلام، إذ تربط بين القلب المؤمن والكون المسخّر، وتجعل من لحظة نزول المطر موقفاً تعبدياً يجمع بين الخشية والرجاء، وبين الاعتراف بنعمة الله وشكره عليها، فيتحوّل المشهد الطبيعي، بهذه الرؤية، إلى لحظة من لحظات التوحيد والخضوع لله، تتسق فيها المعرفة بالقدر الإلهية مع السلوك الإيماني العملي، وهذا أبرز المقاصد الدعوية في سياق تصحيح المفاهيم.

(١) سورة النور، ٤٣.

الفصل الثالث

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الاجتماعية والأسرية

المبحث الأول : المناسبات الأسرية وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة

من الأحاديث الواردة فيها .

المطلب الأول : المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث وليمة الزواج.
المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التهنئة بالزواج
المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث استقبال المولود وتحنيك النبي للمولود.
المطلب الرابع: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث العقيقة

المبحث الثاني: المناسبات الاجتماعية العامة وأبرز المضامين الدعوية

المستنبطة من الأحاديث الواردة فيه

المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إكرام الضيف
المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إجابة الدعوة
المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث زيارة الإخوان
المطلب الرابع: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المعايدة في العيد

المبحث الثالث: مناسبات العزاء والمواساة وأبرز المضامين الدعوية

المستنبطة من الأحاديث الواردة فيها

المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التعزية.
المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إطعام أهل الميت.
المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث الصبر عند الصدمة الأولى.

الفصل الثالث

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات الاجتماعية والأسرية

تمهيد:

تُعد المناسبات الاجتماعية والأسرية من أهم اللحظات التي تنعكس فيها القيم الدينية والسنن النبوية على أرض الواقع في حياة المسلم، فهي مناسبات تربية ودعوية تعكس حكمة الشريعة في تنظيم العلاقات الأسرية والاجتماعية، وتعزيز القيم الأخلاقية والمبادئ الإسلامية في كل مرحلة من مراحل الحياة.

ومن خلال دراسة الأحاديث الواردة في هذه المناسبات، يمكننا استنباط مجموعه من المضامين الدعوية الغنية التي ترشد الأسرة والمجتمع إلى أساليب تعزيز المحبة والاحترام والتعاون، وتأكيد أهمية الالتزام بالشرع في كل تعامل اجتماعي.

إنّ القراءة الدعوية لهذه الأحاديث تكشف أنّ المناسبات الأسرية والاجتماعية ليست طقوساً اجتماعية محضة، بل منصّات تربية وتعليمية، تحمل رسائل تتعلّق بالعدل، والرفق، والتيسير، والتآلف، والاحترام المتبادل، وتعزيز الروابط؛ وهي قيم تشكّل أساس الاستقرار الأسري والاجتماعي.

المبحث الأول

المناسبات الأسرية وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث

الواردة فيها

تحتل المناسبات الأسرية موقعاً محورياً في البناء الاجتماعي الإسلامي؛ إذ تمثل المساحة التي تتجلى فيها قيمة الروابط العائلية، وتتجسد فيها الأخلاق النبوية العملية، فالأسرة في التصور الإسلامي ليست رابطة دم فحسب، بل هي المنبع الأول للتربية، والمدرسة الأولى لغرس القيم، والبيئة التي تتشكل فيها العادات الأصيلة والتقاليد الرشيدة، والتي ينعكس أثرها على المجتمع بأسره.

ففي داخل البيت تتوالد السنن البيئية والاجتماعية، من آداب الضيافة، وحسن المعاشرة، ورعاية الأبناء، واحترام الكبير، وتوقير الوالدين، والتراحم بين الزوجين، وتبادل المودة بين الأقارب والجيران.

ومن هذا المعين الغزير وردت الأحاديث النبوية التي لا تُعالج الشعائر فحسب، بل تهتم ببناء الإنسان في حياته اليومية، لتجعل من كل مناسبة اجتماعية أو أسرية فرصةً للدعوة، ومجالاً لترسيخ الإيمان، وتأكيد القيم الأخلاقية، وإحياء السنن التي تُشيع الرحمة والبركة داخل البيوت.

حيث سأسلط الضوء في هذا الفصل على أبرز المضامين الدعوية المستنبطة من الأحاديث النبوية المتعلقة بالمناسبات الأسرية والاجتماعية، بدءاً من الزواج والتهنئة به، مروراً باستقبال المولود والتحنيك، وصولاً إلى العقيقة، بما تحمل هذه المناسبات من دروس وعبر.



وسأعرض إلى ذكر الأحاديث الواردة في المناسبات الأسرية مستنبطة منها
أبرز المضامين الدعوية والإرشادات النبوية التي تعزز الأواصر الأسرية وتقوي
الروابط الاجتماعية، وذلك على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث وليمة الزواج.

المطلب الثاني: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التهنة بالزواج.

المطلب الثالث: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث استقبال المولود

وتحنيك النبي للمولود.

المطلب الرابع: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث العقيقة.



المطلب الأول

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث وليمة الزواج.

الزواج من أهم المحطات في الحياة الأسرية؛ فهو الأساس الذي تُبنى عليه الأسرة وتستقيم به أركان المجتمع، وقد أولت النصوص الشرعية هذا الحدث العظيم عنايةً بالغة؛ لما له من أثر في حفظ الأنساب، وإشاعة الطهر والعفاف، وبناء العلاقات على المودة والرحمة^(١)، فقد جاءت السنة النبوية لترسم للناس كيفيات الاحتفال بهذه المناسبة، بما يجمع بين الفرح المشروع، والالتزام بالهدي القويم، وإحياء السنن الاجتماعية التي تعمق الروابط وتشيع روح الألفة.

وإن أبرز ما ورد في ذلك حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، الذي يبرز حكمة النبي (ﷺ) في توجيه المجتمع إلى إعلان الزواج، والتخفيف في تكاليف الولائم، وجعل المناسبة فرصة للبهجة الجماعية، دون خروج عن اعتدال الشريعة، وهذا الحديث يشكّل نموذجاً تطبيقياً يجمع بين مقصد شرعي، وبناء اجتماعي، وحكمة أسرية.

فعن أنس رضي الله عنه؛ أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه تزوج امرأة على وزن نواة من ذهب، وأن النبي (ﷺ) قال له (أولم ولو بشاة)^(٢).

ومن خلال النظر في أحاديث الوليمة والزواج يمكننا استنباط مجموعه من المضامين الدعوية والإرشادات والتوجيهات النبوية التي نلخصها في ضوء الآتي:

(١) ينظر: الأسرة في الإسلام د. احمد عمر هاشم دار قباء للطباعة والنشر، مصر القاهرة بدون طبعة، ١٩٩٨، ص ١٥٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح باب الوليمة حق، ٢٣/٧، رقم ٥١٦٥. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به، ١٠٤٢/٢، رقم ١٤٣٧.

أولاً: الحث على إعلان الزواج تمييزاً عن غيره من المناسبات.

إعلان الزواج وإشهاره يمثل إحدى الشعائر الأساسية في البناء الاجتماعي داخل التصور الإسلامي؛ إذ لم يُشرع الزواج ليكون علاقة خفية أو ارتباطاً سرياً لا يعلم به أحد، بل جاء الشرع ليَجعل من الإعلان هوية هذا العقد ودليل مشروعيته، ولتمييزه عن العلاقات الملتبسة أو المحرمة التي تُبنى على الخفاء.

ومن هذا المنطلق، اعتنى النبي (ﷺ) بترسيخ مبدأ الإشهار، فجعله سنة ظاهرة ومظهراً اجتماعياً يُعلم به الناس، مما يحقق مقصد الشريعة في الوضوح ومنع الاشتباه، ويصون المجتمع من الفتنة والفساد، ويجعل الروابط الأسرية تنشأ على أسس واضحة المعالم، وذلك يظهر جلياً في قوله (ﷺ): (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف)^(١).

المقصود الدعوي من إعلان النكاح في الحديث هو إظهار مشروعية عقد الزواج وإبرازه في المجال العام بحيث يتميز تمييزاً ظاهراً عن العلاقات المحرمة، فيتحقق التفريق الاجتماعي بين الحلال والحرام لا بمجرد صحة العقد واستكمال أركانه وشروطه كشهادة الشهود، بل بإشاعته وذكره بين الناس حتى لا يبقى خفياً ولا مظنة تهمة، فالدفء والصوت المراد به الذكر والتشهير، إنما هما وسيلتان لتحقيق الإشهار المشروع، لا غاية مستقلة، ولا إباحة لصنوف السماع المحدث^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب النكاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في إعلان النكاح، ٣٩٠ / ٢، رقم: (١٠٨٩)، قال الترمذي: "هذا حديث غريب حسن في هذا الباب".

(٢) ينظر: شرح سنن ابن ماجه المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى»، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهزري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ١٦٠ / ١١.

وعليه فإن البعد الدعوي يتجلى في ترسيخ قيمة العفة، وصيانة الأنساب، وقطع ذرائع الريبة، وبناء وعي اجتماعي يعتبر العلاقة الزوجية علاقة معلنة لا تُستتر، وبذلك يتحول إعلان النكاح إلى رسالة أخلاقية تؤكد أن الشريعة لا تكتفي بالمشروعية الشكلية، بل تقصد إشاعة المعروف وإظهاره في المجتمع.

فالزواج رابطة مقدسة، تُنشئ أسرة وتُبنى عليها أجيال، ولذلك كان من تمام مقاصده أن يشتهر بين الناس، لتُعرف الزوجة بزوجها ويُعرف الزوج بزوجته، ولتثبت الحقوق وتُحفظ الأنساب، وليعيش كل من الزوجين في إطار مجتمعي يحميها من الشكوك والتهم^(١).

ونرى أن معنى الإعلان في الزواج لا يقتصر على مجرد الإخبار بانعقاد العقد، بل يتجاوز ذلك إلى إظهار الفرح، وتعبير واعٍ عن قدسية هذا الميثاق الغليظ على نحوٍ ينسجم مع مكانته الشرعية والاجتماعية، وهو إعلان يُراعى فيه احترام العادات الأسرية والتقاليد الراسخة التي تُعزز قيمة الارتباط بين العائلتين، وتُشيع في المجتمع روح قبول هذا الزواج ومباركته.

لقد كان المجتمع الإسلامي الأول يعظّم شأن الإشهار^(٢)، فيعدّه جزءاً من سننه الاجتماعية الكبرى، لما فيه من ترسيخ الإحساس بالمسؤولية، وتثبيت العلاقة الزوجية بالرحمة والمودة، مما يُسهم مباشرة في استقرار الحياة الزوجية وتعزيز

(١) ينظر: الهدي النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، ص ١٨٥.

(٢) ينظر: الدرر البهية من الفتاوى الكويتية، إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، ١٢٨/٨.

تماسكها، كون الزواج هو الطريق السليم لتحقيق المودة وهي اللذة الحاصلة من الجماع، وضمان الرحمة وهي الولد^(١).

ومن هذا المنطلق يظهر جلياً أنّ الإسلام أولى الأسرة عناية استثنائية واضحة؛ فاهتمّ بأسلوب تكوينها، وبالأنظمة التي تؤدي إلى نشأتها من خطبة زواج، ورسم منهجاً دقيقاً للعلاقات الأسرية، وبياناً لحقوق الزوجين والأبناء، وطرائق معالجة المشكلات والخلافات إن وقعت، ووسائل إنهاء العلاقة الزوجية إذا استُحالت العشرة، فضلاً عن نظمه المحكمة في توزيع الميراث، فالأسرة السويّة هي الخلية الأولى في بناء مجتمع متماسك، وصالحها أساس صلاح المجتمع كله، إذ ليس المجتمع سوى مجموعة من الأسر المتفاعلة^(٢).

ولقد أثبتت التجارب الإنسانية المعاصرة أنّ المجتمعات ذات التقدم الصناعي والتقني الكبير تعاني في جوهرها من تفكك الروابط الأسرية وتلاشي العلاقات العاطفية داخل البيوت، وهو ما دفع المصلحين والمفكرين إلى تركيز جهودهم على ضرورة إعادة بناء الأسرة على دعائم صلبة. وإذا نظرنا في البناء الإسلامي للأسرة وجدنا فيه نموذجاً بالغ الدقة والإحكام، يعالج الحاجات الفطرية، ويحفظ الكرامة الإنسانية، ويُنشئ روابط قائمة على الرحمة والمودة^(٣).

(١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، ٣٨٦/٤.

(٢) ينظر: منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق التوازن المجتمعي، د. أحمد عليوي عباس، أطروحة دكتوراه، كلية الإمام الأعظم الجامعة، العراق، بغداد، قسم الدعوة والخطابة والفكر، ص ٧٩.

(٣) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، ص ٧٧.

ويظهر هذا التنظيم في أول مدخل لتكوين الأسرة، وهو نظام الزواج؛ فالأديان جميعها قدّمت تصورات لتنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، بما يضمن خضوع هذه العلاقة لضوابط أخلاقية وفطرية. بيد أن الشريعة الإسلامية أخرجت هذا التنظيم من مستوى الغريزة الحيوانية إلى مستوى التكريم الإلهي، فجعلت العلاقة بين الزوجين علاقة قائمة على الميثاق والمسؤولية والتكامل، لا مجرد إشباع غريزة.

وإذا كان الإنسان مفطوراً على حب البقاء، وكان الموت حقيقة حتمية لكل حي، فإن السبيل الذي جعله الله لبقاء النوع الإنساني هو النسل المعروف بالنَّسَب، المحفوظ بالزواج الشرعي المعلن، الذي يصون الفطرة ويعلو بصاحبها إلى مرتبة الخلافة في الأرض وفق مراد الله تعالى^(١).

ويأتي التوجيه النبوي بإعلان الزواج أيضاً في سياق دعوي تربوي، يُراد منه أن تكون المناسبات الأسرية وسائل لتعزيز القيم، لا مجرد أحداث عابرة، فالإشهار يحمل دعوة ضمنية إلى احترام رابطة الزواج والاعتزاز بها، وإلى بناء الأسرة على الشفافية والوضوح، بعيداً عن الممارسات التي تتجاوز الأعراف والضوابط الشرعية، كما أن إعلان الزواج يسهم في نشر ثقافة الارتباط المسؤول، وفي غرس احترام سنن المجتمع القائمة على الوضوح والتكامل بين الأسر، ويعكس روح المودة والتعاون بين الناس من خلال مشاركتهم في الفرح والمباركة.

وإنّ من الحكمة الشريفة الإسلامية من إعلان الزواج والمشاركة في إظهار الفرح والسرور؛ بما أحلّ الله لعباده من الطيبات، وليكون مخالفاً لنكاح السر المنهي عنه، فإعلان الزواج تشجيع للذين يؤثرون العزوبة على الزواج شريطة أن لا

(١) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، ص ٧٧.

يصحب هذا الإعلان محظور قد نهى الشارع الكريم عنه كتناول الخمر، أو الاختلاط بين النساء والرجال وغيرها من المحظورات^(١).

ومن الحكم الاجتماعية التي تُستفاد من هذا التوجيه أنّ الإشهار يحقق الاندماج بين العائلات، ويعمّق الروابط، فتكون المناسبة منطلقاً لبناء علاقات اجتماعية جديدة، قائمة على الاحترام والتقدير المتبادل، وهذا بدوره يعزز الاستقرار الأسري؛ لأن الزواج الذي ينعقد في ظل دعم المجتمع ومباركته يكون أقرب إلى النجاح من علاقة تُعقد في الخفاء، وتفتقد إلى السند النفسي والاجتماعي.

ثانياً: الدعوة إلى التيسير في الولائم، دون تكلف أو إسراف.

حثّ النبي (ﷺ) على الاكتفاء في الولائم بالتيسير، كما ورد في قوله: (أولم ولو بشاة)^(٢)، حيث يحمل رسالة واضحة في التيسير والاعتدال، فالشرع لا يرفض الفرح والاحتفال بالمناسبات، لكنه يضع حداً للتكلف والإسراف المذموم الذي قد يثقل كاهل الأسرة ويجرّها إلى المشقة المادية والنفسية.

ولمّا كان مبدأ التيسير والاعتدال مبدأً قرآنياً أصيلاً حثّ الله تعالى عليه في قوله سبحانه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٣)، فإن هذه الآية تقرر قاعدةً عامة في ضبط التصرف في المباحات، قائمةً على إقرار النعمة مع منع مجاوزة الحد فيها، وقد بيّن المفسرون أن النهي عن الإسراف يشمل كل تجاوزٍ للقدر

(١) ينظر: فقه السنة، سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، ٢/٢٣١.

(٢) ينظر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (ت نحو ٥٩٠هـ)، تحقيق: علي عبد الله الموسى، مكتبة المنار - الزرقاء، ص ٣٧٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية، ٣١.

المشروع، سواء أكان في الكمية أم في الكيفية أم في الدافع؛ قال ابن كثير: أي كلوا مما رزقكم الله من الطيبات من غير سرف ولا مخيلة، فإن الله لا يحب المعتدين المتجاوزين الحد^(١).

وقد ذكر أن الإسراف هو مجاوزة القصد في كل فعلٍ من الأفعال، وأنه قد يكون في المباح إذا خرج إلى حد الضرر أو المباهاة^(٢).

وعلى هذا فإن الولائم إذا تجاوزت حد الكفاية إلى التكلف البالغ، أو قصد بها التفاخر، أو ترتب عليها إهدار الطعام وإثقال الذمم بالديون، فإنها تدخل في عموم الإسراف المنهي عنه؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ويُستفاد من هذا التوجيه دعويًا أن الإسلام يربي الأمة على الوسطية في كل مظاهر الحياة، بما فيها الاحتفالات الأسرية، ليكون الفرح مشروعًا دون مَسِّ بحقوق أو استهلاك مفرط للموارد؛ فالتيسير وقاية من الغلو^(٣)، كما أن التيسير في الولائم يعكس حكمة اجتماعية؛ إذ يتيح الفرصة لجميع الأفراد للمشاركة والاحتفال دون شعور بالحرج أو الفشل المالي، ويُعمّق شعور المحبة والتآلف بين الأسر والجيران، وفي هذا مراعاة لرغبات الناس وشعورهم^(٤).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٥/٤.

(٢) ينظر: مصطلحات إسلامية - الإسراف، عادل التل، مجلة البيان، عدد ٢٤، ص ١٣.

(٣) ينظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (ت ١٤٢٢هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ١٤٦.

(٤) ينظر: أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، أطروحة دكتوراه، إبراهيم بن حسن الحضريتي، إشراف: موفق بن عبد الله بن علي كدسة، جامعة الملك عبد العزيز - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص عقيدة ودعوة، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م، ص ٥٠٢.

إن الالتزام بالتيسير في الولائم لا يقتصر على الناحية الاقتصادية فحسب، بل يترتب عليه أثر تربوي كبير؛ فهو يغرس قيم الاعتدال، والرضا بقضاء الله، كما يعكس في الولائم مبدأ التواضع، والوعي الاجتماعي، ويعلم أفراد الأسرة والضيوف على تجنب المظاهر المبالغ فيها التي قد تفرق بين الناس، فتكون الأسرة والمجتمع قدوة في نشر الرحمة والاعتدال، ويصبح الفرح مناسبة تربوية أيضاً، لا مجرد استعراض اجتماعي، وفي هذا يكره أيضاً لأهل المروءات والفضائل التسرع إلى إجابة الطعام^(١).

ثالثاً: إشاعة الفرح المشروع في المجتمع والحث على المشاركة فيه.

فالمناسبات الأسرية والاجتماعية وسيلة لإشاعة السرور بين أفراد المجتمع، وتوطيد روابط المحبة والتضامن بينهم، فالفرح الجماعي في الزواج أو غيره من المناسبات يمثل قيمة دعوية تتمثل في المشاركة الإنسانية، وتعزيز الشعور بالانتماء الاجتماعي، وإحياء روح الأخوة بين المسلمين^(٢).

(١) ينظر: فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (ت ٥١٣هـ)، تحقيق: د. عبد السلام بن سالم السحيمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ص ٥٢.

(٢) ينظر: روضة القضاة وطريق النجاة، علي بن محمد بن أحمد، أبو القاسم الرحبي المعروف بابن السمناني (ت ٤٩٩هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة، بيروت - دار الفرقان، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ١/١٦٢.

وإن التوجيهات النبوية المتعلقة بضرورة إعلان الفرح ونشر البهجة والسرور في مناسبة النكاح قوله (ﷺ): (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدُّفوف)^(١).

حيثُ أن المقصود الدعوي من إعلان النكاح في الحديث هو إظهار مشروعية عقد الزواج وإبرازه في المجال العام بحيث يتميز تمييزاً ظاهراً عن العلاقات المحرّمة، فيتحقق التفريق الاجتماعي بين الحلال والحرام بإشاعته وذكره بين الناس حتى لا يبقى خفياً ولا مظنة تهمة، فالدفُّ والصوت المراد به الذكر والتشهير، إنما هما وسيلتان لتحقيق الإشهار المشروع، وهنا تكمن الغاية من إعلان النكاح؛ وهي إعلان السرور والبهجة^(٢).

ويُشير هذا التوجيه إلى أن الفرح المشروع لا يقتصر على الأسرة وحدها، بل يشمل المجتمع الأوسع، فتكون المناسبة فرصة لتعميق العلاقات، ونشر الخير، والمساهمة في بناء مجتمع متماسك يقوم على المحبة والاحترام المتبادل^(٣).

ومن منظور اجتماعي؛ فإن مشاركة الآخرين في الأفراح تجعل الحياة الأسرية جزءاً من النسيج المجتمعي، وتحول كل مناسبة إلى محطة لتعزيز القيم الإسلامية

(١) رواه الترمذي في سننه، أبواب النكاح عن رسول الله (ﷺ) باب ما جاء في إعلان النكاح، ٣٨٤/٢، رقم ١٠٨٩.

(٢) ينظر: شرح سنن ابن ماجه المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و «القول المكتفى على سنن المصطفى»، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهزري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ١٦٠/١١.

(٣) ينظر: آداب التربية في تراث الآل والأصحاب - نماذج من تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم، أحمد الجابري، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦ م، ص ١٥٨.

في الفرح والتعاون والكرم؛ إذ إن الحياة الأسرية تؤثر في التوافق النفسي إيجابيا أو سلبيا حسب نوع التجارب والخبرات الأسرية^(١).

ويُعدّ هذا النهج وسيلة عملية لترسيخ السنن الاجتماعية، مثل الضيافة والمشاركة والمودة، ووسيلة أيضا لترسيخ الدعوة بالعمل، بحيث يُشاهد الناس التطبيق العملي للقيم الإسلامية في حياتهم اليومية.

فالمناسبات الأسرية والاجتماعية ليست مجرد أحداث فردية عابرة، بل هي فضاءات لإظهار الأخلاق النبوية عملياً، وإيصال قيم الإسلام بطريقة ملموسة، فالأحاديث النبوية المتعلقة بالولائم والزواج تُبرز سنناً اجتماعية مثل الاحترام المتبادل، والمودة، والتراحم، وحسن المعاشرة بين الأقارب والجيران، بما يعزز الانسجام المجتمعي^(٢).

ومن هذا المنطلق، يُمكن اعتبار المناسبات الاجتماعية منصة لإظهار الدعوة العملية، بحيث تتحول العلاقة بين أفراد المجتمع إلى شبكة من التفاعل الإيجابي المبني على السنن الشرعية، مما يضمن استقرار الأسرة والمجتمع على حد سواء، ويجعل كل مناسبة مناسبة للغرس الأخلاقي والقيمي في النفوس.

(١) ينظر: التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، ص ٤٥١.

(٢) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، طبعة وخدمة خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ٣٧٩/٧. والمطلع على دقائق زاد المستقنع «فقه الأسرة»، عبد الكريم بن محمد اللحام، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٤٤/١.

المطلب الثاني

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التهنئة بالزواج.

التهنئة بالزواج من السنن الاجتماعية النبوية التي تحمل مضامين تربية ودعوية بالغة الأثر، فالزواج في الإسلام ليس مجرد ارتباط شخصين، بل هو مناسبة اجتماعية وأسرية يُتجسد فيها التآلف والمودة، ويظهر فيه المجتمع المسلم قيم المحبة والتراحم والبركة، والذي يتجلى في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١)، تقرر أن نظام الزواج آية دالة على حكمة الخالق ووحدانيته؛ إذ جعل العلاقة الزوجية قائمة على السكن النفسي والانسجام الفطري، لا على مجرد قضاء الوطر، فبيّن أن المقصد الأسمى من الزواج تحقيق الطمأنينة والاستقرار وبناء رابطة إنسانية متكاملة تحفظ النوع وتؤسس المجتمع، وقد فسر الواحدي السكينة بأنها الألفة بين الزوجين، أي ليطمئن الرجل إلى امرأته وتطمئن إليه، فلا يبقى اضطراب الوحدة ووحشة الانفراد^(٢).

وقد خصّ النبي (ﷺ) المتزوجين بدعاء محدّد وصياغة مباركة، ليعلم الأمة كيفية التعبير عن سرورها بهذه المناسبة، ويُرشداهم إلى وسائل نشر الخير والرحمة بين المسلمين، فيكون الفرح مشروعاً متكاملًا مع الدعوة الإسلامية.

وعلى الرغم من عدم وجود حديث صريح خاص بالتهنئة في الصحيحين إلا أنه ورد في منجهما ما يدل على مشروعية الدعاء، فعن عبدالرحمن بن عوف

(١) سورة الروم الآية: ٢١.

(٢) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ، ص ٨٣٩.

رضي الله عنه قال: تزوجت امرأة من الانصار فقال لي الرسول الله (ﷺ) ما اولمت؟ قلت نواة من ذهب، فقال: (بارك الله لك ولم ولو بشاة)^(١).

ووجه الدلالة من الحديث هو الدعاء النبي (ﷺ) لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بالبركة في قوله (بارك الله لك)، وهكذا كان الدعاء للمتزوج سنة^(٢).

ومنها الحديث الذي جاء عن أبي هريرة، أن النبي (ﷺ) كان إذا رفا^(٣) الإنسان إذا تزوج، قال: (بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير)^(٤).

وفيما يلي بيان مجموعة من المضامين الدعوية والفوائد النبوية المستنبطة من الأحاديث التي تحت على التهنة في الزواج وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: تعليم الأمة صيغة مباركة ومشروعة في التهاني.

إن النبي (ﷺ) لم يجعل التهنة بالزواج مجرد فعل عفوي، بل قدّم صياغة محددة تربوية ودعوية تحمل البركة، فقله: (بارك الله لك) أي كثر لك النمو والأنعام والأمن من كل مؤذ في هذا الأمر المهم^(٥)، وهي نموذج عملي لتطبيق السنن الاجتماعية في حياة المسلمين، فمن خلال تعليم الأمة هذه الصيغة يصبح الفرح

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح باب الوليمة حق، ٢٣/٧، رقم ٥١٦٥. ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن وخاتم حديد، وغير ذلك من قليل وكثير واستحباب كونه خمسمائة درهم لمن لا يجحف به، ١٠٤٢/٢، رقم ١٤٣٧.

(٢) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزيداني، ٦٧/٤.

(٣) يقال: رفاً الرجل إذا تزوج أي دعا له عند زواجه، وأصل الترفئة أن يقال للمتزوج: بالرفاء والبنين، أي بالالتئام والاتفاق وكثرة الأولاد. ينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، ٨٧/١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح - باب ما يقال للمتزوج، ٤٦٦/٣، رقم: (٢١٣٠)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "إسناده قوي".

(٥) ينظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت ١٠٥٧ هـ)، جمعية النشر والتأليف الأزهرية، ص ٧٧/٦.

مرتبطاً بالبركة الشرعية، بما يُعزز من أهمية الالتزام بالشرعية في كل مناسبة، فالتهنئة المشروعة تتجاوز الشكلية لتكون فعلاً يحمل معنى تربوياً واجتماعياً، يرسخ قيم الاحترام والمودة بين الأسر.

إن هذه الصياغة النبوية الدعوية تجعل من التهنئة عملاً جماعياً يربط المجتمع بالأسرة الجديدة، ويُعلم الأجيال أن لكل مناسبة أحكامها وطقوسها المشروعة التي تُسهم في تثبيت الروابط الاجتماعية، فاتباع السنة في تقديم التهنئة يُرسّخ ثقافة احترام المناسبات، ويُظهر للناس أن الفرح مشروع عندما يقترن بالدعاء والخير، بعيداً عن المظاهر الشكلية الفارغة أو التفاخر، أو حتى التحايا بكلمات غريبة عن هويتنا الإسلامية القويمة^(١).

كما أن تعليم الأمة هذه التهنئة يظهر الاهتمام الإلهي والنبوي بتعزيز القيم الاجتماعية، وربط الفرد بمجتمعه، فالأسرة التي تُبارك في مناسبتها وتُعرف للجيران والأصدقاء، تصبح منارة للخير، ويُبنى المجتمع على التواصل الإيجابي والاحترام المتبادل، مما يعزز الاستقرار الأسري ويجعل الزواج مؤسسة اجتماعية قائمة على القيم الإسلامية الأصيلة.

ثانياً: توجيه المسلمين لضرورة الدعاء بالبركة والخير لتعزيز أواصر المحبة والمودة:

إنّ الدعاء بالبركة والخير في الحياة الزوجية هو ممارسة دعوية تربوية تزرع روح المحبة بين المسلمين؛ فالدعاء هنا يعكس القيم الأخلاقية، ويعزز روابط التضامن والتراحم، ويُعلم المجتمع أن مشاركة الآخرين الفرح يجب أن تصحبها

(١) ينظر: آداب الزفاف في السنة المطهرة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، دار السلام، الطبعة الشرعية الوحيدة، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ١٧٤-١٧٦.

أمنيات بالخير والنجاح، وبذلك تتحول المناسبة الفردية إلى مناسبة جماعية ترفع الوعي الاجتماعي وتعزز قيم التعاون؛ إذ لا وجود لقطيعة في الدعاء أو مخالفات، بل هي كلمات منضبطة بوارد الشرع الحنيف^(١).

كما أن الدعاء بالبركة يجسد جوهر المودة والمشاركة الاجتماعية، إذ يربط بين الأبعاد الروحية والعملية في الحياة الزوجية، فالأسرة التي تبدأ حياتها بالدعاء تكون أكثر انسجاماً، وأكثر قدرة على مواجهة التحديات، ويشعر أفرادها بالأمان النفسي والاجتماعي، لأنهم محاطون بمحبة المجتمع ودعواته الخيرة، وهو ما يعكس حكمة الإسلام في ربط البعد الشخصي بالمجتمع بجميع نواحيه الشخصية وحتى العلمية والأدبية^(٢).

ومن الحكمة الاجتماعية المستنبطة من الدعاء بالبركة والخير أن العلاقات بين الأفراد تتقوى، وتزداد المودة بين الأسر، فالأسرة التي يُدعى لها بالخير تُصبح نواة إيجابية في المجتمع، ويصبح الزواج مكاناً لنشر الحب والاحترام، ويترسخ شعور بأن المجتمع كله مسؤول عن نشر الخير، وتطبيق سنن النبي (ﷺ) في الحياة اليومية^(٣).

وفي الممارسة العملية يصبح التركيز على الألفاظ الطيبة والدعاء وسيلة لإشاعة الخير بين الناس، وتنقيف الأجيال على استخدام الكلام المؤثر والبناء، فالمجتمع الذي يحرص على التهاني والدعاء في المناسبات الأسرية يكون أكثر

(١) ينظر: شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زواوي، دار القمة - الإسكندرية، ١/١٦٠.

(٢) ينظر: البحث الأدبي بين النظر والتطبيق، علي علي صبح، د. ن. ط، ص ٧٥.

(٣) ينظر: شريعة الله لا شريعة البشر، شحاتة محمد صقر، دار الخلفاء الراشدين - الإسكندرية، ص ١١.

تماسكًا، وأقدر على نشر روح التعاون والمودة، بما يجعل السنن الاجتماعية والدعوية جزءًا من الحياة اليومية؛ إذ إن الكلمة الطيبة الجميلة ذات الألفاظ البديعة مدخلًا لقلوب السامعين، وجمالًا لللسنة المتحدثين تكسبهم إعجاب ومحبة الآخرين، وهي لا تقل عن الفعل^(١).

ثالثًا: الإشارة إلى أن الدعاء بالبركة هو بداية البناء السليم للأسرة المسلمة.

إن ابتداء الحياة الزوجية بالإيمان بالله وتقواه والدعاء بالبركة يجعل الأسرة المسلمة نواة للخير والإيمان، ويُرسي أسس البركة والمودة منذ اليوم الأول، فالأسرة التي تُبارك لها ويُدعى لها بالخير تكون أكثر توازنًا واستقرارًا، وتُسهم في خلق بيئة تربية صالحة للأبناء، تقوم على الاحترام والتراحم والمودة^(٢).

ويؤكد هذا المعنى ما أرشد إليه القرآن من تعاهد الأسرة بالدعاء الصالح، إذ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣)، فالآية تُبرز أن من صفات عباد الرحمن سؤال الله أن يرزقهم في أزواجهم وذرياتهم ما تقرّ به أعينهم، أي ما يسكن إليه القلب من صلاح واستقامة، وقد بين ابن أبي حاتم أن معنى قرّة الأعين: السرور برؤيتهم مطيعين لله،

(١) ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ٩٩٨/٢. والآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢١، السنة ٣٥، ١٤٢٤هـ، ص ٤٦٤.

(٢) ينظر: البيت السعيد وخلاف الزوجين، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص ٧.

(٣) سورة الفرقان الآية، ٧٤.

لا مجرد الفرح الدنيوي بهم، فالمقصود أن يكونوا صالحين مُطِيعِينَ، فتتحقق بهم السعادة في الدنيا والآخرة^(١).

فالدعاء هنا تأسيسٌ روحيٍّ للحياة الزوجية، يربطها بمقصد الاستخلاف والصلاح، ويجعل الذرية الصالحة ثمرةً للإيمان والدعاء معاً، وبذلك يصبح الدعاء للعروسين بالبركة والذرية الصالحة جزءاً من بناء الأسرة المسلمة بوصفها نواة المجتمع المؤمن.

كما أن رابطة الزواج التي تُبدأ بالدعاء تجعل الأبعاد الاجتماعية والدينية متكاملة؛ إذ يعي الزوجان منذ البداية أن حياتهما مشتركة على البركة والطاعة والرحمة، ولأن الأسرة نواة المجتمع وإحدى مؤسساته المهمة؛ فقد أولاهما الإسلام عناية خاصة واتخذ من أسباب تكوينها وتنظيم العلاقات فيما بين أعضائها وتحديد حقوقهم وواجباتهم، ما يحفظ تماسكها وبقاءها، وهذا الربط بين الحياة الاجتماعية والدين يُظهر حكمة الإسلام في غرس القيم الدينية في تفاصيل الحياة اليومية، ويجعل كل مناسبة مناسبة لتعليم الخير والفضيلة^(٢).

وعند النظر في السنة النبوية نجد أن النبي (ﷺ) وجّه المسلمين إلى الدعاء بالبركة للمتزوج، فكان إذا رَفَأَ الإنسان إذا تزوّج قال: (بَارَكَ اللهُ لَكَ، وَبَارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ)^(٣).

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، ٢٧٤٢/٨.

(٢) ينظر: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص ٢٨٦.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح - باب ما يقال للمتزوج، ٣/ ٤٦٦، رقم: (٢١٣٠)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط "إسناده قوي".

وقد بيّن الشُّراح أن هذا الدعاء يتضمن طلب ثبوت الخير ونمائه للزوجين، فالبركة هي دوام الخير وزيادته، وقوله (وجمع بينكما في خير) دعاء باستمرار الألفة والاجتماع على الطاعة، وفي ذلك إرشادًا إلى استبدال ألفاظ الجاهلية في التهنة بالدعاء المشروع الذي يربط الزواج بالله تعالى، واعتباره سُنَّةً نبويَّةً^(١).

وفي ضوء هذا، يمكن القول: إنّ الدعاء عند الزواج يمثل جسراً يربط الفرد بالمجتمع والدين، ويجعل المناسبات الأسرية منصات تعليمية وقيمية، فكل أسرة تبدأ حياتها بالبركة تصبح منبعًا للخير، وتساهم في نشر سنن النبي (ﷺ)، وتعزيز الانسجام الاجتماعي، وبناء مجتمع يعي أهمية التكافل، والمودة، والتعاون، والاحترام بين جميع أفرادهِ.

(١) ينظر: المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن مظهر الدين الرِّيداني،

المطلب الثالث

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث استقبال المولود وتحنيك النبي للمولود

لقد أولى الإسلام وقت ولادة الطفل اهتماماً بالغاً، باعتبارها البداية الحقيقية لحياة إنسان جديد يُنشأ في بيئة تربية واجتماعية مُحكمة، تُرسّخ الهوية الدينية منذ اللحظة الأولى، وقد وردت أحاديث نبوية شريفة تبين كيفية استقبال المولود، وتوجيه العناية به جسدياً وروحياً، بما يضمن انطلاقته في الحياة على أسس صحيحة؛ ومن أبرز هذه السنن تحنيك^(١) المولود، كما جاء في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه عندما قال: ذهبت بعبد الله بن أبي طلحة الأنصاري إلى رسول الله (ﷺ) حين ولد. ورسول الله (ﷺ) في عباة يهنأ بغيرا له. فقال (هل معك تمر؟) فقلت: نعم. فناولته تمرات. فألقاهن في فيه. فلاكهن. ثم فغر فا الصبي فمجه في فيه. فجعل الصبي يتلمظه. فقال رسول الله (ﷺ) (حب الأنصار التمر) وسماه عبد الله^(٢).

وفي ضوء هذا الحديث وغيره من الأحاديث النبوية الشريفة يمكننا أن نستنبط مجموعه من الإرشادات النبوية والتوجيهات التربوية والمضامين الدعوية وذلك من خلال النقاط الآتية:

(١) معنى التحنيك هو مضغ الشيء ووضعه في فم المولود أو المولودة لأجل يتمرن على الغذاء أو الأكل ويتقوى عليه. ينظر: فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، ٥٨٨/٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام، ١٦٨٩/٣، رقم ٢١٤٤.

أولاً: العناية بالطفل منذ ولادته، وربطه بالهوية الإسلامية من اللحظة الأولى.

الاهتمام بالطفل منذ لحظة ولادته يُعد حجر الأساس في تربية المسلم الصغير، فالولادة ليست مجرد حدث بيولوجي، بل هي بداية لبناء هوية إسلامية متكاملة، يرتبط فيها الطفل بقيمه الدينية منذ الوهلة الأولى، ومن خلال رعاية المولود وربطه بالعادات الطيبة، مثل استحباب التسمية بأسماء الأنبياء أو الصالحين^(١)، فإن ذلك يرسخ من نفس المولود الاعتزاز بالدين والتأثير بالقدوة الصالحة.

كما أن هذه الرعاية المبكرة تتضمن التعرف على احتياجات الطفل الجسدية والنفسية، وتوفير بيئة سليمة من الحب والحنان، وهي تمتد من عمر سنة إلى قبل ثلاث سنوات^(٢)، الأمر الذي يرسخ الشعور بالأمان النفسي ويهيئ الطفل لتلقي التربية الإسلامية والتفاعل مع المجتمع بروح طيبة.

ويُظهر هذا التوجيه النبوي حكمة الإسلام في الجمع بين التربية الروحية والجسدية، فالطفل يُغذى جسدياً بطريقة مشروعة، وفي الوقت ذاته يُربى على الأخلاق والقيم منذ صغره، بما يعزز من تكامله النفسي والاجتماعي، ومن خلال هذه البداية الجيدة تتشكل شخصية متوازنة قادر على التفاعل الإيجابي مع أسرته ومجتمعه^(٣).

وعلى المستوى الاجتماعي فإن رعاية المولود منذ الولادة تعكس الاهتمام الجماعي بالأسرة الجديدة، إذ يُصبح المجتمع داعماً للتنشئة السليمة، ويعزز الروابط

(١) ينظر: موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٤٠٧/١.

(٢) ينظر: الغذاء والتغذية، عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، أكاديميا، د.ت، ص ٤١٩.

(٣) ينظر: كيف تربي ولدك، ليلي بنت عبد الرحمن الجريبة، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت، ص ٩٢.

بين الأهل والجيران، كما أن الاهتمام الأكبر من الوالدين هو تعويد الطفل الطاعة بما يحقق المقصد الدعوي من ترسيخ قيمة الأسرة المسلمة كخلية أساسية في المجتمع نطبق وتطيع القوانين وتتبع النظام^(١).

ثانياً: استحباب التحنك والدعاء للمولود دليل على أهمية بركة الدعاء في حياة المسلم.

تحنيك المولود يُعد من السنن المؤكدة التي تعكس عناية الإسلام بالطفل^(٢)، وتربطه بالبركة والدعاء منذ اللحظة الأولى. فالتحنك ليس مجرد عادة، بل هو فعل دعوي تربوي يذكر الأسرة والمجتمع بأهمية الدعاء والصالح في الحياة اليومية، وقد أثبت الطب الحديث ما في هذا التحنيك من تغذية للمولود، ونفع صحي له^(٣).

فالتحنك سنة نبوية تجعل الطفل أو المولود مطمئناً، أمناً على استمرار غذائه، فضلاً عن حصوله على البركة التي تحصل من خلال التحنيك من أهل الصلاح والتقوى^(٤).

(١) ينظر: تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، د. زكريا الشرييني - د. يسرية صادق، دار الفكر العربي، ص ١٨٤.

(٢) ينظر: الطريق إلى الولد الصالح، وحيد بن عبد السلام بالي، دار الضياء للنشر والتوزيع - السعودية، ص ٢٨. والمفصل في أحكام العقيقة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، طبع القدس/فلسطين (طُبع على نفقة فاعل خير)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١٦٧.

(٣) ينظر: آداب التربية في تراث الآل والأصحاب، ص ١٦٩.

(٤) ينظر اطفال المسلمين كيف رباهم النبي الامين، جمال عبد الرحمن، دار الخضراء، مكة المكرمة بالسعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ٢١.

فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) كَانَ يُؤْتَى
بِالصَّبْيَانِ. فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ، وَيَحَنِّكُهُمْ^(١).

فمن خلال الدعاء للمولود عند التحنيك، يتم غرس ثقافة الاعتماد على الله في
كل مراحل الحياة، ويُعَلِّم الأطفال وأهلهم أن كل خير ينطلق من مصدره الإلهي،
وهذا يرسّخ شعورًا بالطمأنينة ويجعل الحياة الأسرية قائمة على البركة والرحمة منذ
البداية^(٢).

كما أنَّ تحنيك المولود والدعاء له يعكس روح المحبة بين المسلمين، إذ يشارك
الجميع الفرح ويترابطون بالدعاء والخير، فتصبح المناسبة وسيلة لتوطيد الروابط
الاجتماعية، وتعليم القيم العملية التي تربط الحياة اليومية بالعبادة والطاعة.

وبذلك يتضح أن أهمية الدعاء في حياة المسلم لا تقتصر على الكبار، بل
تشمل كل مراحل الحياة، بدءًا من الولادة، فتصبح السنن الدعوية جزءًا من التربية
المستمرة، ويُرسّخ في الطفل منذ نعومة أظفاره الارتباط بالدعاء كوسيلة للحياة الطيبة
والسلوك القويم^(٣).

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الآداب باب: استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى
صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبدالله وإبراهيم وسائر أسماء
الأنبياء عليهم السلام، ج ٣، ص ١٦٩١، رقم ٢١٤٧.

(٢) ينظر: حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل
والنهار (الأذكار النواوية)، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، بعناية بسام
عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي للطباعة والنشر - دار ابن حزم، الطبعة الأولى،
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٦٤. ومجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار،
جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، مطبعة
مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، ١/٥٩٥.

(٣) ينظر: أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، إبراهيم بن حسن الحضريتي، ص ١٧٠.

ثالثاً: تعزيز دور القدوة من خلال التعامل مع الأبناء.

لقد مثل لنا النبي (ﷺ) قدوةً حسنة في التعامل مع الأطفال، فالتحنيك ومشاركة الأسرة في استقبال المولود يعكس اهتمامه بالطفل واحترام حقوقه منذ لحظة ولادته، فالقدوة النبوية هنا تُعلّم الأهل كيفية التفاعل الإيجابي مع أبنائهم، بما يعزز المودة والرحمة.

وتظهر القدوة أيضاً في السلوكيات العملية؛ مثل اختيار الأسماء الطيبة، والدعاء بالبركة، وتقديم الحنان والاعتناء بالطفل جسدياً وروحياً، فالأفعال العملية للنبي (ﷺ) تصبح معياراً لتربية الأبناء، ويُستفاد منها في جميع الجوانب الأسرية والاجتماعية^(١).

كما أنّ الاقتداء بالنبي (ﷺ) يعزز الانسجام بين التربية الأسرية والتعليم الديني، إذ يتم غرس القيم الإسلامية في الطفل بشكل طبيعي، ويصبح احترام السنن النبوية جزءاً من حياته اليومية، مما يُسهم في بناء جيل متزن أخلاقياً ودينياً^(٢).

وعلى المستوى المجتمعي فإن القدوة في التعامل مع الأبناء تُشجع الأسر الأخرى على تبني نفس الأساليب التربوية، فتنتشر سنن الرحمة والمودة، ويصبح المجتمع كله بيئة صالحة لتنشئة الأطفال على القيم الإسلامية والصالح، ويُرسخ التلاحم الأسري والاجتماعي منذ البداية.

(١) ينظر: إعداد الداعية ومعالجة بعض مشاكل الدعوة، محمد محمد أبو فَرْحَة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ١٣، ص ٣٢٤.

(٢) ينظر: آراء ابن الجوزي التربوية: دراسة وتحليلاً وتقويماً ومقارنة، د. ليلي عبد الرشيد عطار، منشورات أمانة للنشر، ميريلاند - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ص ٥٨٦-٥٨٧.

وإن تنشئته على ذلك تجعله يألفه ويرتبط به، ليكون من رواده فيه مصلحة عظيمة، ولذلك أثره في تنمية القيم الخلقية الإسلامية المجتمعية^(١).

رابعاً: نشر ثقافة العناية بالأبناء تربوياً وروحياً منذ نعومة أظفارهم.

إن العناية بالطفل منذ ولادته تربوياً وروحياً تعكس رؤية الإسلام الشاملة للأسرة والمجتمع، فالاهتمام بالجانب الروحي لا يقل أهمية عن الرعاية الجسدية؛ فالتنشئة المبكرة تُشكل شخصية الطفل وتؤثر في سلوكه وأخلاقه طوال حياته^(٢).

ونرى أن التحنيك والدعاء والتسمية الإسلامية يُظهر كيف يمكن للأسرة أن تربي أبنائها على قيم الإيمان والاحترام والمودة، فتصبح التربية منذ الولادة وسيلة لغرس المبادئ الإسلامية في كل جوانب الحياة، ويكتسب الطفل شعوراً بالهوية والانتماء الديني منذ اللحظة الأولى.

وبالتالي، فإن نشر ثقافة العناية بالأبناء منذ الولادة يمثل قاعدة أساسية لبناء مجتمع متوازن، حيث تنطلق الأسرة المسلمة من الأسس الصحيحة، وتصبح كل مناسبة ولادة فرصة لغرس القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية، بما يعكس التكامل بين التربية الروحية والجسدية، ويمهّد الطريق لجيل يعتز بهويته الإسلامية ويطبق السنن النبوية في حياته اليومية.

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ

صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، ١/١٧٣.

(٢) ينظر: الغذاء والتغذية، عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، ص ٤١٩.

المطلب الرابع

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث العقيقة.

تُعد العقيقة من السنن المؤكدة في الإسلام، وهي تعبير عملي عن الشكر لله تعالى على نعمة المولود، وإعلان فرح الأسرة بميلاده، وتأكيد الروابط الاجتماعية بين الأقارب والجيران، وقد جاء الإسلام بنظام واضح للعقيقة يُرشد الأسر إلى كيفية الاحتفال بالمولود بطريقة مشروعة، تجمع بين التعبير عن الامتنان لله تعالى، والحفاظ على السنن الفطرية، فضلا عن كونها تسهم في تعزيز الروابط الاجتماعية.

وقد ورد عن رسول الله (ﷺ): (مَعَ الْغُلَامِ عَقِيْقَةٌ، فَأَهْرِيقُوا عَنْهُ دَمًا وَأَمِيطُوا عَنْهُ الْأَذَى)^(١). حيث إنه من خلال العقيقة تُرسخ لدى الطفل والأسرة مبادئ الشكر والبركة منذ البداية، وتُعمق الشعور بالمسؤولية الاجتماعية والدينية تجاه النعم الممنوحة من الله سبحانه وتعالى.

ومن خلال هذا المطلب سأشرع بيان أبرز الإرشادات النبوية والمضامين الدعوية والتوجيهات المستنبطة من الأحاديث العقيقة، وذلك في ضوء الآتي:

أولاً: التشريع للعقيقة كنوع من الشكر لله تعالى على نعمة المولود.

إن العقيقة^(٢) تعلّم الأسرة والمجتمع أن كل نعمة -وخاصة نعمة المولود- يجب أن يُصاحبها شكر عملي؛ فالفرح بالمولود لا يقتصر على الاحتفال، بل يشمل

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب العقيقة باب إمطة الأذى عن الصبي في العقيقة، ج ٧، ص ٨٤، رقم ٥٤٧١.

(٢) العقيقة هي: الذبيحة التي تذبح عن المولود، ومنه سميت الشاة التي تذبح عن المولود يوم أسبوعه. ينظر: فقه السنة، سيد سابق، ٣/٣٢٦.

العمل الصالح، مثل الذبح للصدقة، والدعاء، والعناية بالطفل، بما يعكس الامتنان لله تعالى، وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر، كما قيل^(١):

إذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلله وإن طالت الأيام واتصل العمر

فالعقيقة تمثل شكلاً عملياً لشكر الله تعالى على نعمة المولود^(٢)، فهي عبادة صغرى مرتبطة بالفرح بالمولود وإقامة شعائر الشكر لله، فالأسرة التي تُقدّم العقيقة تُظهر إدراكها لأهمية الاعتراف بالنعمة والامتنان لها، بما يعزز القيم الدينية ويُعلم الأطفال منذ الصغر معنى الشكر.

فقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله: (كُلُّ غُلَامٍ مَرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ، تُذَبِّحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ، وَيُسَمَّى)^(٣).

وقد اختلف أهل العلم في معنى قوله (مرتهن بعقيقته)، فذهب كثير من الشراح إلى أن المراد أنه محبوس عن تمام شفاعته لوالديه أو عن كمال بركته حتى تُؤدّى عنه العقيقة، وقيل: هو تعبير عن شدة تأكدها في حق الولي، لما فيها من إظهار الشكر على نعمة الولد. وقد قرر الفقهاء استحباب ذبح العقيقة يوم السابع، فإن لم

(١) ينظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي (٦٣٦-٧٩٥هـ)، تحقيق وتعليق: طارق بن عوض الله، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٣٨٩.

(٢) ينظر: أحكام العقيقة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، أبو ديس، القدس، ص ٧-١٠.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، مسند البصريين ومن حديث سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، ج ٣٣، ص ٣٦٠، رقم ٢٠١٩٣.

يتيسر ففي الرابع عشر، فإن لم يتيسر ففي الحادي والعشرين، قياساً على ما ورد في بعض الآثار. كما نصوا على أنه لا يجرى فيها من الشاء إلا ما يجرى في الأضحية من حيث السن والسلامة من العيوب، وذكر أنه يجوز تسمية المولود يوم ولادته، وإن كان الأفضل أن يكون ذلك يوم السابع جمعاً بين الروايات، وبذلك يظهر أن العقيقة شعيرة شكرٍ وتقرب، تجمع بين التبعد والبعد الاجتماعي في إعلان الفرح بالمولود ضمن الضوابط الشرعية^(١).

إن التشريع للعقيقة يُبرز حكمة الإسلام في ربط المناسبات الاجتماعية بالدين، بحيث تصبح الاحتفالات الأسرية مناسبات تربوية، فقد سميت عقيقة لأنها تقطع عروقها عند الذبح^(٢)، كما أنها تعلم الطفل أن كل نعمة تُرافقها مسؤولية وشكر، وأن الفرح الحقيقية مرتبطة بالامتثال لأوامر الله، وليس مجرد مظاهر اجتماعية أو مادية.

كما أن الالتزام بالعقيقة يعلم المجتمع المسلم أهمية التقدير العملي للنعم، ويحول الفرح الشخصي إلى عمل مشروع يُثاب عليه، مما يجعل كل مناسبة ولادة فرصة لتذكير الأسرة والمجتمع بفضل الله تعالى، وتوجيهها نحو العبادة والطاعة في حياتهم اليومية^(٣).

(١) فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبه الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة -

المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م، ٩/١٠.

(٢) ينظر: الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، ط ١، ١٤٣٥ هـ -

٢٠١٤ م، ٨/١٧٧.

(٣) ينظر: فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، حققه: محمد زكي الخولي،

الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠ م، ٣/٢٢٧.

ثانياً: ترسيخ سنن الفطرة والاهتمام بالهوية الإسلامية في المناسبات.

العقيدة تعكس سنن الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها، من حيث الذبح الطيب والصدقة على الفقراء^(١)، وتعليم الطفل منذ الولادة احترام أحكام الدين في حياته اليومية، فهي مناسبة لتقوية ارتباط الطفل بالهوية الإسلامية، ولتوجيه الأسرة إلى التمسك بالقيم الفطرية والدينية.

ومن خلال تنفيذ العقيدة تتعلم الأسرة كيف تجعل كل مناسبة مناسبة تربوية ودعوية، فتصبح الولادات نقاطاً غرسية للقيم الدينية، وتربط بين الفرح الشخصي وبين المسؤولية الاجتماعية، وتعليم الأطفال منذ الصغر أن كل نشاط مشروع يجب أن يلتزم بالضوابط الشرعية والأخلاقية.

ومن هنا تصبح العقيدة مرحلة تعليمية تعلم الطفل وأهله الالتزام بالسنة، وتوضح أن كل نعمة يجب أن يُصاحبها التقدير والامتنان للشيعة، واعتبار الناس على اختلاف درجاتهم وحب ذوي القربى والميل إلى اصطناع المعروف وفعل الخير واجتناب السوء وأهله، فتتشكل الهوية الدينية منذ البداية، ويصبح الطفل جزءاً من مجتمع واعٍ بالقيم، متفاعلاً مع السنن الفطرية والدعوية في حياته^(٢).

ثالثاً: إبراز التوازن بين الذكر والأنثى في الأحكام، مع مراعاة الفروق.

أوضح الحديث أن حكم العقيدة يراعي فروق الذكر والأنثى في عدد الأضحية، إذ يشترك الجميع في التقدير والاحتفال، لكن مع مراعاة الفروق المشروعة، وهذا

(١) ينظر: الدرر المنقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، ص ١٧٧/٨.

(٢) ينظر: مجلة الأستاذ، جريدة علمية تهذيبية فكاكية صدرت على يد عبد الله النديم (ت

١٣١٤هـ)، دار كتبخانة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى - طبق الأصل -، ١٩٨٥م،

ص ٨٧٧.

يُظهر حكمة التشريع في تحقيق التوازن بين الجنسين، وعدم التمييز، مع الاعتراف بالخصوصيات الفطرية والاجتماعية^(١).

ويؤكد ذلك ما ورد في السنة من قوله ﷺ: (عَنِ الْغُلَامِ شَاتَانِ، وَعَنِ الْأُنْثَى وَاحِدَةٌ، وَلَا يَضُرُّكُمْ ذُكْرَانًا كُنَّ أَمْ إِنَاثًا)^(٢)

وقد بيّن الشُّرَّاحُ أن المراد بـ(متكافئتين) أي متقاربتين في السن والصفة، لا فرق بينهما في القيمة أو السلامة من العيوب^(٣).

أما الحكمة في جعل شاتين عن الغلام وشاة عن الجارية، فقد ذكر العلماء أن ذلك من باب التفاوت في مقادير النُّسك، لا من باب تفضيل الجنس، إذ الحقيقة شكرٌ على نعمة المولود، وقد راعت الشريعة في بعض الأحكام اختلاف الأعباء والمسؤوليات؛ فالغلام جرت العادة أن يكون موضع نفقة ومسؤوليةٍ أوسع في البناء الاجتماعي، فجاءت الحقيقة عنه أبلغ في الإظهار، وهذا التفريق تعبديٌّ محضٌ يُتلقى بالقبول، مع بقاء الأصل في الكرامة الإنسانية والتكريم الشرعي مشتركاً بين الذكر والأنثى، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾^(٤).

(١) ينظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، حققه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ٤١٢/٢. وحقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، نوال بنت عبد العزيز العيد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص ٧٩. الحديث صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأضاحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ١٥٠/٣، برقم: (١٥١٦)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

(٣) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة، ٢٨٠/٢.

(٤) ينظر: بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، ٦٠٥/٩. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، ٢٨٠/٢.

ويُستفاد من هذا التوازن تعزيز مفهوم العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات،
فالتربية على المبادئ الإسلامية تبدأ منذ الولادة، وتعلّم الطفل احترام أحكام الشرع
والاعتراف بالفروق المشروعة بين الأشخاص، بما يرسّخ العدالة الاجتماعية منذ
الطفولة.

كما أنّ مراعاة الفروق بين الذكر والأنثى في العقيدة يُظهر حكمة الإسلام في
تنظيم الحياة الاجتماعية بشكل متكامل، بحيث يضمن التقدير والعدل، ويقلل التفاوت
في التعاملات، ويعلم المجتمع أن الفرح والمكافأة مرتبطان بالقيم الشرعية وليس
بالمظاهر المادية أو الاجتماعية^(١).

وبذلك تتعلم الأسرة أن كل نعمة يجب أن تُستثمر في تعزيز القيم الأخلاقية
والعدالة الاجتماعية، وأن الفروق بين الذكر والأنثى ليست تمييزاً، بل جزء من النظام
الإلهي الحكيم، الذي يرَبّي الأطفال على التقدير، والاعتراف بالحقوق، والواجبات منذ
البداية.

(١) ينظر: التعليق على العدة شرح العمدة، أسامة علي محمد سليمان، الشبكة الإسلامية، د.ت،
٤/٥٣.

المبحث الثاني

المناسبات الاجتماعية العامة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من

الأحاديث الواردة فيها

المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إكرام الضيف

لقد اعتنى الإسلام بعناية بالغة بتنظيم العلاقات الاجتماعية العامة، وجعل لها أطراً أخلاقية وتشريعية تحفظ للمجتمع تماسكه، وتُعزز قيم المودة والرحمة بين أفرادها، ومن أبرز هذه القيم خُلُق إكرام الضيف الذي يُعد من السنن الاجتماعية الراسخة في الشريعة الإسلامية؛ وقد وردت في ذلك أحاديث نبوية شريفة تؤكد مركزية هذا الخلق، وتربطه بالإيمان بالله واليوم الآخر، كما في قول النبي (ﷺ): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)^(١)، حيث يُبرز هذا الحديث مكانة الضيافة بوصفها سلوكاً تعبدياً واجتماعياً في آن واحد، يجمع بين تزكية النفس وبناء العلاقات الإنسانية، ويجعل من البيت المسلم فضاءً للقيم الدعوية العملية، التي تُمارس في الواقع اليومي وتنعكس على المجتمع ككل، بما يُسهم في نشر الأخلاق الإسلامية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، وتمثيل الإسلام تمثيلاً حضارياً.

وفي ضوء هذا الحديث وغيره فاني سأبين أبرز المضامين الدعوية والإرشادات والتوجيهات النبوية المستنبطة من أحاديث إكرام الضيف وذلك على وفق النقاط الآتية:

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ١١/٨، رقم ٦٠١٩. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، ٦٨/١، رقم ٤٧.

أولاً: ربط السلوك الاجتماعي بالإيمان، مما يدل على أن حسن المعاملة جزء من العقيدة.

إنَّ الأحاديث الواردة في إكرام الضيف تؤكد على أنَّ إكرام الضيف ليس سلوكاً اجتماعياً محضاً، بل هو مظهر من مظاهر الإيمان الصادق، حيث ربط النبي (ﷺ) هذا الخلق بالإيمان بالله واليوم الآخر، في دلالة واضحة على أن العقيدة الإسلامية لا تتفصل عن السلوك العملي؛ فالمؤمن الحق هو من يترجم إيمانه إلى أفعال ملموسة، يظهر أثرها في تعامله مع الناس، ومن ذلك حسن الاستقبال، واللف في المعاملة، والقيام بحقوق الضيف^(١).

كما يُرسّخ هذا الربط مفهوم شمولية الإسلام، الذي يجعل من الأخلاق جزءاً لا يتجزأ من المنظومة العقدية، ويُرَبِّي المسلم على مراقبة الله في علاقاته الاجتماعية، مما يُعزز الإحساس بالمسؤولية الأخلاقية، ويسهم في ضبط السلوك الفردي وفق ميزان الإيمان.

إنَّ هذا التوجيه النبوي يُعيد ترتيب القيم الاجتماعية، فيجعل معيار التفاضل هو السلوك الإيماني العملي، لا المظاهر أو الأعراف المجردة، وبذلك تتحول الضيافة إلى عبادة يُبتغى بها وجه الله، وتُغرس في النفوس منذ الصغر كجزء من الهوية الدينية^(٢).

(١) يُنظر: ونصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، ١٦٢٤/٥.

(٢) يُنظر: حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ص ٧٢. والجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، سعيد بن علي ثابت، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص ٨١.

وعلى المستوى الدعوي، فإن ربط إكرام الضيف بالإيمان يسهم في بناء مجتمع واعٍ يدرك أن التزامه الأخلاقي هو انعكاس مباشر لعقيدته، مما يعزز النزاهة، والصدق، وحسن التعامل في الحياة العامة.

ثانيًا: الحث على إكرام الضيف والضيافة لإظهار محاسن الإسلام وقيمة السامية.

يعد إكرام الضيف من اسمى صور الكرم التي حث عليها السلام؛ لما لها من أثر بالغ في اظهار اخلاق هذا الدين وهدية القويم، وتجسد قيمه السامية، فالضيافة لست تقديم طعام او شراب، وانما هي منظومة متكاملة تشمل البشاشة والاهتمام والاحترام؛ لان الاخلاق في المفهوم الاسلامي لا تمثل الجانب النفعي فحسب، انما تتعدى الى ابراز الجانب الجمالي والتحسيني فضلا عن الارتدة والخير^(١).

ومن الأحاديث الجامعة في باب آداب الاجتماع وبناء الروابط بين الناس قوله (ﷺ): (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ)^(٢).

فهذا الحديث يضع إطارًا متوازنًا لحسن الضيافة، يجمع بين الحث على الكرم، ومنع التكلف والمشقة. فقله (ﷺ): (الضيافة ثلاثة أيام) يدل على أن حق الضيف المؤكد يكون في هذه المدة، أما (جائزته يوم وليلة) فقد فسرها الشراح بأنها أخص مراتب الإكرام وأعلاها، أي أن يُبالغ في إكرامه في أول يوم وليلة؛ لأن وقع الاستقبال الأول أعمق أثرًا في النفس، وهو الذي يرسخ صورة المودة ويعكس صفاء النية وحفاوة اللقاء. وقد بيّن العلماء أن (الجائزة) مأخوذة من العطاء الزائد الذي يُخصّ به

(١) يُنظر: علم الأخلاق الإسلامية: مقداد يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر

– الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م، ص ٨٦.

(٢) رواه صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف وخدمته، رقم (٦١٣٥)، ورواه

صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب الضيافة ونحوها، رقم (٤٨).

الضيف، فيُستقبل ببشاشة، ويُهيأ له أفضل ما عند المضيف من طعام وراحة، دون إسراف ولا مباهاة. وأما ما بعد الثلاثة أيام فليس حقًا لازمًا، بل هو صدقة وتطوع، مراعاةً لحال المضيف، ورفعًا للحرص عنه، حتى لا تتقلب الضيافة من خلق كريم إلى عبء ثَقِيل^(١).

وقد راعى الإسلام في تشريعه للضيافة مبدأ التيسير ورفع الحرج، فلم يُكَلِّف المسلم ما لا يطيق، بل دعا إلى الكرم بحسب الاستطاعة، مما يُظهر توازن الشريعة بين حفظ القيم الأخلاقية ومراعاة ظروف الناس؛ كما أن أحكام الشريعة الإسلامية مبنية على التيسير، ورفع الحرج، وعدم المشقة على الناس، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٢)، وهذا التوازن يجعل خُلُق الكرم قابلاً للتطبيق في كل البيئات الاجتماعية، دون تكلف أو إسراف^(٣).

كما يُسهم إكرام الضيف في تصحيح الصورة الذهنية عن الإسلام، لا سيما في المجتمعات المتنوعة، حيث يكون السلوك العملي أبلغ من القول في إيصال رسالة الدين، ويُبرز سماحته وإنسانيته وعدالته، ومن هنا، تتحول الضيافة إلى وسيلة دعوية غير مباشرة، تُمارس داخل البيوت، وتُظهر القيم الإسلامية في أبسط صورها، مما يعزز قبول الناس للدين، ويقوي أثر الدعوة في المجتمع.

(١) يُنظر: شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمِّي إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، عِيَاضُ بْنُ مُوسَى بْنِ عِيَاضِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْيَحْيَى السَّبْتِي، المحقق: الدكتور يَحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، ٢١/٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٦.

(٣) يُنظر: اللؤلؤ والمرجان في محاسن دين الإسلام، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي آل حقوي، قدّم له أ. د. عاصم بن عبد الله القريوتي، دار اللؤلؤة للنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م، ص ١٦.

ثالثاً: تعزيز روح الألفة والمودة بين الناس من خلال إكرام الضيف.

يسهم إكرام الضيف في بناء جسور التواصل بين الأفراد والأسر، ويُعزز روح الألفة والمودة داخل المجتمع؛ إذ إن الضيافة تُزيل الحواجز النفسية، وتفتح أبواب التعارف والتراحم، وتُرسِّخ معاني الأخوة الإنسانية، فالضيف حين يُكرم يشعر بالتقدير والانتماء، والمضيف حين يؤدي هذا الخلق ينمي في نفسه قيم العطاء والإيثار، ولذلك قال الشاعر^(١):

ما يكرم الضيف إلا من له كرم *** ومن على بابه الأرزاق تقتسم
كرامة الضيف لا تحصى فضائلها *** طوبى لقوم على إكرامه عزموا
فإنها سنة في الناس ما برحت *** فكن بإكرامك الأضياف تلتزم
إن الضيافة بين الناس قد حمدت *** وإن فاعلها في قدره عظم
وتُعد هذه الممارسات الاجتماعية من السنن التي تحفظ للمجتمع توازنه، وتمنع تفككه، إذ تُقوي العلاقات الاجتماعية، وتُسهم في حل كثير من الإشكالات الناتجة عن الجفاء أو القطيعة. كما أن مشاركة الناس في بيوتهم ومناسباتهم تُعيد إحياء مفهوم الجماعة ووسيلة من وسائل التبليغ، وتُقلل من النزعة الفردية^(٢).

(١) يُنظر: حدائق الأولياء (١٣٤) مجلساً في شتى فروع المعرفة من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها)، سراج الدين عمر بن علي بن أحمد بن الملقن الأنصاري الأندلسي (ت ٨٠٤هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م، ١/٥٢٨.

(٢) يُنظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ١/١٢٨.

كما أن إكرام الضيف يُعد وسيلة عملية لترسيخ قيم التعاون والتكافل الاجتماعي، حيث يشعر كل فرد أنه جزء من نسيج اجتماعي متماسك، يقوم على الاحترام المتبادل، والمودة الصادقة.

وعلى المستوى التربوي، فإن تعويد الأبناء على إكرام الضيف داخل الأسرة من خلال اجتماع الأسرة العائلي الشهري والسنوي^(١) يسهم في تنشئتهم على هذه القيم، ويجعلها جزءاً من سلوكهم المستقبلي، مما يضمن استمرارية هذه السنن الاجتماعية في المجتمع الإسلامي.

رابعاً: الدعوة الى تمثيل القيم الإسلامية علمياً في الحياة اليومية.

يُبرز حديث إكرام الضيف البعد الدعوي العملي في الإسلام، حيث يُعد السلوك اليومي للمسلم وسيلة أساسية من وسائل الدعوة، لا سيما في التعامل مع غير المسلمين، فحسن الضيافة واللطف في المعاملة واحترام الآخر، كلها قيم تجسد الإسلام في صورته العملية، وتُسهم في إيصال رسالته دون خطاب مباشر، ولذلك فإن حسن الخلق مع الغير قيمة أعلى الإسلام من شأنها، وأكد عليها، وأكثر من الإشارة إليها؛ فهي أحد معايير القرب من الله تعالى ومن الناس^(٢).

إنّ هذا التوجيه النبوي يعمل على تحويل البيت المسلم إلى مساحة دعوية، يُمارس فيها الإسلام واقعاً حياً، ويُقدّم من خلال الأخلاق قبل الأقوال. وهذا النوع من الدعوة يُعد من أنجح الأساليب في التأثير، لأنه يعتمد على القدوة العملية، ويُخاطب الفطرة الإنسانية^(٣).

(١) يُنظر: الدعوة إلى الله فوائد وشواهد، عبد الملك بن محمد القاسم، دار القاسم، ص. ٦٥.

(٢) يُنظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص. ١٢٥.

(٣) يُنظر: أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٢٨/٤٩.

وقد أشار القرآن الكريم إلى ذروة معاني البذل والإيثار التي يتجلى فيها كرم النفس وحسن الاستقبال، في قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾^(١)، حيث تدل الآية على أن كمال الإيمان لا يقف عند حدود أداء الواجب، بل يتجاوزه إلى تقديم حاجة الغير على حاجة النفس، حتى في حال الضيق والفقر. و(الخصاصة) هي الحاجة الشديدة، أي أنهم يقدمون غيرهم مع شعورهم بالحاجة، لا مع وفرة وسعة، وهذا أبلغ في الدلالة على صدق الإيمان وسلامة الصدر^(٢).

وقد ورد في سبب نزولها ما رواه صحيح البخاري في قصة إكرام ضيف رسول الله (ﷺ)؛ إذ جاء رجل إلى النبي (ﷺ) يشكو الجوع، فلم يجد عند أزواجه شيئاً، فقال: (من يضيف هذا؟) فقام رجل من الأنصار، فانطلق به إلى أهله، ولم يكن عندهم إلا طعام الصبية، فنوّموا الصبية، وأطفئوا السراج، وأظهروا للضيف أنهم يأكلون معه، وباتوا جائعين، فلما أصبح أخبر النبي (ﷺ) أن الله قد عجب من صنيعهم، فنزلت الآية^(٣).

ويكشف شرح هذا الحديث عن مضمون دعوي بالغ الأثر؛ إذ تتجلى فيه حقيقة الإيثار العملي، لا بوصفه شعاراً، بل سلوكاً واقعياً في ظرف العوز. فالأنصاري لم يكرم الضيف من فائض ماله، بل من قوته وقوت عياله، ومع ذلك قدّم رضا الله

(١) سورة الحشر، الآية: ٩.

(٢) يُنظر: تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ، ٥٠٨/٢٩.

(٣) أخرجه صحيح البخاري في كتاب «مناقب الأنصار»، باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾، ٣٤/٥، رقم (٣٧٩٨).

على راحته الشخصية، وهذا يعمّق في الوعي الدعوي أن الضيافة ليست مجرد عادة اجتماعية، بل مظهر من مظاهر الإيمان الحيّ، وأن أعظم صور التأثير الدعوي تكون بالفعل الصادق الذي يترجم القيم إلى واقع معاش^(١).

كما أن تمثيل القيم الإسلامية في المناسبات الاجتماعية يُعزز الثقة المتبادلة بين أفراد المجتمع، ويُسهّم في بناء علاقات قائمة على الاحترام والتفاهم، مما يُظهر الإسلام كدين يدعو إلى التعايش السلمي، والتعاون الإنساني.

وبذلك يتضح أن إكرام الضيف ليس مجرد خُلُق فردي، بل هو مشروع دعوي متكامل، يُسهّم في نشر القيم الإسلامية، وبناء مجتمع متماسك، يعكس روح الإسلام في علاقاته اليومية، ويُجسد معاني الإيمان في الواقع العملي.

(١) يُنظر: سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، الدار العالمية للنشر - القاهرة، جاكرتا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م، ص ٢٠٦.

المطلب الثاني

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث إجابة الدعوة

اعتنى الإسلام عناية واضحة بتعزيز الروابط الاجتماعية بين أفرادها، وجعل من التفاعل الإيجابي بين الناس أساساً لبناء مجتمع متماسك تسوده المودة والرحمة، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما ورد في السنة النبوية من الحث على إجابة الدعوة، ولا سيما دعوة الطعام، لما تحمله من معانٍ اجتماعية ونفسية ودعوية عميقة؛ فقد قال النبي (ﷺ): (إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى طَعَامٍ فَلْيُجِبْ)^(١).

وهو توجيه نبوي يؤكد أن حضور المناسبات الاجتماعية ليس أمراً ثانوياً، بل هو سلوك مقصود شرعاً، يُسهم في توثيق العلاقات، وإزالة الجفوة، وإشاعة روح الألفة بين المسلمين.

ولبيان المضامين الدعوية والتوجيهات النبوية المتعلقة بمسألة إجابة الدعوة فإنني سأوضحها في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: بيان أهمية حضور المناسبات لما فيها من توطيد للعلاقات.

يؤكد الحديث النبوي الشريف المتعلق بإجابة دعوة الوليمة على أهمية التفاعل الاجتماعي الإيجابي من خلال الحث على حضور الدعوات والمناسبات، لما في ذلك من أثر كبير في تقوية الروابط بين الأفراد والأسر؛ فإجابة الدعوة تُعد صورة من صور المشاركة الاجتماعية التي تُشعر الفرد بانتمائه إلى جماعة، وتُعزز مفهوم الأخوة الإسلامية التي تقوم على التراحم والتواصل^(٢).

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح باب الأمر بإجابة الداعي إلى دعوة، ١٠٥٤/٢، رقم ١٤٣٧.

ورواه البخاري في صحيحه، بلفظ "إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا". كتاب

النكاح باب حق إجابة الوليمة والدعوة ومن أولم سبعة أيام ونحوه، ٢٣/٧، رقم ٥١٧٣.

(٢) يُنظر: دليل الداعية، ناجي بن دايل السلطان، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى،

كما أن حضور المناسبات يسهم في إزالة كثير من مظاهر القطيعة أو الجفاء التي قد تنشأ بسبب الانشغال أو سوء الفهم، ويُعيد بناء جسور التواصل بين الناس، مما يُحقق مقصد الشريعة في حفظ وحدة المجتمع وتماسكه، فالتفاعل الاجتماعي هنا ليس ترفاً اجتماعياً، بل هو ضرورة لبناء علاقات صحية قائمة على الثقة والاحترام، وهنا تبرز الخبرة الاجتماعية "كونها تتيح الجماعة -كنموذج مصغر للمجتمع- فرصة لتكوين علاقات اجتماعية جديدة، واكتساب خبرات ومهارات اجتماعية تفيد في تحقيق التوافق الاجتماعي"^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): (إذا دُعي أحدكم إلى وليمةٍ فليأتها)، وفي رواية: (إذا دعا أحدكم أخاه فليُجب، عرساً كان أو نحوه)^(٢).

وبدل الحديث على أصل اجتماعي مهم، وهو أن إجابة الدعوة ليست مجرد مجاملة، بل هي من حقوق الأخوة التي تحفظ الودّ، وتصون الروابط، وتمنع التباعد والجفاء، وذكر (العرس) على وجه الخصوص لأن وليمة النكاح أكد الدعوات وأشدّها تعلقاً بإظهار الفرح المشروع، ثم ألحق به (أو نحوه) ليدخل في عموم المناسبات الاجتماعية التي يتحقق بها التواصل^(٣).

ويُظهر هذا التوجيه النبوي أن الإسلام لا يدعو إلى الانعزال أو الانغلاق، بل يحث على الاندماج الإيجابي في المجتمع، والمشاركة في أفراح الناس ومناسباتهم، بما يعزز الشعور بالمودّة والتكافل.

(١) التوجيه والإرشاد النفسي، ص ٣٢٣.

(٢) أخرجه صحيح مسلم في كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الدعوة، ١٥٣/٣، رقم (١٤٢٩).

(٣) التوضيح لشرح الجامع الصحيح، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، ٥٢٥/٢٤.

وعلى المستوى الدعوي، فإن هذا الحضور يُتيح فرصاً للتعارف والتناصح وتبادل القيم، مما يجعل المناسبات الاجتماعية مجالاً رحباً لغرس الأخلاق الإسلامية وتعزيزها^(١).

ثانياً: احترام دعوة المسلم وعدم ردها إلا بعذر، مما يعزز مشاعر الود.

إنّ إجابة الدعوة في المنظور الإسلامي تعبير عن احترام الآخر وتقدير مشاعره، فالدعوة بحد ذاتها تحمل معنى الاعتراف والمودة، وردّها دون عذر قد يُحدث أثراً نفسياً سلبياً في نفس الداعي. لذلك حثّ النبي (ﷺ) على إجابة الدعوة، لما في ذلك من حفظ للمشاعر وتعزيز لأواصر المحبة^(٢).

وقد وجّه النبي (ﷺ) إلى تلبية الدعوة، مع مراعاة حال المدعو، فقال: (إذا دُعي أحدكم فليُجب، فإن كان صائماً فليُصلّ (أي: فليدعُ)، وإن كان مفطراً فليطعم)^(٣).

ويفيد الحديث أصل وجوب إجابة الدعوة -ولا سيما وليمة العرس- عند جمهور الفقهاء بشروطها، لما في ذلك من تحقيق مقاصد اجتماعية ظاهرة، فإن كان مفطراً استُحب له أن يطعم؛ تحقيقاً لمقصود الدعوة، وإدخالاً للسُرور على الداعي، ومشاركة فعلية في المناسبة، وإن كان صائماً فإنه يحضر ويعتذر بلطف، ويدعو لصاحب

(١) يُنظر: التوجيه والإرشاد النفسي، ص ٣٢٣.

(٢) يُنظر: إجابة الدعوة وشروطها، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤ هـ، ص ٤٩؛ وبحث في إجابة الدعوة، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١ م، السنة الثالثة والثلاثون، العدد ١١١، ص ١٣٣.

(٣) أخرجه صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الدعوة، ١٠٥٤/٢، رقم (١٤٣١).

الدعوة بالبركة، لقوله (فليصل) أي فليدع، فلا يقطع الصلة ولا يشعر الداعي بالإعراض، بل يجمع بين حفظ صومه وصيانة مشاعر أخيه^(١).

وفي ذلك فقه اجتماعي رفيع؛ إذ لم يجعل الصوم مانعاً مطلقاً من الحضور، بل شرع الحضور مع الدعاء، ليبقى معنى المشاركة قائماً ولو معنوياً. وقد ذكر الفقهاء في كتبهم جملةً من الأعذار التي تبيح التخلف عن إجابة الدعوة، ومن أبرزها^(٢):

١. وجود منكرٍ ظاهرٍ لا يستطيع المدعو تغييره؛ كالمعازف المحرمة أو الاختلاط المحرم أو مظاهر المجاهرة بالمعصية؛ فإن عجز عن الإنكار، لم تجب عليه الإجابة، بل قد تحرم، لأن حضور المنكر إقرارٌ له ضمناً.

٢. الصوم الواجب؛ كصوم رمضان أو القضاء أو النذر المعين؛ فهنا لا يجوز له الفطر لأجل الدعوة، ويُسحب له الحضور والدعاء إن تيسر، كما دلّ عليه الحديث.

٣. تخصيص الدعوة بالأغنياء وترك الفقراء؛ لقوله (ﷺ): (شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيْمَةِ؛ يُدْعَى لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ)^(٣).

(١) يُنظر: سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط ٣، ١٤٣٣هـ، ١٢٦/٦.

(٢) يُنظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، ١٣/٢٠٩. ويُنظر: عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي عبد الرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ، ١٠/١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح - باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله، ٣٢/٧، برقم: (٥١٧٧).

٤. فإذا قامت الدعوة على التمييز الطبقي وإقصاء المحتاجين، فقد اختل مقصدها الشرعي، وكان في إجابة مثلها نوع تزكية لهذا المسلك.

٥. الضرر أو المشقة غير المعتادة؛ كمرض، أو خوفٍ معتبر، أو التزام واجبٍ يتعذر الجمع بينه وبين الحضور.

٦. سبق دعوة أخرى تعيّنت قبلها؛ على تفصيلٍ في كتب الفقه، حيث تُقدّم الأسبق أو الأوثق حقاً.

والبعد الأخلاقي والدعوي هنا يتبين من مجموع النصوص في أن الشريعة لا تنظر إلى الدعوة من زاوية الطعام فحسب، بل من زاوية حفظ النسيج الاجتماعي؛ فالإجابة تربيةً على التواضع، وكسرٍ لحواجز الانعزال، وإحياءٍ لمعنى الجماعة. كما أن ضبطها بالأعذار المشروعة يمنع تحوّل المناسبات إلى مظاهر رياءٍ أو تمييزٍ أو مجاملةٍ فارغة.

وعليه، فالأصل في الدعوة الإجابة، تحقيقاً للألفة، إلا أن يعارضها عذرٌ معتبرٌ شرعاً، يقدرٌ بقدره، مع بقاء خُلُق الاعتذار الحسن والدعاء الطيب، صيانةً للقلوب وجمعاً بين امتثال الحكم ورعاية الشعور.

ويُرسّخ هذا التوجيه قيمة الذوق الاجتماعي في التعامل، ويُعلّم المسلم مراعاة أحاسيس الآخرين، وعدم الاستخفاف بمبادراتهم الاجتماعية فالحديث "فيه دلالة على وجوب إجابة الدعوة سواء كانت عرساً أو غيره إذا صدق عليها مسمى الوليمة"^(١)، وهو ما ينعكس إيجاباً على استقرار العلاقات الأسرية والمجتمعية.

(١) تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص ٢٢٣.

كما أن استثناء العذر الشرعي في عدم الإجابة خشية الضرر يُظهر مرونة الشريعة وواقعيتها، حيث توازن بين حفظ الحقوق الاجتماعية ومراعاة ظروف الأفراد، دون تحميلهم ما لا يطيقون^(١).

ومن الناحية الدعوية، فإن احترام الدعوة يُسهم في نشر ثقافة التقدير المتبادل، ويُعزز صورة المسلم كإنسان متوازن يجمع بين الالتزام الديني وحسن المعاشرة.

ثالثاً: إجابة الدعوة ادخالاً للسرور على الداعي، وهو من شعب الإيمان.

تُعد إجابة الدعوة وسيلة من وسائل إدخال السرور على المسلم، وهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة، إذ جعل الإسلام إدخال الفرح على قلوب الناس من الأعمال الصالحة التي يُثاب عليها العبد، فحضور المدعو يشعر الداعي بالقبول والتقدير، ويُضفي على المناسبة معنى المشاركة الحقيقية ما دامت المشاركة خالية من الموانع الشرعية^(٢).

وتأكيداً لما تقدّم من أن إجابة الدعوة وسيلة لإدخال السرور، جاء البيان النبوي جامعاً لحقوق اجتماعية تُقيم بنیان الأخوة على أُسسٍ عملية، فقال (ﷺ): (حقّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردّ السلام، وزيارة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميتُ العاطس)^(٣).

حيث جاءت إجابة الدعوة ضمن منظومة من الحقوق التي تحفظ التماسك الاجتماعي؛ ردّ السلام يفتح العلاقة بالطمأنينة، وزيارة المريض تُجسّد المواساة،

(١) يُنظر: إجابة الدعوة وشروطها، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد، ص ١١٥.

(٢) يُنظر: فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة، أعده للشاملة الغريب الشهري، د. ط. ت، ص ٤٥٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، رقم ١٢٤٠، وأخرجه صحيح مسلم، كتاب السلام، رقم ٢١٦١.

واتباع الجنائز يُظهر الوفاء، وتشميت العاطس يعمّق روح التعاطف، وإجابة الدعوة تُتمّي المشاركة في الفرح. وقد بيّن سُراح الحديث أن المراد بإجابة الدعوة هنا دعوة الوليمة، وخصّها بعضهم بوليمة العرس لورود النصوص المؤكّدة فيها، مع بقاء غيرها من الدعوات في دائرة الاستحباب المؤكّد. ووجه إدراجها ضمن (الحقوق) أن في تركها بغير عذر كسرًا لخاطر الداعي، وإشعارًا بالإعراض، مما يُضعف رابطة الألفة^(١).

وإجابة الدعوة ليست إجراءً اجتماعيًا شكليًا، بل ممارسةً تعبّدية ذات بُعدٍ مقاصدي؛ إذ تحقق ما يلي^(٢):

١. إدخال السرور على المسلم، وهو من القربات التي تتجلى فيها روح الشريعة في رعاية القلوب.

٢. تثبيت مبدأ المشاركة؛ فالفرح في الإسلام ليس شأنًا فرديًا، بل جماعيًا يُتداول بين الناس.

٣. تعميق الأخوة العملية؛ إذ تتحول العلاقة من مجرد معرفة إلى تواصل حيّ.

٤. منع القطيعة وسوء الظن؛ لأنّ التخلّف بغير عذر قد يُفهم على أنه استعلاء أو جفاء.

(١) يُنظر: إكمال المُعلّم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم للقاضي عياض)، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن عمرو اليحصبي السبتي، أبي الفضل (ت ٥٤٤هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٤٦/٧. ويُنظر: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦هـ)، لأبي محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤-٨٧٠هـ)، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيمان، دراسة وتحقيق وتخريج: أ.د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، المُحقّق، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م، ٥٣١/١٣.

(٢) يُنظر: التتوير شرح الجامع الصغير، لابن صلاح، ١٣٨/٤.

لذلك فإن إدراج إجابة الدعوة ضمن (حقوق المسلم) يدلّ على أنها ليست من قبيل الترف الاجتماعي، بل من مقتضيات العيش الجماعي الذي أرادته الشريعة؛ مجتمعٌ تتعاضد فيه القلوب، وتتآزر فيه المشاعر، وتُحفظ فيه الكرامات. وعليه، فإجابة الدعوة أحد المظاهر العملية للأخوة الإيمانية، ومظهرٌ من مظاهر الامتثال الذي يجمع بين التبعّد لله تعالى، ورعاية حقّ العبد، في آنٍ واحد. ويرتبط هذا المعنى بالبُعد الإيماني للأخلاق، حيث تتحول الممارسات الاجتماعية إلى أعمال تعبدية يُبتغى بها وجه الله، مما يرفع من قيمة السلوك اليومي، ويجعله جزءًا من منظومة الإيمان.

كما يسهم إدخال السرور في تقوية الروابط النفسية بين الناس، ويُقلل من مشاعر العزلة أو الإهمال، خاصة في المجتمعات التي قد تغطي فيها الفردية والانشغال^(١).

ومن هنا، فإن إجابة الدعوة ليست مجرد استجابة اجتماعية، بل هي ممارسة إيمانية تسهم في بناء مجتمع متراحم، تسوده المشاعر الإيجابية، وتُترجم فيه القيم الإسلامية إلى واقع ملموس.

ويسهم هذا النوع من الدعوة في بناء صورة إيجابية عن المجتمع المسلم، حيث تظهر فيه معاني التعاون، والتراحم، وحسن المعاشرة، مما يعزز قبول القيم الإسلامية لدى الأفراد، خاصة في البيئات المتنوعة.

كما أن نشر ثقافة التواصل يُسهم في معالجة كثير من المشكلات الاجتماعية، ويُعيد إحياء روح الجماعة، ويجعل من المناسبات الاجتماعية فرصًا لبناء الثقة وتعزيز الأخلاق، وقد جرب كثير من الدعاة في وقتنا معالجة بعض المخالفات

(١) يُنظر: كيف تكسب الناس، مازن بن عبد الكريم الفريح، وزارة الأوقاف السعودية، ص ١٦.



الاجتماعية عن طريق زيارة مشايخ القبائل، وكبار الأسر، فكان لتلك الزيارات من التأثير السريع والنتيجة العجيبة الشيء الذي ينبغي استثماره والتأكيد عليه^(١).

وبذلك يتضح أن إجابة الدعوة ليست سلوكاً فردياً محدود الأثر، بل هي منهج اجتماعي دعوي متكامل، يُسهم في تقوية العلاقات، ونشر القيم، وتحقيق مقاصد الشريعة في بناء مجتمع مسلم متماسك ومتراحم.

(١) يُنظر: البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، ص ١٠١.



المطلب الثالث

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث زيارة الإخوان:

لقد أولى الإسلام عناية خاصة ببناء العلاقات الأخوية بين أفرادها، وجعلها قائمة على الإيمان الخالص والمودة الصادقة، لا على المصالح العابرة أو الروابط الشكلية، ومن أبرز مظاهر هذه الأخوة زيارة الإخوان في الله، لما تحمله من معانٍ تربوية ودعوية عميقة.

وقد ورد في السنة النبوية حديث مشهور في ذلك، وهو قصة الرجل الذي زار أخًا له في قرية أخرى، فأخبره الله على لسان الملك أنه يحبه لأنه زاره الله، فعن أبي هريرة عن النبي (ﷺ)؛ (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ)^(١).

ويُظهر هذا الحديث مكانة الزيارة الأخوية في الإسلام، ويبين أنها ليست مجرد تواصل اجتماعي، بل عبادة قلبية وسلوك إيماني يُثمر محبة الله، ويُسهم في ترسيخ الروابط الإيمانية، وبناء مجتمع متماسك تسوده الأخوة والتراحم.

ومن خلال هذا الحديث الوارد في فضل زيارة الإخوان فاني سأتعرض إلى أبرز المضامين الدعوية والإرشادات والتوجيهات النبوية الواردة في هذا السياق، وذلك في ضوء النقاط الآتية:

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله، ١٩٨٨/٤، رقم

أولاً: فضل زيارة الإخوان في الله تعالى وأثرها في تقوية الروابط الإيمانية.

تُعد زيارة الإخوان في الله من الأعمال الصالحة التي تُقوّي روابط الإيمان بين المسلمين، إذ تقوم على نية صادقة أساسها المحبة في الله، بعيداً عن أي دافع مادي أو مصلحة دنيوية، فالزيارة في هذا الإطار تُجدد معاني الأخوة الإيمانية، وهي التي أشار إليها النبي (ﷺ): (الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ)^(١).

كما أن هذه الزيارات تُسهم في تثبيت الإيمان في القلوب، من خلال التواصي بالخير، وتبادل النصيحة التي هي الدين^(٢)، وتذكير بعضهم بعضاً بالله، مما يجعل العلاقة الأخوية وسيلة من وسائل التربية الإيمانية المستمرة.

ويُبرز الحديث النبوي الوارد في فضل زيارة الإخوان في بداية المطلب أن تقوية الإيمان لا تقتصر على العبادات الفردية والشعائر التعبدية فحسب، بل تتحقق كذلك من خلال العلاقات الصالحة القائمة على التقوى وصدق المعاملة، فتغدو الزيارة الأخوية ميداناً عملياً لتجسيد الأخلاق الإسلامية في الواقع الاجتماعي.

وقوله (ﷺ): (المتحابون في الله على منابر من نور، في ظلّ العرش يوم لا ظلّ إلا ظله)^(٣)، يدلّ على منزلة رفيعة لأهل المحبة الخالصة لله تعالى، وهي محبة منشؤها الإيمان، وغايتها رضوان الله، لا تجمعها منفعة دنيوية ولا عصبية جاهلية.

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار رضي الله عنهم - حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، ٣٦ / ٣٨٤، رقم: (٢٢٠٦٢)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في مسند أحمد بتحقيقه، ٣٦ / ٣٨٤، رقم: (٢٢٠٦٤): "إسناده صحيح".

(٢) يُنظر: القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، وزارة الأوقاف السعودية، ص ١٧٩.

(٣) سبق تخريجه في الصفحة نفسها.

فقد بيّن أهل الشرح أن قوله (المتحابون في الله) أي: الذين كانت مودّتهم قائمةً على طاعة الله، يجتمعون عليها ويتفرّقون عليها، والمراد أنهم تحابّوا لطاعة الله وتقواه، لا لغرضٍ من أغراض الدنيا. أما قوله (على منابر من نور) فالمقصود بها رفعة المكانة وظهور الشرف، و(في ظل العرش) كنايةً عن الأمان والطمأنينة في موقفٍ يشدّ فيه الكرب، وهو يوم القيامة^(١).

فزيارة الإخوان في الله من الأعمال التي تُعزّز البنية الإيمانية للمجتمع، لأنها تقوم على نية خالصةٍ أساسها المحبة الصادقة، بعيداً عن حسابات النفع والمصلحة. فهي تُجدّد في النفس معنى الأخوة العقدية، وتُشعر الفرد بانتمائه إلى جماعةٍ تتألف قلوبها على طاعة الله، لا على روابط الدم أو المصالح، فضلاً عن كونها تُسهم هذه الزيارات في ترسيخ قيم التضامن والتكافل، وتحوّل المحبة من مجرد عاطفة باطنة إلى سلوكٍ عمليٍّ محسوس، ينعكس أثره على استقرار المجتمع وتماسكه^(٢).

إنّ المحبة الناتجة عن الصدق والأخوة في الله، المتحقّقة عبر هذه الزيارات بين الإخوان، لا تتحصّر في مجرد معنى قلبيٍّ مجرد، بل إنّ الحبّ في الله قيمة ساميةٌ وخلقٌ رفيع، يتجلّى في أبهى صوره في الصحبة الصادقة، بما ينعكس إيجاباً شامداً على رقيّ المجتمع ونضج الوعي لدى أفرادِهِ، فضلاً عن دلالاته على متانة الروابط الاجتماعية بينهم^(٣).

(١) يُنظر: التتوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، ٨/٨. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم

بن الحجاج، محمد الأمين الهرري، ٣١٩/٢٤.

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة، ٤٥٢/٩.

وآداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، ص ٦١.

(٣) يُنظر: منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق التوازن المجتمعي، أحمد عليوي عباس، أطروحة

دكتوراه، كلية الإمام الأعظم الجامعة، بغداد- العراق، ٢٠٢٣م، ص ١٠٠.

وقد أشار النبي (ﷺ) إلى هذا المعنى بقوله: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)^(١)، فلا يكتمل إيمانُ المسلم حتى يتمنى لأخيه من الخير ما يتمناه لنفسه، وفي ذلك ربط وثيق بين صدق المحبة الأخوية وقوة الإيمان؛ إذ لا تتحقق لذّة الإيمان وكَماله إلا إذا اتسع القلبُ بالعطاء العاطفي كما يتَّسع بالبذل المادي^(٢).

فالإسلام حين شرّع العلاقات الإنسانية أرسى القواعد على أساس التقوى، وهو معيار شامل ينظم سلوك الفرد والجماعة، ويحقق العدل والمساواة بين الناس، بعيداً عن المصالح الشخصية أو الامتيازات القبلية. وقد بدأت التقوى في الإسلام بمقاييس أخلاقية واضحة، تهدف إلى إعادة ترتيب العلاقات بين الناس على أسس جديدة، تخرجهم من ظلمات النظم القبلية التي وصلت مساوئها حدّاً قاتلاً في مجتمع مكة، حيث كانت العصبية القبلية والحسب والنسب والثراء معياراً للتفاضل الاجتماعي، مما أدى إلى استئثار الظلم والانحراف الأخلاقي. فجاءت الشريعة لتعلن أن الناس جميعاً سواسية، وأن الفضل الحقيقي لأي إنسان على آخر لا يكون إلا بالتقوى والعمل الصالح، وليس بمكانة اجتماعية أو غنى مادي أو نسب عائلي^(٣).

وعلى المستوى المجتمعي، فإن انتشار ثقافة زيارة الإخوان في الله يسهم في بناء نسيج اجتماعي متماسك، تُقوى فيه الروابط الإيمانية، ويقل فيه التفكك والجفاء.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان - باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ١ / ١٤، رقم: (١٣).

(٢) يُنظر: صور وخواطر، علي بن مصطفى الطنطاوي، راجعه وصححه وعلق عليه: مجاهد ديرانية، دار المنار للتوزيع والنشر، جدة - السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١١م، ص ٢٦.

(٣) يُنظر: السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، د.ت، ص ٥٧.

ثانيًا: الزيارات من أجل الله تعالى لمحبة الله للعبد.

إن قول النبي محمد (ﷺ) في الحديث (فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ)^(١) يبين لنا أن هناك منزلة عظيمة لزيارة الإخوان في الله؛ إذ يجعلها سببًا مباشرًا لنيل محبة الله سبحانه وتعالى، وهو غاية الغايات وأسمى المقاصد، فالرجل لم يزر أخاه لحاجة أو منفعة، وإنما زاره محبةً فيه لله، فكانت هذه النية الصادقة سببًا لإخبار الله له بحبه، لأن النية الصادقة لله لا جزاء لها إلا إعانة الله لك على الوفاء بها^(٢).

ويبرز هذا المعنى أهمية الإخلاص في الأعمال، حيث تتحول الأفعال البسيطة في ظاهرها إلى عبادات عظيمة الأجر إذا صلحت النية، مما يرسّخ في نفس المسلم مبدأ استحضار القصد الصالح في سلوكه الاجتماعي، فالعبد إذا عمل العمل لله خالصًا، ثم ألقى الله الثناء الحسن في قلوب المؤمنين، ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره، وفي الحديث عن النبي (ﷺ) أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه فقال: (تلك عاجل بشرى المؤمن)^(٣).

وقد أشار العلماء إلى أن التزاور في الله -سواء كان بالزيارة أو بقضاء حاجة المؤمن- من الأعمال التي تثمر محبة الله للعبد في قلوب المؤمنين، فالمتزاور في الله يُكسب القلوب قبل أن يُكسب الأجر عند الله، ويكون أثره في المجتمع ملموسًا

(١) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله، ١٩٨٨/٤، رقم ٢٥٦٧.

(٢) يُنظر: الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ٨٠.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أثنى على الصالح فهي بشرى ولا تضره، ٢٠٣٤/٤، رقم ٢٦٤٢.

بالانسجام والمحبة، كما أن الحديث يدل على أنه تعالى يتولَّى إعانة من أعان أخاه، سواءً في حاجة العبد التي يسعى فيها، أو في حوائج نفسه؛ فينال من عون الله ما لم يكن يناله بغير إعانتته، وإن كان تعالى هو المعين لعبده في كلِّ أموره^(١).

فمحبة الله في القلوب تُنتج قيام المسلم بقضاء حاجة أخيه أو زيارته يُثمر محبة الله له في قلوب عباد الله، فلا يبقى أثر لهذه المحبة مقصورًا على الدنيا، بل يمتد أثرها إلى العلاقات الاجتماعية، وفي هذا تعزيز الروابط الاجتماعية؛ حيث أن هذه الأعمال تزيد من الترابط والتواد بين المؤمنين، فتُترجم المحبة إلى فعل يُدعم التآخي والتعاون.

كما أن ربط محبة الله بسلوك اجتماعي يُظهر شمولية الإسلام، الذي يجعل الطريق إلى رضا الله مفتوحًا من خلال الأعمال القلبية والسلوكية معًا، لا من خلال العبادات الشعائرية فقط.

ومن الناحية الدعوية، فإن بيان هذا الفضل يُشجع المسلمين على إحياء هذه السنة، ويُحفزهم على بناء علاقاتهم على أساس المحبة الصادقة، طلبًا لمرضاة الله تعالى.

ثالثًا: بناء شبكة علاقات أخوية قائمة على الإخلاص والمودة وليس المصلحة.

تُرسخ زيارة الإخوان في الله أنموذجًا راقياً للعلاقات الاجتماعية، يقوم على الإخلاص والمودة، بعيدًا عن المصالح الضيقة أو الحسابات الدنيوية، فالعلاقة التي تُبنى على حب الله تدوم، وتثبت أمام تقلبات الحياة، لأنها تستمد قوتها من رابطة الإيمان^(٢).

(١) يُنظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام، ٣٤٨/٧.

(٢) من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م، ص ٣٥.

وقد جسد لنا النبي (ﷺ) مثالاً رائعاً في تمثيل هذه العلاقة بين المسلمين في قوله: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى) (١).

وهذا ما حثَّ عليه الإسلام؛ لأنَّه يدرك أهمية التعاضد والمودة والتآزر بين أبناء المجتمع الإسلامي، فدعاهم إلى ضرورة توجيه النصيح والإرشاد لمن يلزمه ذلك منهم، مع ضرورة التزامهم التعاطف والتراحم والتكاتف وبناء العلاقات بعيداً عن المصالح الفردية؛ بغية الوصول إلى مجتمع يسوده الحب والأمن، وجيل متزني سليم من العلل، ومحصن ضد الانحرافات العقدية والأخلاقية والاجتماعية (٢).

إنَّ هذا النموذج يسهم في بناء شبكة علاقات اجتماعية صحية، تقوم على الدعم النفسي والمعنوي، وتُعزز الثقة المتبادلة بين الأفراد، مما ينعكس إيجاباً على استقرار المجتمع وتماسكه. كما أنَّ هذه العلاقات الأخوية تُخفف من مشاعر العزلة والوحدة، وتُعزز الإحساس بالانتماء، خاصة في المجتمعات التي قد يطغى فيها الطابع المادي على العلاقات الإنسانية (٣).

وعلى المستوى التربوي، فإنَّ ترسيخ هذا المفهوم يُسهم في تنشئة الأفراد على قيم الإخلاص، والوفاء، والصدق في العلاقات، مما يُعزز البنية الأخلاقية للمجتمع المسلم.

(١) مسلم في صحيحه، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ١٩٩٩/٤، رقم الحديث (٢٥٨٦).

(٢) يُنظر: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د. عبد الحميد الصيد الزنتاني، الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، ص ٨٤١.

(٣) يُنظر: كيف تكسب الناس، مازن بن عبد الكريم الفريخ، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، ص ١٦.

رابعاً: الدعوة إلى التواصل والتراحم لترسيخ وحدة الصف:

تُعد زيارة الإخوان في الله وسيلة فعّالة لتعزيز التواصل والتراحم بين أفراد المجتمع، وهي من أهم الوسائل التي تُسهم في ترسيخ وحدة الصف الإسلامي، فالتواصل المستمر يُقوّي الروابط، ويُقلل من أسباب الفرقة والخلاف، ويُسهم في معالجة كثير من المشكلات الاجتماعية قبل تفاقمها.

ومن خلال قوله (ﷺ): (هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرِيهَا؟)^(١)، فإنّ التوجيه النبوي يظهر أنّ التزاور والتراحم بين المسلمين هو سبب للألفة والمحبة وتقوية العلاقات بينهم.

إنّ من أبرز ما يدعو إلى وحدة الصف وجمع كلمة المسلمين هو التناصر والتراحم والتواصل بينهم، فكلما زاد المسلمين وتواصلهم فيما بينهم زادت نسبة الاستقرار والأمن في مجتمعهم، فضلاً عن إنّ ذلك يحفظهم من التأثير بالمخاطر التي تحيط بهم وقت الفتن والأزمات^(٢).

وهذا ما أشار إليه النبي (ﷺ) بقوله: (وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ)^(٣).

كما أنّ المحبة والتراحم والتواصل تُعدّ من أبرز الأمور التي حثت عليها الشريعة الغراء ووجهت المسلمين إلى ضرورة التحلي بهما والتقيد بمضمونها لضمان وحدة صفهم، فالمحبة والتواصل أساس الأخوة الصادقة، أخوة العقيدة والدين، فالمحبة

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب في فضل الح في الله، ١٩٨٨/٤، رقم الحديث (٢٥٦٧).

(٢) يُنظر: منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق التوازن المجتمعي - دراسة دعوية-، د. أحمد عليوي عباس، ص ١٠٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب في فضل الح في الله، ١٩٨٨/٤، رقم الحديث (٢٦٩٩).



هي الطريق الأمثل والخلق الأكرم الذي يستطيع الشر أن يطبّعوا من خلاله علاقاتهم الاجتماعية^(١).

وبذلك يتضح أن زيارة الإخوان في الله ليست مجرد سلوك اجتماعي، بل هي منهج دعوي متكامل، يُسهم في بناء مجتمع مسلم متماسك، تسوده المحبة، وتترسخ فيه وحدة الصف، وتتحقق من خلاله مقاصد الشريعة في الإصلاح والبناء.

(١) يُنظر: الإسلام وعلم الاجتماع، د. محمود البستاني، مجمع البحوث للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م، ص ١٣١.



المطلب الرابع

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المعايدة في العيد:

تمثل الأعياد في الإسلام مناسبات دينية واجتماعية كبرى، تتجلى فيها معاني الفرح المشروع، وشكر الله على تمام النعمة، وتحقيق مقاصد العبادة في واقع الحياة، وقد أرست السنة النبوية وأفعال الصحابة رضي الله عنهم جملة من السنن الاجتماعية المرتبطة بالعيد، ومن أبرزها التهئة والمعايدة، كما في الأثر المشهور: (عَنْ قَوْلِ النَّاسِ فِي الْعِيدَيْنِ: تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ)^(١)، وهو أثر يحمل في طياته دلالات دعوية وتربوية عميقة، تجعل من العيد مناسبة لتجديد الروابط الإيمانية والاجتماعية، وربط مظاهر الفرح بالطاعة والعبادة، وتأكيد وحدة المجتمع المسلم على أساس من المحبة والمودة.

ووقد وردت أحاديث المعايدة في العديد من كتب السنن والحديث، وعلى الرغم من أن المعايدة بالعيد لم ترد نصاً في صحيح البخاري ومسلم إلا أنه قد وردت أحاديث كثيرة تشير إلى هذه المناسبة المباركة مثل حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال، (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ)^(٢).

إنَّ النبي (ﷺ) كان يخالف الطريق ليسلم على الناس ويهنئهم بالعيد ويشيع المودة بينهم.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب صلاة العيدين - باب ما روي في قول الناس يوم العيد بعضهم لبعض تقبل الله منا ومنك، ٣/ ٤٤٦، رقم: (٦٢٩٧)، وقال البيهقي: "وقد روي حديث مرفوع في كراهية ذلك، ولا يصح". ثم ساق بإسناده هذا الحديث. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، ٤٤٦/٢: "إسناده ضعيف". ثم قال بعده: "وروي في المحامليات بإسناد حسن عن جبير بن نفير قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك".

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب من خالف الطريق إذا رجع في العيد، ٢٣/٢، رقم الحديث (٩٨٦).

ولفظة (تقبل الله منا ومنكم) وإن كانت لم ترد في الصحيحين عن النبي (ﷺ) إلا أنها وردت عن كثير من الصحابة الكرام كما أشار إلى ذلك ابن حجر (رحمه الله) بقوله: (كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقَوُّا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ) (١).

ومن خلال إيراد بعض الأحاديث النبوية فإنني سأجمل أبرز المضامين الدعوية والتوجيهات المستنبطة من أحاديث التهنة بالعيد؛ وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: مشروعية التهنة بالعيد وصيغتها الشرعية المأثورة.

تدل آثار الصحابة رضي الله عنهم على مشروعية التهنة بالعيد، وكونها من السنن الحسنة التي أقرها عمل السلف، لما تحمله من معاني طيبة ودعوات صالحة، فقولهم: (تقبل الله منا ومنكم) يتضمن دعاءً بقبول الطاعات، ويذكر المسلم بأن العيد ليس نهاية العبادة، بل ثمرة لها (٢).

وتسهم الصيغة الشرعية المأثورة في توجيه المسلمين إلى اختيار الألفاظ الطيبة ذات البعد الإيماني، بدل الاقتصار على عبارات خالية من المعنى الديني، مما يُرسخ الوعي الشرعي في المناسبات الاجتماعية (٣).

وإن المتأمل في كتب السنة النبوية يجد أن الصحابة الكرام قد جسدوا لنا الصيغة المشروعة في التهنة بالأعياد، فعن جبير بن نفير قال: (كَانَ أَصْحَابُ

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٤٤٦/٢.

(٢) يُنظر: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، ٥٧٢/١. ونداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، تقديم: أبو بكر الجزائري، محمد صفوت نور الدين، محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري، جدة، ٣٧٦/٢.

(٣) يُنظر: دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ، ٥٧٢/١. ونداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، ٣٧٦/٢.

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا التَّقَوَّا يَوْمَ الْعِيدِ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنَّا وَمِنْكَ^(١) وهذا أشهر ما ورد عن الصحابة الكرام في تهنئة العيد.

وهذه التهنئة بهذه الصيغة وغيرها قد أجازها الفقهاء والعلماء استحباباً لما فيها من إظهار الفرح المشروع، وتقوية أواصر المحبة والألفة بين المسلمين، وفضلاً عنه كونها تمثل الشكر لله تعالى على إتمام شعائره رجاء القبول والرضا، لذلك يقول ابن قدامة المقدسي (لا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد: تقبل الله منا ومنك)^(٢).

إن من بين المقاصد الدعوية التي يمكننا استنباطها من أحاديث التهنئة بالعيد هو إدخال الفرح والسرور على قلوب الآخرين، وكون العيد هو ذروة الفرح المشروع بعد أداء العبادات ورجاء قبول الطاعات، فإن التهنئة بالمصافحة وتبادل الدعوات تُعد من الأمور المحببة التي تقوي أواصر المحبة وتدخل السرور على المسلم.

وهذا ما أشار إليه الإمام الغزالي (رحمه الله تعالى) من أن إدخال السرور على المسلمين أمر مباح إن كان ذلك بسرور مباح كالبنشاشة أو التهنئة أو المصافحة في أيام الأعياد والأعراس وإتمام حفظ القرآن الكريم وغيرها من المناسبات^(٣).

كما أن التزام هذه الصيغ يُعزز الاقتداء بالسلف الصالح، ويُسهّم في حفظ الهوية الإسلامية، وربط الأجيال المعاصرة بالتراث النبوي والعملية للأمة. وعلى المستوى الدعوي، فإن إحياء هذه السنة يُظهر جمال الإسلام في بساطة عباراته وعمق معانيه، ويُرسّخ القيم الدينية في الحياة اليومية.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ٤٤٦/٢.

(٢) المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجمايلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥، ٢٥٠/٢.

(٣) إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢٧٧/٢.

ثانيًا: إدخال الفرح والسرور على المسلمين في مواسم الطاعة.

العيد من المناسبات الكبرى حيث نصت الشريعة على ذلك لما له من إدخال الفرح والسرور إلى القلوب بعد أداء الطاعات، وتبادل التهاني والدعوات والنصائح والدعوات بتحقيق الأمنيات الطيبة، وأيضًا أباحت اظهار هذه الفرحة والتعبير عنها بوسائل البهجة المختلفة كالغناء في أيام العيد وفي الأعراس، وأتيان الفرح كالوليمة والعتيق عن الولادة الولود وختانه، وعند حفظ القرآن الكريم، فكل هذه المظاهر تسهم في نشر الفرح والسرور وهي مباحة ما دامت ضمن ضوابط الشريعة الإسلامية، والمناسبات تعزز المشاعر الايجابية والتلاحم بين أفراد المجتمع وتربطهم بالطاعات في الإسلام^(١).

ويرتبط هذا الفرح في الإسلام بالطاعة، لا باللهو المجرد المحرم، مما يُحقق التوازن بين الروح والجسد، ويجعل الفرح وسيلة لشكر الله، لا غاية مستقلة عن العبادة.

كما أن إشاعة الفرح في العيد تُخفف من الضغوط النفسية، وتُعيد تجديد الأمل، وتقوي الروابط الاجتماعية، خاصة بين الأقارب والجيران، والبعض منا يحتاج إلى البعض (أما حاجة ضرورية، كالفضائل النفسية التي لا مطمح في الوصول إلى نعيم الآخرة إلا بها، وصحة البدن الذي لا وصول إلى تحصيل الفضائل النفسية إلا به)^(٢)، وهو ما ينسجم مع مقاصد الشريعة في تحقيق السكينة والطمأنينة والتكافل.

(١) يُنظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٢/٢٧٧.

(٢) ميزان العمل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ٢٩٦.

ومن الناحية الدعوية، فإن هذا الفرع المشروع يُقدّم صورة مشرقة عن الإسلام، بوصفه دينًا يُراعي الفطرة الإنسانية، ويُشرّع الفرع في أوقاته المناسبة.

ثالثًا: إبراز روح الجماعة والوحدة من خلال التبادل الطيب للدعوات.

تعكس المعايدة في العيد روح الجماعة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، إذ يتبادل المسلمون الدعاء والتهنئة في مشهد يُجسد وحدة الصف وتماسك النسيج الاجتماعي، فالدعاء بقبول الطاعات لا يقتصر على الفرد وحده بل يشمل الجميع، مما يرسّخ إحساس الانتماء والمصير المشترك، ويجسّد تطبيق حديث رسول الله (ﷺ): (لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)^(١)، فيصبح العيد مناسبة تربية ودعوية تعزز المحبة والألفة بين أفراد الأمة، وتربط الفرع الاجتماعي بالبعد الإيماني والطاعة الشرعية.

وعند تأمل المعايدة في العيد -بما تتضمنه من قول: تقبل الله منا ومنكم، وكل عام وأنتم بخير- نجد أنها صورة عملية لتطبيق هذا الحديث من جهات عدة، هي^(٢):

١. الدعاء المتبادل شكرًا معنويًا؛ فحين يدعو المسلم لأخيه بقبول الطاعة، فهو يعترف بجهده في العبادة، ويُظهر تقديره لسعيه.

٢. تعميق الإحساس بالمشاركة الجماعية؛ لأن القبول لا يُتمنى للفرد وحده، بل للجماعة، فيتحوّل الشكر من مستوى فردي إلى وعيٍ جمعيٍّ بالنعمة.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب - باب في شكر المعروف، ٧/ ١٨٨، رقم: (٤٨١١)، قال الشيخ شعيب الأرنؤوط "إسناده صحيح".

(٢) يُنظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، ٦١/٧.

٣. ربط الفرح بالشكر؛ فالعيد ليس مجرد مظاهر سرور، بل هو شكرٌ لله على إتمام الطاعة، ومن تمام هذا الشكر إشاعة كلمات الامتنان والدعاء بين الناس.

٤. في حال الغيبة يتمحض الإخلاص، ويصح قصد وجه الله تعالى بذلك، فيوافقه الملك في الدعاء، ويبشره على لسان رسوله (ﷺ) بأن له مثل ما دعا به لأخيه.

وبذلك يتبين أن تبادل الدعوات الطيبة في العيد ليس مجاملة اجتماعية عابرة؛ بل هو ممارسة تعبديّة ذات بعدٍ أخلاقي واجتماعي، تتجلى فيها حقيقة الحديث النبوي، حيث يتكامل شكر الخالق مع شكر المخلوق، ويبنى التضامن الاجتماعي على أساسٍ إيمانيٍّ راسخ.

ويُسهم هذا التبادل في إزالة ما قد يكون عالقًا في النفوس من خلافات أو جفوة، ويُعيد بناء العلاقات على أساس من الصفاء والمودة، لا سيما في مواسم الخير. كما أن اجتماع الناس على ألفاظ مشتركة ومعانٍ موحدة يُرسّخ القيم الجماعية، ويُقلل من النزعة الفردية، ويُعزز الشعور بالانتماء إلى الأمة^(١).

وعلى المستوى التربوي، فإن تعويد الأبناء على هذه الممارسات يُسهم في تنشئتهم على حب الجماعة، واحترام الآخرين، والمشاركة الوجدانية في الأفراح الدينية.

(١) يُنظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١/٢٢٨.

رابعاً: ربط العيد بشكر الله على العبادة والطاعة، لا فقط بالمظاهر الاجتماعية.

يؤكد الأثر الوارد عن الصحابة الكرام أن العيد في الإسلام مرتبط ارتباطاً وثيقاً بشكر الله على توفيقه للطاعة، وليس مجرد مناسبة اجتماعية أو احتفال شكلي، فالدعاء بقبول الأعمال يذكر المسلم بحقيقة العيد ويحوّل الفرح الظاهر إلى معنى إيماني عميق، حيث يشمل الإسلام جميع جوانب حياة الإنسان من اعتقاد وعمل وعبادة، إلى تعامل وتضرع ودعاء، فتتضافر هذه العناصر كلها في ترابط وثيق يعكس شمولية الدين في توجيه الفرح والطاعة معاً نحو رضوان الله وعمارة حياة الفرد والمجتمع على أساس القيم الإسلامية^(١).

ويُسهم هذا الربط بين العيد وشكر الله في تصحيح المفاهيم، لا سيما في زمن قد تطغى فيه المظاهر المادية على الجوهر الروحي، فيتحول العيد إلى استهلاك أو مظاهر فارغة من المعنى، بينما يذكر استحضار معنى الشكر المسلم بالتواضع والاعتراف بأن التوفيق للطاعة نعمة من الله تستوجب الحمد والاستمرار في الأعمال الصالحة.

وقد قُسم الشكر في المصادر الشرعية إلى ثلاثة أنواع:

- شكر لمن فوقك بالطاعة، كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾^(٢).
- وشكر لمن فوقك بالإفضال، كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣).

(١) يُنظر: منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب، عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م، ٤١٦.

(٢) سورة سبأ: ١٣.

(٣) سورة التغابن: ١٧.

- وشكر للنظير بالمكافأة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَاحْيُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾^(١).

حيث ويُظهر هذا التصنيف شمولية الشكر في الإسلام، الذي يشمل العلاقة بالله والعلاقات الاجتماعية، ويغرس في النفوس قيم التقدير والاعتراف بالفضل والوفاء، ويحوّل كل مناسبة اجتماعية كالعيد إلى فرصة لتعزيز الروابط الإيمانية والاجتماعية معاً^(٢).

وبذلك يتضح أن المعايدة في العيد تمثل سلوكاً دعوياً متكاملًا، يجمع بين الفرح والعبادة، ويُرسّخ القيم الإيمانية والاجتماعية، ويُسهّم في بناء مجتمع مسلم متماسك، يحتفل بطاعته كما يحتفل بفرحه.

(١) سورة النساء: ٨٦.

(٢) يُنظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١/٤٤٤.

المبحث الثالث

مناسبات العزاء والمواساة وأبرز المضامين الدعوية المستنبطة من

الأحاديث الواردة فيها

المطلب الأول: المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث التعزية:

تُعدّ أحاديث التعزية من النصوص النبوية الجامعة التي تكشف عن عمق المنهج الدعوي في الإسلام؛ إذ تتناول واحدة من أدقّ اللحظات الإنسانية وأكثرها تأثيراً في النفس، وهي لحظة الفقد والمُصَاب، وقد أرست السنة النبوية من خلال قول النبي (ﷺ): (إِنَّ اللَّهَ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مَّسْمًى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ)^(١) إطاراً دعوياً متكاملًا للتعامل مع العزاء، يجمع بين البعد العقدي، والتوجيه التربوي، والمواساة الاجتماعية، بما يجعل التعزية سلوكاً تعبدياً ودعوياً في آن واحد، لا مجرد عرف اجتماعي مجرد من القيم والمعاني.

ولبيان المضامين الدعوية المستنبطة من هذا الحديث فاني سأجملها في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: توجيه أهل الميت إلى ضرورة الصبر والاحتساب:

يُبرز الحديث النبوي الشريف مركزية الصبر والاحتساب في التعامل مع المصائب في قوله (ﷺ) (فليتصبر وليحتسب)، ويقدمهما بوصفهما ركيزتين أساسيتين في المنهج الدعوي أثناء التعزية، فالصبر ليس انكساراً ولا خنوعاً؛ بل هو ثبات نفسي نابع من الإيمان، واحتساب واعٍ للأجر عند الله تعالى، وقد أشار ابن القيم (رحمه الله) إلى أن الصبر هو "حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والتسخط،

(١) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن، ١١٥/٩، رقم ٧٣٧٧. وصحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، ٦٣٥/٢، رقم ٩٢٣.

والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحوهما^(١)، وهو تعريف يوضح البعد العملي للسلوك الإيماني في لحظات الألم.

ومن خلال الكلمات النبوية الموجزة والعميقة يتم رفع معنويات أهل المصاب بالكلام الشرعي المؤثر، الذي لا يُثقل عليهم بالوعظ المجرد، ولا يتركهم فريسة للحزن واليأس، بل يُوازن بين التخفيف النفسي والتوجيه الإيماني، فالدعوة هنا تتخذ طابعاً رحيماً واقعياً، يخاطب القلب الجريح بلغة الإيمان، ويمنحه أفقاً يتجاوز اللحظة الآنية إلى معنى أوسع وأبقى، وهكذا يكون حال القلب إذا أشرق فيه نور الإيمان وامتلأ من محبة الله وإجلاله رقاً وصارت فيه الرأفة والرحمة؛ فتراه رحيماً رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم، يرحم النملة في جحرها، والطير في وكرها، فضلا عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب من الله تعالى^(٢).

ويُعد هذا الأسلوب النبوي نموذجاً مهماً للدعاة في خطابهم الاجتماعي، إذ يعلمهم أن الكلمة الطيبة في موطنها قد تكون أبلغ أثراً من الخطب المطولة، وأن الدعوة في موطن العزاء تحتاج إلى فقه بالنفوس قبل فقه النصوص، وقد أكد ذلك عدد من منظري الدعوة المعاصرين؛ ومنهم فضل إلهي ظهير أن الدعوة في أوقات الشدة تكون بالكلمة الرحيمة لا بالموعظة القاسية، فالأصل في منهج الدعوة إلى الله تعالى أن يقوم على اللين والرفق والحكمة، باعتبارها الأساس الذي تُبنى عليه عملية

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٧٦/٤.

(٢) ينظر: الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، تخريج الأحاديث: كمال بن محمد قالمي، مراجعة: سعود بن عبد العزيز العريفي، جديع بن محمد الجديع، دار عطاءات العلم (الرياض) ودار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ٦٩٩/٢.

التأثير في النفوس واستمالة القلوب، ولا يُصار إلى الشدة أو القسوة إلا في حالات استثنائية تقتضيها المصلحة الشرعية وتفرضها طبيعة الواقع^(١).

وقد وجه القرآن الكريم إلى ضرورة الصبر وقت الشدة والبلاء؛ لأن الله تعالى اعد للصابرين المحتسبين الاجر الكبير والجزاء العظيم، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١٥٦) وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^(١٥٧) ﴿٢﴾..

وقد بيّن المفسرون أن هذه الآيات جاءت عقب الإخبار بابتلاء العباد بشيء من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لتقرير سنة الابتلاء في الحياة، وبيان الموقف الإيماني الصحيح منه، فذكر الطبري أن الصابرين هم الذين حبسوا أنفسهم على ما يرضي الله عند وقوع البلاء، فلم يجزعوا جزعاً محرماً، بل سلّموا الأمر لله مع رجاء الثواب. وفسّر قولهم: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي ملكٌ له سبحانه يتصرف فينا كيف يشاء، ﴿وَأَنَا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أي مرجعنا إليه في الآخرة، فيجزّي الصابرين بأحسن الجزاء^(٣).

أما قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٤) فقد فسّرها أكثر المفسرين بأنها ثناء من الله عليهم في المأ الأعلى، مقرون بالرحمة والتوفيق، فجمع الله لهم ثلاثة ألوان من الكرامة^(٥):

(١) ينظر: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، فضل إلهي ظهير، ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ١٨٠.

(٢) سورة البقرة الآيات: ١٥٥-١٥٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ٢/ ٧٠٥-٧١٠.

(٤) سورة البقرة الآية: ١٥٧.

(٥) ينظر: البحر المحيط (في التفسير)، أبي حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت، ٢٠٠٠م، ٥٨/٢.

١. الثناء الإلهي (الصلوات).

٢. الرحمة الخاصة.

٣. الهداية إلى سواء السبيل.

كما تدل الآية على أن الصبر ليس مجرد تحمّل نفسي، بل عبادة قلبية رفيعة المنزلّة، حتى استحق أصحابها البشارة الإلهية، وقد قرن الله الصبر بالهداية والرحمة، مما يدل على أنه سبب لنيل معية الله الخاصة، ورفعة الدرجات، وتكفير السيئات^(١).

والمشروع للمسلم عند وقوع المصيبة أن يبادر بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٢)، مستحضراً معناها: أننا ملكٌ لله، وأن مردّنا إليه، وأن ما أخذه هو مما أعطى، وكلُّ عنده بأجلٍ مسمّى^(٣).

وهذه المبادرة اللفظية ليست مجرد عبارة، بل هي إعلان رضا وتسليم، وتثبيت للقلب في لحظة الاضطراب، وامتنال لأمر الله في هذه الآية، فالصبر الحقّ إذن موقفٌ إيمانيٌّ واعٍ، يبدأ من الكلمة الصادقة عند الصدمة الأولى، ويثمر رحمةً وهدايةً وثناءً من الله تعالى.

وعلى المستوى الاجتماعي يسهم هذا التوجيه في تحويل مجالس العزاء إلى فضاءات إيمانية راقية، تُرفع فيها المعنويات، وتُهدّب المشاعر، ويُضبط السلوك وفق السنن الشرعية، بعيداً عن مظاهر السخط أو العبارات المنافية للرضا بقضاء الله، وبذلك يتحقق مقصد دعوي وتربوي يتجاوز الفرد إلى المجتمع بأسره.

(١) ينظر: الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب «محمد صبحي» بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن، ١٣٦٠/٣.

(٢) سورة البقرة الآية: ١٥٦.

(٣) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الهروي، ١٢٣١/٣.

ثانياً: ترسيخ عقيدة القضاء والقدر وربط المصيبة بالإيمان بالله:

يُرسّخ الحديث النبوي عقيدة القضاء والقدر في قوله (ﷺ): (كل شيء عنده بأجلٍ مُسمّى) بوصفها الأساس العقدي الذي يقوم عليه التعامل الإيماني مع المصائب، إذ يُقرر بوضوح أن الأخذ والعطاء بيد الله تعالى، وأن كل ما يقع في الكون إنما يقع بعلم الله وتقديره وحكمته، وهذا التأسيس العقدي يُعيد توجيه عقل المسلم من التساؤل الاعتراضي إلى التسليم الراضي، ومن الجزع إلى اليقين.

فأما ما يكون خلاف ذلك من النياحة البكاء، الصوت المرتفع وابداعي الندب أو الجزع أو الاعتراض فإنه حرام؛ لأنّه الميت يُعذب بهذه الأفعال^(١).

وقد اعتنى علماء العقيدة والدعوة بهذا المعنى، وعدّوه من أعظم ما يُثبت القلوب عند الشدائد؛ فالإيمان بأن كل شيء عنده بأجل مسمى يقطع دابر الفوضى النفسية، ويُشعر الإنسان أن الحياة والموت يسيران وفق نظام إلهي محكم، لا عبث فيه ولا ظلم، وهذا ما أكده ابن الجوزي حين قال عن الصبر والتسليم فيما يخفى علينا من مصلحة العواقب: (وهذا أصل، إن لم يثبت عند الإنسان؛ أخرجته إلى الاعتراض والكفر، وإن ثبت، استراح عند نزول كل آفة)^(٢).

كما أن ربط المصيبة بالإيمان بأسماء الله وصفاته؛ كالعدل، والرحمة، والحكمة، يُعمّق البعد التوحيدي في النفس، ويجعل التعزية مجالاً عملياً لتجديد الإيمان، لا مجرد موقف عاطفي عابر، فحقيقة النفس مطمئنة هي التي تكون فيها مطمئنة في باب معرفة أسماء الله وصفاته كما له وما أخبر به تبارك وتعالى عن نفسه وما أخبر به رسله، فيكون تلقيها لذلك جميعاً بالقبول والتسليم والرضا

(١) رياض الصالحين، للنووي، ص ٢٧٩.

(٢) صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٨٧.

والاذعان^(١)، فالدعوة هنا تنتقل من التنظير العقدي إلى التطبيق العملي، حيث تتجسد العقيدة في السلوك والموقف والرضا.

ومن الناحية الاجتماعية نرى أن هذا الفهم العقدي يسهم في بناء مجتمع متوازن نفسياً وإيمانياً، لا تنهار أفراده أمام المصائب، ولا تُفككهم الأزمات، بل يتعاملون معها بروح جماعية واعية، تُساند الفرد وتُذكره بحقائق الإيمان، وهو ما يحقق مقصد الثبات المجتمعي في أوقات الشدة.

ثالثاً: اظهر الجانب الرقيق في الدعوة من خلال التعاطف ومشاركة الأحران:

تكشف أحاديث التعزية عن بُعد إنساني رفيع في الخطاب الدعوي، يتمثل في مشاركة الأحران، والتعاطف الصادق، والتخفيف النفسي عن المنكوبين، وذلك في قوله (ﷺ): (لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أُعْطِيَ. وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُّسَمًّى)^(٢)، وهكذا حارب الإسلام الهلع والجزع عند الموت، حارب مظاهر عدم التسليم ومظاهر عدم الرضا بالقضاء. وغرس الإيمان في نفوس المؤمنين بأن الله ما أعطى، والله ما أخذ، وكل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب، وإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون^(٣).

فالدعوة في هذا السياق لا تتجلى في الأمر والنهي، بل في الحضور الوجداني، والكلمة الصادقة، والموقف الداعم، وهو ما يعكس شمولية المنهج الدعوي في التعامل مع الإنسان في مختلف حالاته، ومن مثل هذه الكلمات المخففة على النفوس قول الثعالبي: (معلوم أن الله يبقي ما كان البقاء أنجح، ويتوفى إذا كان الفناء

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ)، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، ١.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، تاب الجنائز باب البكاء على الميت، رقم ٩٢٣، (٢/٦٣٥).

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق الطبعة الأولى، (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ٤/١٩٥.

أصلح، ولذلك قبض الأنبياء والمرسلون، وأنزل على المصطفى إنك ميت وإنهم ميتون^(١)، وهو قول يعدّ من جميل أقوال سحر البلاغة وسر البراعة.

وهنا يتجلى قوله النبي (ﷺ): (مَنْ عَزَى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ)^(٢).

المواسات ليست مشاركة في المصيبة والألم ذاته، بل هي مشاركة في الصبر والاحتساب، وهي عمل يؤجر عليه ويطيب خاطر المصاب ويخفف من حزنه، وبهذه تعد صورة من صور التكافل الإيماني، إذ يجعل التعزية من كلمات عابرة إلى خطاب إيماني ديني يترتب بالرضا في قضاء الله وقدره، وقبول لأمر الله والاستسلام لقضائه، فالتعزية ليست طقساً أو أداء واجب فقط، بل هي قيمة إيمانية وإنسانية عميقة تخفف من أهل الميت وأن تصبرهم على بلائهم^(٣).

وعليه؛ فإن التعزية في المنظور النبوي ليست طقساً اجتماعياً فحسب، بل ممارسة دعوية تُجسد الأخوة الإيمانية عملياً، وتغرس في النفوس معاني الرحمة والتكافل، وتحوّل لحظة الفقد إلى فرصة لترسيخ القيم الإيمانية في القلب والمجتمع. وقد أشار عدد من علماء الدعوة إلى أن هذا اللون من الدعوة يُعد من أنجح الأساليب تأثيراً في النفوس؛ لأنه يخاطب الفطرة الإنسانية مباشرة، فيقول العلماء هنا:

(١) سحر البلاغة وسر البراعة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق:

عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في أجر من عزى مصاباً، ٢ / ٣٧١، رقم: (١٠٧٣)، وقال: "هذا حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث علي بن عاصم، وروى بعضهم عن محمد بن سوقة بهذا الإسناد مثله موقوفاً ولم يرفعه، ويقال: أكثر ما ابتلي به علي بن عاصم بهذا الحديث نقموا عليه".

(٣) يُنظر: شرح سنن ابن ماجة المسمى «مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه» و«القول المكتفى على سنن المصطفى»، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن

الأرمي العلوي الأثيوبي الهزري الكري البويطي، ٤٠٣/٩.

(القلوب مجبولة على محبة الكمال، وعلى محبة من أحسن إليها)^(١)، ولا شك أن
المواساة الصادقة من أعظم ألوان الإحسان في أوقات المصيبة.

كما أن هذا التعاطف العملي الذي ترسخه العقيدة هو الدافع للإحسان
والتعاطف؛ فالعقيدة هي (التي تجمع بين قلوب المؤمنين وتشد من أزهرهم كلما
داهمهم خطب أو حزبهم أمر أو ألم بهم مكروه)^(٢)، وهذا الإحسان الناتج عن العقيدة
يُجسّد الأخوة الإسلامية في أبهى صورها، حيث يشعر المصاب أنه جزء من جماعة
متراحمة، لا تُترك فيها النفوس وحدها في مواجهة الألم، وهذا ينعكس إيجاباً على
التماسك الاجتماعي، ويُضعف النزعات الفردية والأنانية، ويُعزز قيم التكافل والتراحم.

ومن هنا يتضح أن التعزية ليست مجرد واجب اجتماعي، بل ممارسة دعوية
ذات أثر عميق في بناء العلاقات، وتقوية الروابط، وتحقيق مقصد الرحمة الذي جعله
الله أساساً لرسالة الإسلام.

رابعاً: التعزية وسيلة دعوية للتخفيف عن المنكوب وإعادة ربطه بالله والآخرة:

تؤدي التعزية دوراً دعوياً محورياً في إعادة ربط المنكوب بالله تعالى والدار
الآخرة، إذ تُذكّره بحقيقة الدنيا، وفنائها، وبقاء ما عند الله، دون أن تُغرقه في خطاب
ترهيبي أو تجريدي، فالحديث النبوي الشريف يُعيد توجيه البوصلة الإيمانية من الفقد
الأرضي إلى الرجاء الأخروي، ومن الألم المؤقت إلى الأجر الدائم، ولذلك قال

(١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ٨٤/١٠.
وحقيقة المثل الأعلى وآثاره، عيسى بن عبد الله السعدي الغامدي، دار ابن الجوزي للنشر
والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٧٩. والبصيرة
في الدعوة إلى الله، ص ٩٦.

(٢) أضواء على الثقافة الإسلامية، الدكتوراة نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة
التاسعة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص ٣٥٣.

النووي (رحمه الله) في معنى قوله (وكل شيء عنده بأجل مسمى) اصبروا ولا تستسلموا للجزع؛ فإن من مات فقد استوفى أجله الذي قدره الله له، فلا يمكن أن يتقدم عنه أو يتأخر، فإذا استقرّ هذا المعنى في نفوسكم، فليكن موقفكم الصبر والاحتساب، طلباً للأجر ورضاً بحكم الله^(١).

وهذا الحديث يُعدّ من القواعد الكلية في الإسلام؛ لاشتماله على جملة من أصول الاعتقاد، وما يتفرع عنها من الأحكام والآداب، إذ يجمع بين تقرير القضاء والقدر، وتهذيب السلوك عند حلول البلاء.

وقد أكد علماء السلوك والتزكية أن استحضر الآخرة في مواطن المصيبة يُخفف من حدة الحزن، ويمنح الإنسان معنى أعمق للابتلاء، ويذكر ابن القيم (رحمه الله) أن (العبد إذا رأى أن ما قدره الله له قد سبق به تقديره، وهو واصل إليه لا محالة، ولا بد أن يناله؛ سكن جأشه، واطمأن قلبه، ووطن نفسه، وعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنه ما يفتح الله له من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسكه عنه فلا مرسل له من بعده. فإذا تيقن ذلك وذاق طعم الإيمان به قطع ذلك عليه طريق الطلب من ربه، لأن ما سبق له به القدر كائن واصل إليه لا محالة)^(٢).

إذا؛ من خلال التعزية تتحول المصيبة إلى محطة مراجعة إيمانية، يتجدد فيها الارتباط بالله، ويُعاد ترتيب الأولويات، ويقوى الشعور بالمسؤولية الأخلاقية والسلوكية، وهذا يُبرز البعد الإصلاحي للدعوة في سياق العزاء، حيث لا تقتصر على التخفيف، بل تمتد إلى التقويم والتذكير.

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٢٢٥/٦.

(٢) مدارج السالكين، ابن القيم، ٥٠٦/٣.



ومما سبق يتضح أن التعزية في الإسلام تُعد وسيلة دعوية شاملة، تجمع بين التخفيف النفسي، والتأصيل العقدي، والتماسك الاجتماعي، وتجعل من السلوك اليومي المرتبط بالموت والعزاء مجالاً حياً لترسيخ القيم الإيمانية والسنن الاجتماعية، بما يحقق مقاصد الدعوة في بناء الإنسان والمجتمع معاً.



المطلب الثاني

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث اطعام أهل الميت:

إنَّ الباحث في الصحيحين لا يجد نصًّا نبويًّا صريحًا بصنع الطعام لأهل الميت، وإنما يوجد في غير الصحيحين كقوله (ﷺ) (اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ يَشْغَلُهُمْ)^(١)، ونظرا لأهمية مسألة صنع الطعام بالنسبة لأهل الميت وكونها تأتي ضمن مجموعه من التوجيهات النبوية التي تترجم معنى التراحم والتآزر بين المسلمين في الأحزان والمصائب، فضلا عن كونه يحسد مبدأ التعزية والتكافل التي دلّت عليه العديد من النصوص النبوية في الصحيحين في هذا المجال وأنَّ مبدأ الاطعام لأهل الميت يلتقي ما قرره التوجيه النبوي في قوله (ﷺ) (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)^(٢)، إذ يوجه هذا الحديث الى وجوب الصبر والاحتساب عند الصدمة الأولى وتلقي المصيبة الأمر الذي يستلزم من جيرانه واربامه بضرورة قيامهم بصنع الطعام من باب التخفيف عنهم إعانة لهم على الصبر والاحتساب فقوله (ﷺ) (اصنعوا لآل جعفر طعاما) فيه دعوته محتسبة لأقارب أهل الميت وجيرانه بتهيئة الطعام لهم^(٣).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجنائز - باب صنعة الطعام لأهل الميت، ٥/ ٥٢، رقم:

(٣١٣٢)، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: "إسناده حسن".

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب زيارة القبور، ٧٩/٢، رقم ١٢٨٣. وصحيح مسلم،

كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، ٦٣٧/٢، رقم ٩٢٦.

(٣) ينظر: شرح سنن ابن ماجه المسمى "مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه" و"القول

المكتفى على سنن المصطفى"، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي

الأثيوبي الهزري الكري البويطي، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم

محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة، الطبعة الأولى،

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م، ٩/ ٤٢٠.

ومن خلال الأحاديث الواردة في التوجيه لعمل الطعام لأهل الميت فإني سأعرض مجموعه من المضامين الدعوية والتوجيهات النبوية المتعلقة بهذا المجال وذلك في ضوء النقاط الآتية:

أولاً: مراعاة حالة أهل المصاب والتكافل معهم بالفعل لا بالقول فقط:

يؤسس الحديث النبوي الشريف لقاعدة دعوية وإيمانية مهمة؛ وهي أن مراعاة حال الناس في أوقات الشدة تقتضي الانتقال من التعاطف اللفظي إلى الدعم العملي، فأهل الميت يكونون في حال انشغال نفسي واضطراب وجداني، قد يحول دون قيامهم بشؤونهم اليومية، فجاء التوجيه النبوي بإطعامهم تخفيفاً عنهم، ورحمةً بحالهم، وتقديرًا لخصوصية ظرفهم^(١).

ويُعد هذا السلوك تجسيداً عملياً لمفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام، حيث لا يُترك الفرد يواجه محنته وحيداً، بل تحيط به الجماعة بالدعم والرعاية، وقد أشار سيد سابق (رحمه الله) إلى أن هذا الحديث أصلٌ في استحباب صنع الطعام لأهل الميت، لا صنعهم الطعام للناس، لما في ذلك من مراعاة نفسية واجتماعية عميقة^(٢). ومن الناحية الدعوية، يُعلّم هذا التوجيه أن الدعوة لا تُختزل في الخطب والمواعظ، بل تتجلى في الأفعال الصامته التي تُعبّر عن القيم الإيمانية أصدق تعبير، فحين يرى أهل المصاب هذا التكافل العملي، يشعرون بصدق الأخوة الإسلامية، ويطرسخ في نفوسهم أثر الإيمان الحي المتحرك في الواقع، فإذا صنع

(١) ينظر: شرح سنن ابن ماجه، محمد الأمين بن عبد الله الهَرَرِي، ٤٢٠/٩.

(٢) ينظر: فقه السنة، سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، ٥٠٨/١.

الناس لهم الطعام المعروف، وحملوه إليهم، حصلت الراحة لأهل الميت من وجهين^(١):

١. أحدهما: شغلهم بمصائبهم، ثم بتجهيزه وغسله وتكفينه والصلاة عليه، وحمله ومواراته في حفرته، ثم بعد ذلك إذا تفرغوا من هذه الأمور، وحصل لهم سكون ودعة، فإن هذه كفاية لهم عن شغلهم بالناس.

٢. الثاني: عدم الخسارة، فإن عدمها فيها تسلية لأهل الميت فإن في زماننا هذا، ما يتوارى الميت في حفرته، حتى يخسر عليه دراهم كثيرة، فلأن لا يجتمع عليه خسارتان أولى.

كما أن هذا السلوك يسهم في تصحيح بعض الممارسات الاجتماعية الخاطئة التي تُحمّل أهل الميت أعباء إضافية، ويُعيد توجيه المجتمع نحو السنّة النبوية التي تُراعي الإنسان في ضعفه، وتُقدّم له العون في أشد لحظاته احتياجاً.

ثانياً: دعوة عملية للتراحم والتعاون في أوقات الشدة وتقوية الروابط المجتمعية:

يحمل إطعام أهل الميت رسالة دعوية واضحة مفادها أن التراحم والتعاون ليسا شعارات نظرية، بل ممارسات عملية تظهر قيمتها في أوقات الأزمات، فالشدة هي المحك الحقيقي للأخلاق الاجتماعية، وفيها يتمايز الخطاب المجرد عن السلوك الصادق، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، أي أن العلاقة الأصلية التي ينبغي أن تحكم المؤمنين هي أخوة الدين، وهي أخوة عقدية وروحية تتجاوز روابط النسب والعرق والمصلحة^(٣).

(١) ينظر: تسليّة أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المنبجي (ت ٧٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، ص ١٠٩.

(٢) سورة الحجرات الآية: ١٠.

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ٤٤٦/٥.

وقد أكدت كتب الدعوة والاجتماع الإسلامي أن مثل هذه الأفعال تسهم في تقوية النسيج المجتمعي، لأنها تنشئ روابط قائمة على المشاركة الوجدانية والفعلية، فالإسلام لا يريد مجتمعاً يتعاطف بالكلمات، بل يتكافل بالأفعال للوصول إلى الهداية والرشد للجميع، وهو معنى يتجسد بوضوح في هذا الحديث^(١).

ومما يؤيد ذلك قوله (ﷺ): (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)^(٢).

فقد شبه النبي (ﷺ) علاقة المؤمنين بالبنيان المرصوص؛ فكما أن أجزاء البناء من أحجارٍ أو لبنات - لا تقوم منفردة، بل يشتد بعضها ببعض، ويتقوى كل جزء بما يجاوره، كذلك المجتمع المؤمن لا يقوم على الأفراد المتفرقين، وإنما يثبت بتعاضدهم وتكافلهم. وهذا التشبيه يدل على أمورٍ عدة؛ منها ما يأتي^(٣):

١. وجوب النصرة والإعانة، فكل مؤمن مأمور بأن يكون عوناً لأخيه، يدفع عنه الضرر، ويسعى في جلب النفع له.

٢. تحقيق التماسك الاجتماعي، لأن قوة الكيان الجماعي ناتجة عن ترابط أجزائه، لا عن قوة الأفراد منفصلين.

٣. إظهار أثر الإيمان في الواقع، فالإيمان ليس دعوى قلبية مجردة، بل رابطة عملية تثمر تعاوناً ظاهراً، ولا سيما في أوقات الشدائد والمصائب، يتأكد مقتضى هذا الحديث؛ إذ كما أن البناء ينهار إذا تفككت أجزاؤه عند الضغط،

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت، ص ٧٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم باب نصر المظلوم، ٣/١٢٩، رقم ٢٤٤٦.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، ٣/٤١٩-٤٢١.

فإن المجتمع يضعف أمام الأزمات إذا غاب عنه التعاضد. أما إذا تكاتف أفرادُه، وتقاسموا الأعباء، وتعاونوا على تجاوز المحنة، ثبت البناء الاجتماعي واشتدَّ عوده.

وقد نصرَ اللهَ رسولَه (ﷺ) برجالٍ كانوا من قبلُ على الكفر بمكة، فلما هداهم الله إلى الإيمان صاروا من أعظم الدعاة شأنًا، لما تحلَّوا به من شرف الصحبة، وكمال الأخلاق، وصدق الطاعة للنبي (ﷺ)، وبذل الجهد في نصرته الإسلام والدعوة إليه^(١).

لقد عرف السلف الصالح قيمة هذه العبادات الأخلاقية فأسسوها على التوحيد وأحسنوا أداءها فجنوا ثمارها وانتفعوا بفضائلها فقويت صلتهم بربهم فألف بين قلوبهم، ووحد بين صفوفهم فسادوا وعزوا، وكونوا مجتمعًا قويًا متماسكًا أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ونعم الجميع في ظله بالأمن والاستقرار والسعادة^(٢).

يمكن القول: إنَّ التعاون في أوقات المصائب يُرسِّخ شعور الانتماء للجماعة، ويُشعر الفرد بأن آلامه ليست معزولة، بل هي محل اهتمام الجميع، مما يخفف وطأة الحزن، ويُعيد التوازن النفسي والاجتماعي للمصاب وأسرته.

وعلى المستوى الدعوي العام، تُظهر هذه الممارسات محاسن الإسلام العملية، وتُقدِّم صورة حضارية عن المجتمع المسلم، الذي يقوم على الرحمة والتكافل، لا على الفردية واللامبالاة، وهو ما يُعزز الثقة بالقيم الإسلامية في الواقع المعاش.

(١) ينظر: الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، ص ٧٦.

(٢) ينظر: العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع، محمود السيد شيخون، الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ/ مايو-يونيو ١٩٧٧م، ص ٩٨.

ثالثاً: ضرورة المبادرة بتقديم المساعدة قبل طلبها:

يُربي الحديث النبوي المسلم على خُلُق المبادرة، إذ لم ينتظر النبي (ﷺ) أن يطلب أهل جعفر المساعدة، بل وجّه المجتمع إلى تقديمها ابتداءً، إدراكاً لطبيعة الظرف، ووعياً بحاجتهم، وهذا يُرسّخ قيمة الإيجابية في السلوك الاجتماعي، ويُبعد المسلم عن السلبية أو انتظار الطلب كون المبادرة فضيلة محققة وأولى من الانتظار^(١).

وقد عدّ علماء السلوك الإسلامي المبادرة في الخير من دلائل كمال الإيمان؛ لأنها تعكس حساً مرهفاً بالمسؤولية تجاه الآخرين، ويشير ابن القيم (رحمه الله) إلى أن العبد كلما كان أفقه بالقلوب وأحوال الناس، كان أقرب إلى هدي النبي (ﷺ)، وهو ما يظهر جلياً في هذا التوجيه^(٢).

كما أنّ المبادرة في أوقات المصائب تُنمّي لدى المسلم روح التضحية، وتُخرجه من دائرة الذات إلى أفق الجماعة، فيتعود على التفكير في حاجات غيره، واستشعار آلامهم، وتنمية روح المسؤولية لدى الأفراد في المجتمع الإسلامي وتحملها، ومساعدة الأفراد على الاندماج مع الجماعة الإسلامية والتكيف مع مبادئها، والعمل على تخفيفها، وهو مقصد تربوي دعوي بالغ الأهمية^(٣).

(١) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي، راجعه وعلّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ/١٩٩١م، ١/١٦٩.

(٢) ينظر: الداء والدواء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج الأحاديث: زائد بن أحمد النشيري، مراجعة: سليمان بن عبد الله العمير، علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م، ص ١٩١.

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ)، عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، ١٨٠/٢.

ومن هنا، تتحول هذه السنة النبوية إلى مدرسة عملية في التربية الاجتماعية، تنشئ أفرادًا فاعلين ومبشرين، يحملون همّ المجتمع، ويجسدون القيم الإسلامية في حياتهم اليومية دون تكلف أو انتظار مقابل.

وعليه، فإن أحاديث إطعام أهل الميت تُقدّم نموذجًا دعويًا متكاملًا، يربط بين الإيمان والسلوك، وبين القيم والواقع، ويجعل من لحظات الحزن مجالًا لترسيخ الرحمة، وتعميق الأخوة، وبناء مجتمع متراحم متماسك، يترجم تعاليم الإسلام إلى أفعال ملموسة في حياة الناس.

المطلب الثالث

المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث الصبر عند الصدمة الأولى:

يُعدّ حديث النبي (ﷺ): (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى) ^(١) أصلًا عظيمًا في بناء المنهج الإسلامي في التعامل مع المصائب، ولا سيما مصائب الموت، إذ يضع هذا التوجيه النبوي معيارًا دقيقًا لمعنى الصبر الحقيقي، ويربطه بلحظة الامتحان الأولى التي تنكشف فيها معادن الإيمان، وتظهر فيها حقيقة التعلّق بالله تعالى، فالصبر المحمود المأجور عليه صاحبه هو (ما كان عند مفاجأة المصيبة وهي الصدمة الأولى دون ما بعدها، فإنه إذا طالت الأيام عليها وقع السلو، وصار الصبر حينئذ طبعًا فلم يكن للأجر موضع) ^(٢).

كما يأتي هذا الحديث ليؤسس خطابًا دعويًا تربويًا متكاملًا، يجمع بين تركية النفس، وضبط المشاعر، وبناء السلوك الاجتماعي الرشيد في أوقات الحزن والابتلاء.

ومن خلال هذا الحديث فاني سأبين أبرز المضامين الدعوية والتوجيهات النبوية التي يمكن استنباطها منه، وذلك على ضوء النقاط الآتية:

أولاً: بيان أن الصبر الحقيقي هو ما يكون عند وقوع المصيبة لا بعد زوال أثرها:

يقرر الحديث النبوي الشريف أن الصبر الممدوح شرعًا هو الصبر الذي يتحقق فور وقوع المصيبة؛ لا ذلك الذي يأتي بعد أن تخف حدة الألم وتهلأ

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب زيارة القبور، ٧٩/٢، رقم ١٢٨٣. وصحيح مسلم،

كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، ٦٣٧/٢، رقم ٩٢٦.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)،

تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية

وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، ٦٩٠/١.

المشاعر، فالصبر المتأخر قد يكون نتيجة الاعتياد أو مرور الزمن، أما الصبر عند الصدمة الأولى فهو موقف إيماني واعٍ، يُجسّد التسليم لقضاء الله في أشد لحظات الضعف الإنساني، كما أن في الحديث أنواع من العلم أحدها "وجوب الصبر على المصائب وأنه من التقوى التي أمر العبد بها"^(١).

هذا المعنى يُبرز دقة المنهج الإسلامي في تقويم السلوك النفسي، إذ لا يكتفي بالحكم على النتائج الظاهرة، بل ينفذ إلى اللحظة الحرجة التي يتحدد فيها مسار الإنسان؛ إما إلى الرضا والاحتساب، أو إلى الجزع والتسخط، وقد أشار النووي إلى أن هذا الحديث فيه فضيلة الصبر عند مفاجأة المصيبة، وكمال الأجر مرتبط به^(٢).

ويقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ

رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ❀ إِنَّ الصَّافَا

وَالْمُرَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ ﴿١٥٨﴾^(٣)، فتأتي هذه الآيات في سياق تهيئة النفوس لسنة الابتلاء، حيث قرر الله تعالى أن المؤمن لا بد أن يُمتحن بأنواع من الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، ثم أعقب ذلك بالأمر بالبشارة، وهو توجيه يحمل في طياته وعداً كريماً وتثبيتاً رابحاً، فالبشارة هنا ليست مجرد إعلام بخيرٍ مستقبلي، بل هي إشعار بعناية إلهية خاصة، وتكريم معنوي وروحي للصابرين. كما أن الصبر المذكور في الآية ليس صبراً سلبياً قائماً على الكبت أو الاستسلام، بل هو صبر واعٍ قائم على إدراك حقيقة العبودية، ويتجلى في قولهم عند نزول

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ص ٧٧-٧٨.

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ٢٢٧/٦.

(٣) سورة البقرة الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

المصيبة: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، بين هنا معاني التوحيد والتسليم وأن العبد ملك لله يرجع إليه في كل أمر، كما تشير الآية: ﴿وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾^(١) إلى كل من ينال الصبر من تكريم والرحمة وجبر الله لخطأه، فالرحمة الإلهية هنا بادت لتخفيف أثر المصيبة وتعوض الصابر خيرًا في الدنيا والآخرة، ثم ختم بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ دلالة على أن الصبر يقود يقودنا إلى فهم السنن الابتلاء والاستحضار والرجوع إلى الله في وقت المصائب والشدائد^(٢).

ومن الناحية الدعوية، يُعيد هذا التوجيه تصحيح مفاهيم شائعة، حيث يظن بعض الناس أن مجرد السكوت بعد حين يُعد صبرًا، بينما الصبر الشرعي أعمق من ذلك، إذ هو ضبط اللسان والجوارح والقلب عن الاعتراض منذ اللحظة الأولى، فمن حسن الصبر أن لا يظهر أثر المصيبة على المصاب، أما البكاء والحزن من غير صوت ولا كلام محرم، فهو لا ينافي الصبر والرضا، وهو ما يعكس نضجًا إيمانيًا وتربية روحية عالية^(٣).

كما أننا نرى أن هذا الفهم يسهم في تهذيب العادات الاجتماعية المرتبطة بالعزاء، فيحدّ من مظاهر النياحة والجزع، ويوجّه المجتمع نحو الاتزان والوقار، بما ينسجم مع السنن الاجتماعية الإسلامية القائمة على الحكمة وضبط الانفعالات.

ثانيًا: تعليم المسلم أن قوة الإيمان والصبر تظهران في اللحظات الأولى من الابتلاء:

يُرسّخ الحديث الشريف أن الابتلاء ليس حادثة عابرة في مسار الإنسان، بل هو امتحان يكشف حقيقة البناء الإيماني في القلب؛ فالإيمان ليس معارف ذهنية

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٧.

(٢) ينظر: تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، ٢١٠/١-٢١٢.

(٣) ينظر: اصبر واحتسب، عبد الملك بن محمد القاسم، دار القاسم، د.ت، ص ١٩.

مجرّدة، ولا قناعات نظرية فحسب، بل هو ثبات عملي عند الشدائد، وتسليم قلبيّ حين تنزل الأسباب.

ومن هنا كانت لحظة الصدمة الأولى هي المحكّ الحقيقي، لأنها اللحظة التي تتكشف فيها تلقائية القلب قبل أن يتداركه التعقّل أو يهدأ اضطراب النفس، وهو ما قصده النبي (ﷺ) بقوله: (إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى)^(١).

وقد بيّن شراح الحديث أن المقصود ليس نفي الصبر بعد ذلك، وإنما بيان كمال الصبر وفضيلته العظمى، إذ الصبر الذي يُمدح ويُثاب عليه أعظم الثواب هو ما كان عند مفاجأة المصيبة، حين تثور العاطفة ويشتدّ الألم، أما إذا طال الزمن وهدأت النفس، فإن كثيرًا من الناس قد يسلم اضطرابًا لا اختياريًا، وهذا وإن كان حسنًا، إلا أنه ليس في مرتبة الصبر الاختياري الواعي^(٢).

وقد أكدت كتب الدعوة أن الإيمان لا يُقاس بكثرة العبادات في أوقات الرخاء فحسب، بل يُقاس بقدرة المؤمن على الثبات عند الشدائد، فالإيمان ليس كلمة تُقال، بل حقيقة تُثبتها المواقف، وأصدقها مواقف الابتلاء. وهذا المعنى يتجسد بوضوح في الصبر عند الصدمة الأولى^(٣).

(١) رواه صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الصبر عند الصدمة الأولى، ٨٠/٢، رقم (١٢٨٣)، ورواه صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب في الصبر عند الصدمة الأولى، ٦٣٦/٢، رقم (٩٢٦).

(٢) ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، ٥٤/٤.

(٣) ينظر: موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ٧٤٨/١.

أما على المستوى الاسري والاجتماعي فان هذا التوجيه النبوي يسهم في تربية الأجيال على مواجهة الأزمات بروح إيمانية متزنة، ويُنمّي فيهم القدرة على الصبر الواعي، بدل الاستسلام للانهيّار النفسي أو السلوكيات السلبية التي تُضعف الفرد والمجتمع.

وقد أولت كتب الدعوة أهمية كبرى لتربية الصبر، باعتباره أساساً للثبات على الحق، والاستمرار في أداء الواجبات، وعدم الانهيّار أمام الابتلاءات، ويذكر الإمام الغزالي (رحمه الله) أن الصبر نصف الإيمان، لأن الإيمان بين صبر وشكر، وأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له، وهو ما يجعل الصبر عند المصيبة جزءاً لا يتجزأ من البناء الإيماني^(١).

كما أن الصبر في لحظات الحزن يُسهم في تهذيب العلاقات الاجتماعية، إذ يمنع التفكك والانفعال الزائد، ويحافظ على وقار المجالس، ويُشيع جوّاً من السكينة والطمأنينة، مما يُخفف من أثر المصيبة على الجميع، لا على أهلها فقط^(٢).

ومن هنا، يصبح الصبر قيمة دعوية صامته، تُعلّم الناس من خلال القدوة العملية، وتُرسّخ في الوعي الجمعي أن مواجهة المحن بالإيمان والثبات هي من أعظم صور القوة، لا الضعف، ومن أرقى مظاهر الالتزام الديني.

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، ٦٢/٤.

(٢) ينظر: الذخائر والعقريات - معجم ثقافي جامع، عبد الرحمن البرقوقي الأديب المصري، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ٢٣٢/١. وجمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م، ٤٩٠/١.

ثالثاً: مواجهة أحزان الموت بمنهج إيماني يخرج الإنسان من اليأس إلى الأمل:

أكد علماء التربية الإيمانية أن الإسلام يعترف بالمشاعر الإنسانية، لكنه يهذبها ويمنعها من الانفلات، فيحوّل الألم إلى عبادة، والمصيبة إلى باب أجر، وهذا المعنى يظهر جلياً في قوله (ﷺ): ((إن العين لتدمع، وإن القلب ليحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا))^(١).

ويبين الحديث موقف النبي (ﷺ) عند وفاة ابنه إبراهيم، حيث دمعت عيناه وحزن قلبه، فلما تعجب عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من بكائه، بيّن له أن هذا البكاء ليس جزءاً محرّماً، وإنما هو رحمة أودعها الله في القلوب. فدمع العين وحزن القلب أمران فطريان لا يُلام عليهما العبد، لأنهما من مقتضيات الطبيعة البشرية. لكن النبي (ﷺ) قيّد ذلك بقوله: (ولا نقول إلا ما يرضي ربنا)، فدلّ على أن الممنوع ليس أصل الحزن، وإنما الاعتراض القولي أو الفعلي على قضاء الله، كالتسخط أو النياحة أو إظهار السخط على القدر^(٢).

وعلى الصعيد الدعوي، يسهم هذا المنهج في إعادة توجيه الإنسان نحو الآخرة، وتذكيره بحقيقة الدنيا وفنائها، فيخرج من أسر اللحظة المؤلمة إلى أفق أوسع من الأمل واليقين بقاء الله، والرضا بقضائه، وانتظار ثوابه، فينجو العبد من مفسد طول الأمل ونسيان الموت وأهوال الآخرة وما أعد الله فيها من النعيم المقيم لأهل طاعته، ومن العذاب الأليم لأهل المعاصي^(٣).

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب قول النبي (ﷺ) إنا بك لمحزونون، ٨٣/٢، رقم ١٣٠٣.

(٢) ينظر: منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٠م، ٣٨٤-٣٨٥/٢.

(٣) ينظر: الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م، ٦٠/١.

وبذلك، تتحول الأحاديث النبوية في الصبر عند الصدمة الأولى إلى مدرسة تربوية ودعوية متكاملة، تُعيد تشكيل وعي الفرد والمجتمع تجاه الابتلاء، وتربط السلوك اليومي بالقيم الإيمانية، وتُرسّخ سنناً اجتماعية قائمة على الصبر، والاحتساب، والرجاء، بما يُسهم في بناء مجتمع متماسك، واعٍ، قادر على مواجهة المحن بروح إيمانية راسخة.

الخاتمة



الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، وبعد استقراء أحاديث المناسبات بمختلف أنواعها، وتحليل مضامينها الدعوية، يمكن إجمال أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يأتي:

أولاً: النتائج:

١. السنة النبوية تزخر بمضامين دعوية غنية ومتنوعة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمناسبات حياة المسلم، مما يعكس شمولية المنهج النبوي وواقعيته.
٢. المناسبات -سواء كانت دينية أو اجتماعية أو أسرية أو كونية- تمثل مجاًلاً دعوياً فعّالاً، استثمره النبي صلى الله عليه وسلم في توجيه الأمة وترسيخ القيم الإيمانية والتربوية.
٣. كشفت النصوص النبوية عن منهج دعوي متكامل يقوم على مراعاة الأحوال والسياقات، وربط الأحكام بالمواقف، مما يزيد من أثر الخطاب الدعوي في النفوس.
٤. العبادات الموسمية -كرمضان، ويوم الجمعة، والعشر الأوائل من ذي الحجة- بوصفها محطات إيمانية كبرى تحمل مضامين دعوية تعزز التقوى، وتجدد الصلة بالله تعالى.
٥. الأعياد في الإسلام ليست مجرد مظاهر فرح؛ بل مناسبات دعوية تُرسّخ معاني الشكر، والوحدة، والالتزام بالضوابط الشرعية.
٦. أحاديث الظواهر الكونية -كالكسوف والخسوف ونزول المطر- بيّنت البعد العقدي في الدعوة، من خلال ربط هذه الأحداث بعظمة الله تعالى، وتصحيح المفاهيم الخاطئة المرتبطة بها.





٧. المناسبات الأسرية والاجتماعية تمثل مجالاً مهماً لبناء القيم، مثل الألفة، والتكافل، وحسن المعاملة، وربط السلوك الاجتماعي بالإيمان.
٨. أحاديث العزاء والمواساة كشفت عن البعد الإنساني في الدعوة الإسلامية، من خلال ترسيخ معاني الصبر، والاحتساب، والتراحم بين أفراد المجتمع.
٩. المضامين الدعوية المستنبطة من أحاديث المناسبات تتسم بالتكامل، حيث تجمع بين البعد العقدي، والتعبدية، والتربوي، والاجتماعي.
١٠. توظيف المناسبات في الخطاب الدعوي المعاصر يسهم في زيادة فاعليته، وقربه من واقع الناس، وتحقيق مقاصد الشريعة في الإصلاح والتوجيه.
١١. كثيراً من الممارسات الخاطئة في المناسبات ترجع إلى ضعف الوعي بالسنة النبوية، مما يستدعي مزيداً من الجهود الدعوية والتوعوية المبنية على التأصيل العلمي.

ثانياً: التوصيات:

١. توظيف المناسبات الدينية والاجتماعية في إعداد برامج دعوية مؤثرة، تراعي احتياجات المجتمع المعاصر.
٢. إدراج المضامين الدعوية المستنبطة من السنة في المناهج التعليمية، لتعزيز الوعي الشرعي لدى الناشئة.
٣. تصحيح المفاهيم والممارسات الخاطئة المرتبطة بالمناسبات من خلال الخطاب العلمي الرصين.



المصادر والمراجع



المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

١. الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية في ضوء التوجيهات الإسلامية، محمود أحمد شوق، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢. آثار الإمام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي، مُحَمَّد بن بشير بن عمر الإِبْرَاهِيمِي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإِبْرَاهِيمِي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣. آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر - بيروت.
٤. أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، رسالة دكتوراه، إبراهيم بن حسن الحضريتي، إشراف: موفق بن عبد الله بن علي كدسة، جامعة الملك عبد العزيز - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص عقيدة ودعوة، ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
٥. أثر عمل القلب على عبادة الذكر والدعاء، إبراهيم بن حسن الحضريتي، نسخة الشاملة، د.ط، ١٤٤٤هـ.
٦. إجابة الدعوة وشروطها، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤ هـ.
٧. الأحاديث القدسية الأربعينية، المحقق: أ. د عبد العزيز مختار إبراهيم الأمين، دار التوحيد للنشر والتوزيع - الرياض.
٨. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي (ت ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.



٩. أحكام عقود التمويل في الفقه الإسلامي، عبد الله بن راضي المعيدي، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.
١٠. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة - بيروت.
١١. آداب التربية في تراث الآل والأصحاب - نماذج من تعامل الآل والأصحاب مع صغارهم، أحمد الجابري، مبرة الآل والأصحاب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٣٧ هـ/٢٠١٦ م.
١٢. آداب الزفاف في السنة المطهرة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠ هـ)، دار السلام، الطبعة الشرعية الوحيدة، ١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م.
١٣. آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي.
١٤. آراء ابن الجوزي التربوية: دراسة وتحليلاً وتقويماً ومقارنة، د. ليلي عبد الرشيد عطار، منشورات أمانة للنشر، ميريلاند - الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨ م.
١٥. الأربعون النووية، يحيى بن شرف النووي، عناية: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشخي، دار المنهاج للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ/٢٠٠٩ م.
١٦. إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري (ت ٩٢٣ هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، الطبعة السابعة، مصر، ١٣٢٣ هـ.
١٧. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشافعي القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٨. أساس البلاغة، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٩. أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم، أبو المجد سيد نوفل، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٢٠. الاستذكار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢١. الأسرة في الإسلام د. احمد عمر هاشم دار قباء للطباعة والنشر، مصر القاهرة بدون طبعة، ١٩٩٨.
٢٢. أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، د. عبدالحميد الصيد الزنتاني، الدار العربية للكتا، الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة الثانية، ١٩٩٣ م.
٢٣. الأسس العلمية لمنهج الدعوة إلى الله، د. عبد الرحيم بن محمد المغنوي، دار الحضارة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٤. الإسلام وعلم الاجتماع، د. محمود البستاني، مجمع البحوث للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٤ م.
٢٥. اصبر واحتسب، عبد الملك بن محمد القاسم، دار القاسم، د.ت.
٢٦. أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٣٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢٧. أضواء على الثقافة الإسلامية، الدكتورة نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.
٢٨. اطفال المسلمين كيف رباهم النبي الامين، جمال عبد الرحمن، دار الخضراء، مكة المكرمة السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ م.
٢٩. إعراب القرآن، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السُّنَّة (ت ٥٣٥هـ)، قدم له ووثق

- نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، بدون ناشر، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
٣٠. أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، تحقيق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.
٣١. الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي، المحقق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيقح، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.
٣٢. الإعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.
٣٣. الإفصاح عن معاني الصحاح، محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧ هـ.
٣٤. إكمال المعلم بفوائد مسلم (شرح صحيح مسلم للقاضي عياض)، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن يحيى السبتي، أبي الفضل (ت ٥٤٤ هـ)، تحقيق: د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ/١٩٩٨م.
٣٥. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال: مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحنفي أبو عبد الله، علاء الدين (ت ٧٦٢ هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
٣٦. الإمام البخاري إمام الحفاظ والمحدثين: تقي الدين الندوي المظاهري، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.
٣٧. الإمام مسلم صاحب المسند الصحيح، مشهور حسن سلمان، دار القلم، دمشق.

٣٨. الأمن في حياة الناس وأهميته في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت.
٣٩. الأنساب: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢ هـ) تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
٤٠. الأنساب: للسمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت ٥٦٢ هـ) تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.
٤١. الإيماء إلى أطراف أحاديث كتاب الموطأ، أحمد بن طاهر الداني الأندلسي، تحقيق: أبو عبد الباري رضا بو شامة الجزائري (ج ١-٣)، عبد الباري عبد الحميد (ج ٤-٥)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م.
٤٢. البحث الأدبي بين النظر والتطبيق، علي علي صبح، د. ن. ط.
٤٣. البحر المحيط (في التفسير)، أبي حيان الأندلسي، دار الفكر - بيروت، ٢٠٠٠ م.
٤٤. البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبيايولي.
٤٥. البخاري محدثاً وفقهياً، لعبد الحميد هاشم الحسيني، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط. د. ت.
٤٦. البدر التمام شرح بلوغ المرام، الحسين بن محمد بن سعيد اللاعي المغربي (ت ١١١٩ هـ)، تحقيق: علي بن عبد الله الزين، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٤٧. بذل المجهود في حل سنن أبي داود، خليل أحمد السهارنفوري، تعليق، محمد زكريا بن يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.



٤٨. بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين: عبد العزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي (١١٥٩هـ / ١٢٣٩م)، نقله من الفارسية إلى العربية واعتنى به د محمد أكرم الندوي، قدم له العلامة : أبو الحسن علي الحسن الندوي دار الغرب الإسلامي.
٤٩. البصيرة في الدعوة إلى الله، عزيز بن فرحان العنزي، تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار الإمام مالك، أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٥٠. بغية المقتصد شرح (بداية المجتهد) لابن رشد الحفيد (ت ٥٩٥هـ)، شرح: محمد بن حمود الوائلي، اعتنت به وعلقت عليه: كاملة الكواري، تقديم: عبد الله بن إبراهيم الزاحم، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.
٥١. بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٥٢. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٥٣. البيت السعيد وخلاف الزوجين، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
٥٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي [ت ١٢٠٥هـ]، تحقيق: جماعة من المختصين، من إصدارات وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، عدد الأجزاء: ٤٠، أعوام النشر: (١٣٨٥ - ١٤٢٢هـ)، (١٩٦٥ - ٢٠٠١م).
٥٥. تاريخ الأدب العربي: بروكلمان ونقله للعربية: د. عبد الحليم النجار و د. يعقوب بكر، دار الكتاب الاسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م.



٥٦. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.
٥٧. تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جامعة الملك سعود، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، دائرة المعارف العثمانية، د. ت.
٥٩. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م.
٦٠. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر : ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.
٦١. التحرير في شرح مسلم (قطعة تمثل النصف الثاني من الكتاب)، إسماعيل بن محمد التيمي الأصبهاني، تحقيق: إبراهيم أيت باخة، دار أسفار، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م.
٦٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٦٣. تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البضاوي، المحقق: لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ٢٠١٢م.
٦٤. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية - بيروت.
٦٥. تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار القلم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٤.

٦٦. تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة.
٦٧. الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري، المحقق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
٦٨. تسلية أهل المصائب، محمد بن محمد بن محمد شمس الدين المنبجي (ت ٧٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٦٩. التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث.
٧٠. التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٧١. التعليق على العدة شرح العمدة، أسامة علي محمد سليمان، الشبكة الإسلامية، د.ت.
٧٢. تغليق التعليق على صحيح البخاري: أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: سعيد عبدالرحمن موسى القزقي، المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٧٣. تفسير ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي الحنفي (ت ٩٤٠هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش، مكتبة الإرشاد، إسطنبول - تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
٧٤. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٥. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.

٧٦. التفسير البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيق: هـ خمس عشرة رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
٧٧. تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٢٠هـ.
٧٨. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، د.ت.
٧٩. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
٨٠. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي حاتم، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
٨١. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
٨٢. تفسير القرآن العظيم، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، مكتبة أولاد الشيخ، الجيزة - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
٨٣. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٨٤. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٨٥. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي.
٨٦. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٨٧. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو (ت ١٤٤٢هـ)، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٨٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٨٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، المحقق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣م.
٩٠. تكملة الإكمال (تكملة لكتاب الإكمال لابن ماكولا)، أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، شارك في ج ٢: محمد صالح عبد العزيز المراد، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، ١٤٠٨-١٤١٨هـ.
٩١. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس بن قطب، مؤسسة قرطبة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٩٢. تلخيص تاريخ نيسابور: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع.
٩٣. تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، د. زكريا الشربيني - د. يسرية صادق، دار الفكر العربي.
٩٤. التتوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني الكحلاني ثم الصنعاني، أبي إبراهيم عز الدين، المعروف بالأمير (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.
٩٥. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، غنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية يطلب من دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٩٦. تهذيب الأسماء واللغات، محي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٩٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٩٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج جمال الدين المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠.
٩٩. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٠٠. التوجيه والإرشاد النفسي، الدكتور حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة الثالثة.

١٠١. التوشيح شرح الجامع الصحيح، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: رضوان جامع رضوان، مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٠٢. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (ت ١٤٢٣هـ)، مكتبة الأسد، مكة المكرمة، ط ٥، ٢٠٠٣م.
١٠٣. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، عمر بن علي الأنصاري الملقن، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق: التراث بإشراف خالد الرباط وجمعة فتحي، تقديم: أحمد معبد عبد الكريم، دار النوادر، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
١٠٤. تيسير البيان لأحكام القرآن، محمد بن علي بن عبد الله بن إبراهيم بن الخطيب اليمني الشافعي، المشهور بـ (ابن نور الدين) (ت ٨٢٥هـ)، بعناية: عبد المعين الحرش، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٠٥. تيسير مسائل الفقه (شرح الروض المربع وتنزيل الأحكام على قواعدها الأصولية وبيان مقاصدها ومصالحها وأسرارها وأسباب الاختلاف فيها)، عبد الكريم علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
١٠٦. تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ١٠، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٤٤. والوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).
١٠٧. جامع الأصول في أحاديث الرسول: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط - التتمة تحقيق: بشير عيون مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، ط ١.

١٠٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، د.ت.
١٠٩. الجامع العام في فقه الصيام، محمد بن علي حلاوة، تقديم: مصطفى بن العدوي، مكتبة العلوم والحكم، الشرقية - مصر، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.
١١٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
١١١. الجامع لعلوم الإمام أحمد - الفقه، خالد الرباط، سيد عزت عيد، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق: التراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.
١١٢. الجمع بين الصحيحين، عبد الحق بن عبد الرحمن الإشبيلي، عناية: حمد بن محمد الغماس، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار المحقق للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
١١٣. جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، جمعها وقرأها ووثقها محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١١٤. الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، سعيد بن علي ثابت، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
١١٥. حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه، محمد بن عبد الهادي التتوي، دار الجيل - بيروت، بدون طبعة.
١١٦. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٩م.
١١٧. حدائق الأولياء (١٣٤) مجلساً في شتى فروع المعرفة من الفقه والتفسير والأحوال والمقامات ومكارم الأخلاق وغيرها)، سراج الدين عمر بن علي بن

- أحمد بن الملقن الأنصاري الأندلسي (ت ٨٠٤هـ)، اعتنى به ووضع حواشيه السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١١٨. حقوق الإنسان في الإسلام، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
١١٩. حقوق المرأة في ضوء السنة النبوية، نوال بنت عبد العزيز العيد، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
١٢٠. حقيقة المثل الأعلى وآثاره، عيسى بن عبد الله السعدي الغامدي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
١٢١. حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار (الأذكار النواوية)، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٣١-٦٧٦هـ)، بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي للطباعة والنشر - دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٢٢. خصائص الدعوة الإسلامية، د محمد أمين حسين، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، دار الطباعة، لسنة ٢٠٠٠م.
١٢٣. الداء والدواء، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي، تخريج الأحاديث: زائد بن أحمد النشيري، مراجعة: سليمان بن عبد الله العمير، علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
١٢٤. الدر المنثور، جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت.
١٢٥. درء تعارض العقل والنقل: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، جامعة الإمام

- محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط ٢،
١٤١١هـ/١٩٩١م.
١٢٦. دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد
الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة الأولى،
١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
١٢٧. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني الخطيب
الإسكافي، دراسة وتحقيق: وتعليق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى،
وزارة التعليم العالي، معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة الأولى،
٢٠٠١م.
١٢٨. الدرر البهية من الفتاوى الكويتية، إدارة الإفتاء بوزارة الأوقاف والشؤون
الإسلامية بدولة الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٢٩. الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، الطبعة الثامنة،
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
١٣٠. الدرر المنتقاة من الكلمات الملقاة، أمين بن عبد الله الشقاوي، الطبعة الأولى،
١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.
١٣١. الدعوة إلى الله فوائد وشواهد، عبد الملك بن محمد القاسم، دار القاسم.
١٣٢. دليل الداعية، ناجي بن داييل السلطان، دار طيبة الخضراء، الطبعة الأولى.
١٣٣. دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم
والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، شحاتة محمد
صقر، دار الفرقان للتراث - البحيرة.
١٣٤. الذخائر والعقريات - معجم ثقافي جامع، عبد الرحمن البرقوقي الأديب
المصري، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
١٣٥. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد
الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، حققه وعلق عليه: الدكتور
إحسان عباس الدكتور محمد بن شريفة، الدكتور بشار عواد معروف دار
الغرب الإسلامي، تونس، ط ١، ٢٠١٢م.

١٣٦. رباعيات الإمام البخاري: يوسف الكتاني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٨م.
١٣٧. رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه (ت ٤٢٨هـ)، المحقق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.
١٣٨. رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠.
١٣٩. روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
١٤٠. الروح، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أجمل أيوب الإصلاحي، تخريج الأحاديث: كمال بن محمد قالمي، مراجعة: سعود بن عبد العزيز العريفي، جديع بن محمد الجديع، دار عطاءات العلم (الرياض) ودار ابن حزم (بيروت)، الطبعة الثالثة، ١٤٤٠هـ/٢٠١٩م.
١٤١. روضة القضاة وطريق النجاة، علي بن محمد بن أحمد، أبو القاسم الرحبي المعروف بابن السمناني (ت ٤٩٩هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين الناهي، مؤسسة الرسالة، بيروت - دار الفرقان، عمان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
١٤٢. رياض الصالحين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
١٤٣. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٤٤. سبل السلام الموصلة إلى بلوغ المرام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ.
١٤٥. سبيل المهتدين إلى شرح الأربعين النووية، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي الحقوي، الدار العالمية للنشر - القاهرة، جاكرتا، الطبعة: الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢٠ م.
١٤٦. سحر البلاغة وسر البراعة، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، تحقيق: عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤٧. السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
١٤٨. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي - دار الوراق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
١٤٩. السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
١٥٠. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
١٥١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أول كتاب الجهاد، باب الدعاء عند اللقاء، رقم ٢٥٤٠، المحقق: شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
١٥٢. سنن الترمذي، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٩٩٦م.
١٥٣. السنن الصغير للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي. باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

١٥٤. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٥٥. سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: مكتب تحقيق: التراث، دار المعرفة ببيروت، الخامسة، ١٤٢٠هـ.

١٥٦. السياسة الشرعية، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية، د.ت.

١٥٧. سير أعلام النبلاء الشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ط ٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.

١٥٨. سير السلف الصالحين: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (ت ٥٣٥هـ)، تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض:

١٥٩. سيرة الإمام البخاري: عبدالسلام المباركفوري، تحقيق: عبدالعليم بن عبدالعظيم البتوي، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢هـ.

١٦٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبدالحى بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٦١. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية للقسطلاني، محمد بن عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

١٦٢. شرح المحرر في الحديث، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، المكتبة الشاملة، د.ت.ط.

١٦٣. شرح بلوغ المرام، عطية بن محمد سالم، الشبكة الإسلامية، د.ت.

١٦٤. شرح سنن ابن ماجة المسمى "مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه" و"القول المكتفى على سنن المصطفى"، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهَرري الكري البُويطي، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
١٦٥. شرح سنن ابن ماجة المسمى (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه) و (القول المكتفى على سنن المصطفى)، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهَرري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
١٦٦. شرح سنن ابن ماجة المسمى (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه) و (القول المكتفى على سنن المصطفى)، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهَرري، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية - جدة الطبعة: الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
١٦٧. شرح سنن ابن ماجة المسمى (مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه) و (القول المكتفى على سنن المصطفى)، محمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأرمي العلوي الأثيوبي الهَرري الكري البُويطي.
١٦٨. شرح سنن ابن ماجه (مجموع من ثلاثة شروح)، وهي: مصباح الزجاجة لجلال الدين السيوطي، وإنجاح الحاجة لمحمد عبد الغني المجددي، وما يليق من حل اللغات وشرح المشكلات لفخر الحسن الكنكوهي، قديمي كتب خانة، كراتشي.
١٦٩. شرح سنن النسائي المسمى (ذخيرة العقبي في شرح المجتبى)، محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الولوي، دار المعراج الدولية للنشر (ج١-٥)، دار آل بروم للنشر والتوزيع (ج٦-٤٠)، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٤٢٤ هـ.
١٧٠. شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ لِلْقَاضِي عِيَاضِ الْمُسَمِّي إِكْمَالُ الْمُعْلِمِ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر.

١٧١. شرح علل الترمذي، زين الدين بن رجب، تحقيق: همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار، الزرقاء، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٧٢. شرح عمدة الأحكام، عبد الغني المقدسي، الشارح: عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير، نسخة الشاملة، د.ت.ن.
١٧٣. شرح مصابيح السنة للإمام البغوي، محمد بن عز الدين عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين بن فرشتا الرومي الكرمانى الحنفى، المشهور بابن الملك (ت ٨٥٤هـ)، تحقيق: ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، إدارة الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
١٧٤. شريعة الله لا شريعة البشر، شحاتة محمد صقر، دار الخفاء الراشدين - الإسكندرية.
١٧٥. شعاع من المحراب، سليمان بن حمد العودة، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م.
١٧٦. شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أحمد بن عبد الفتاح زواوي، دار القمة - الإسكندرية.
١٧٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي [ت ٣٩٣هـ]، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٢٩٢هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٧٩. صحيح ابن حبان: المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، المحقق: محمد علي سونمز، خالص آيدمير، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.

١٨٠. صحيح البخاري، الطبعة السلطانية بالمطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣١١هـ.
١٨١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري.
١٨٢. صحيح مسلم (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٩٥م.
١٨٣. صحيح مسلم (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م.
١٨٤. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، د.ن.ت.
١٨٥. صفحات رمضانية، عبد الكريم بن صنيان العمري، دار المآثر، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
١٨٦. صفوة التفاسير: محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.
١٨٧. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي، بعناية: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
١٨٨. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٣هـ.
١٨٩. طبقات الشافعية الكبرى: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي، عبدالفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٩٠. طرح التثريب في شرح التقريب، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي، مؤسسة التاريخ العربي، د.ت.

١٩١. الطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

١٩٢. الطريق إلى الولد الصالح، وحيد بن عبد السلام بالي، دار الضياء للنشر والتوزيع - السعودية، ص ٢٨.

١٩٣. العبر في خبر من غبر: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤ الكويت - ت: المنجد.

١٩٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية.

١٩٥. العلاقة المثلى بين الدعاة ووسائل الإتصال الحديثة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ.

١٩٦. علم الأخلاق الإسلامية: مقدار يالجن محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٩٧. علي بن مصطفى الطنطاوي، صور وخواطر، راجعه وصححه وعلق عليه: مجاهد ديرانية، دار المنار للتوزيع والنشر، جدة - السعودية، ط ٢٠١١م.

١٩٨. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، حققه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٩٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبي

- عبد الرحمن شرف الحق الصديقي العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٠٠. الغذاء والتغذية، عبد الرحمن عبيد عوض مصيقر، أكاديمية، د.ت.
٢٠١. غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
٢٠٢. فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية - مصر الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ.
٢٠٣. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
٢٠٤. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٠٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، مكتب تحقيق: دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
٢٠٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادى ثم الدمشقي الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرين، مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة النبوية، الحقوق لمكتب تحقيق: دار الحرمين - القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠٨. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، طبعة وخدمة خادماً العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٢٠٩. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه بلوغ الأمان من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن بن محمد البنا الساعاتي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الثانية.
٢١٠. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ هـ)، حققه ورتبه: أبو مصعب (محمد صبحي) بن حسن حلاق، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء - اليمن.
٢١١. فتح الرحيم في الصلاة والسلام على النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم)، محمد بن خليفة التميمي، انتقاه واعتنى به: عبد الجبار بن عبد العظيم بن محمد آل ماجد، دار الأماجد - دار المتميز، الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
٢١٢. فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠ هـ)، دراسة وتحقيق: وتخرّيج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيان، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م.
٢١٣. فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري (ت ٦٥٦ هـ)، لأبي محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري (٨٠٤ - ٨٧٠ هـ)، تقديم: عبد الله بن محمد الغنيان، دراسة وتحقيق: وتخرّيج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، المُحقّق، الطبعة الأولى، ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.
٢١٤. فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري، أبو محمد حسن بن علي بن سليمان البدر الفيومي القاهري، دراسة وتحقيق: وتخرّيج: أ. د. محمد إسحاق محمد آل إبراهيم، الطبعة الأولى، ٢٠١٨ م.
٢١٥. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، موسى شاهين لاشين، دار الشروق الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٢١٦. فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، تحقيق: محمد زكي الخولي، مكتبة لينة - دمنهور، ومكتبة أضواء المنار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٢١٧. فتح الودود في شرح سنن أبي داود، أبو الحسن السندي، حققه: محمد زكي الخولي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٢١٨. الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية، محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي (ت ١٠٥٧هـ)، جمعية النشر والتأليف الأزهرية.
٢١٩. فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب، محمد نصر الدين محمد عويضة، أعده للشاملة الغريب الشهري، د.ط.ت.
٢٢٠. فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة، أبو الوفاء، علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الظفري (ت ٥١٣هـ)، تحقيق: د. عبد السلام بن سالم السحيمي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
٢٢١. فقه الإسلام (شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام)، عبد القادر شيبية الحمد، مطابع الرشيد - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٢٢. فقه الإسلام = شرح بلوغ المرام، عبد القادر شيبية الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٢٣. فقه الإسلام: شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام، عبد القادر شيبية الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٢٤. فقه الدعوة في صحيح مسلم علي إبراهيم النعمة، طبعة مركز البحوث والدراسات الإسلامية.
٢٢٥. فقه السنة، سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢٢٦. فقه السنة، سيد سابق (ت ١٤٢٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ٥٠٨/١.

٢٢٧. فقه عمل اليوم والليلة، أبو محمد عبد الله بن مانع بن غلاب الغبيوي الروقي العنبي، دار التدمرية، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.

٢٢٨. الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم: أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨ هـ).

٢٢٩. فوات الوفيات: محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاکر بن هارون بن شاکر الملقب بصلاح الدين (ت: ٧٦٤ هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، ط ١.

٢٣٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.

٢٣١. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.

٢٣٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.

٢٣٣. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧ هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٣٤. قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح مسلم بن الحجاج: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإتيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

٢٣٥. قواعد الأحكام في مصالح الأنعام، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩١ م.

٢٣٦. القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، وزارة الأوقاف السعودية.
٢٣٧. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٢٣٨. الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.
٢٣٩. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٤٠. كتاب جزء القراءة خلف الإمام، حققه وعلق عليه الأستاذ فضل الرحمن الثوري، راجعه الأستاذ محمد عطا الله خليف الفوحباني الناشر: المكتبة السلفية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ.
٢٤١. الكنى والأسماء مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢٤٢. الكنى والأسماء: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشيري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
٢٤٣. الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري، أحمد بن إسماعيل بن عثمان بن محمد الكوراني الشافعي، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

٢٤٤. كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، حمّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٤٥. الكوكب الدرّي على جامع الترمذي، رشيد أحمد الكنكوهي، المحقق: محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي، مطبعة ندوة العلماء الهند، ١٣٩٥هـ.
٢٤٦. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين الهرري.
٢٤٧. كيف تربي ولدك، ليلي بنت عبد الرحمن الجريية، كتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت.
٢٤٨. كيف تكسب الناس، مازن بن عبد الكريم الفريح، وزارة الأوقاف السعودية.
٢٤٩. اللآلئ المكية من كلام خير البرية (شرح سبعين حديثاً نبوياً صحيحاً)، محمد بن صالح الشاوي، أوقاف الشيخ محمد بن صالح الشاوي، الطبعة الأولى، ٢٠٢٢م.
٢٥٠. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، شمس الدين البرّماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠١٢م.
٢٥١. اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، لشمس الدين البرّماوي، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني المصري الشافعي (ت: ٨٣١ هـ)، تحقيق: ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٢٥٢. لباب التفاسير، أبو القاسم محمود بن حمزة الكرمانى (ت بعد ٥٣١هـ)، تحقيق: أربع رسائل دكتوراه بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
٢٥٣. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي، تحقيق: وتعليق: الشيخ أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م.

٢٥٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي [ت ٧١١هـ]، حواشي اليازجي وجماعة من اللغويين، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
٢٥٥. لسان الميزان: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.
٢٥٦. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي الدمشقي، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عامر بن علي ياسين، دار بن خزيمة للنشر والتوزيع - الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٢٥٧. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي الدمشقي (٦٣٦-٧٩٥هـ)، تحقيق: و تعليق طارق بن عوض الله، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٢٥٨. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلمي البغدادي، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.
٢٥٩. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
٢٦٠. لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح، عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي الحنفي [ت ١٠٥٢هـ]، تحقيق: تقي الدين الندوي، دار النوادر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م.
٢٦١. اللؤلؤ والمرجان في محاسن دين الإسلام، أبو عبد الله خلدون بن محمود بن غوي آل حقوي، قدّم له أ. د. عاصم بن عبد الله القريوتي، دار اللؤلؤ للنشر والتوزيع، المنصورة - مصر، الطبعة الأولى، ١٤٤٥هـ/٢٠٢٥م.

٢٦٢. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي (ت ٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
٢٦٣. مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٢٦٤. محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢٦٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الاندلسي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية_لبنان ١٤١٣هـ، ١٩٩٣ م، الطبعة الأولى.
٢٦٦. المحصول في علم أصول الفقه، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، فخر الدين الرازي خطيب الري [ت ٦٠٦هـ]، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٦٧. مختار الصحاح، عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
٢٦٨. مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين، فضل إلهي ظهير، ترجمان الإسلام، باكستان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦ م.
٢٦٩. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، عبيد الله الرحمانى المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء - الجامعة السلفية - بنارس الهند، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٢٧٠. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٢٧١. مسائل العقيدة في كتاب التوحيد من صحيح الإمام البخاري (عرض ودراسة)، يوسف بن حمود حوشان الحوشان، رسالة: ماجستير في العقيدة، جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الثقافة الإسلامية، إشراف: أ. د. عبد العزيز سيف النصر عبد العزيز، العام الجامعي: ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ.
٢٧٢. مسلم بن الحجاج صاحب المسند ومحدث الاسلام الكبير مشهور حسن محمود سلمان، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٧٣. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ)، تحقيق: : السيد أبو المعاطي النور، عالم الكتب - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٧٤. المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (أبو عوانة)، تحقيق: رسائل جامعية وبحوث أكاديمية بكلية الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ج ١-٢: ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م
٢٧٥. مصابيح الجامع: محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن محمد، المخزومي القرشي، بدر الدين المعروف بالدمامي، وبابن الدماميني (المتوفى: ٨٢٧ هـ)، اعتنى به تحقيق: وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٢٧٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
٢٧٧. مصطلحات إسلامية- الإسراف، عادل التل، مجلة البيان، عدد ٢٤.
٢٧٨. المطلاع على دقائق زاد المستقنع (فقه الأسرة)، عبد الكريم بن محمد اللاحم، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٢٧٩. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (٢٦٠ - ٣٦٠هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
٢٨٠. معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥م.
٢٨١. معجم الصواب اللغوي: دليل المثقف العربي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٨٢. معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٨٣. معرفة أنواع علم الحديث، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: عبد اللطيف الهميم، ماهر ياسين الفحل، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٨٤. معرفة أنواع علوم الحديث (المعروف بمقدمة ابن الصلاح)، عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، دار الفكر المعاصر، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٨٥. المُعَلِّم بفوائد مسلم، محمد بن علي التميمي المازري المالكي، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق: والدراسات بيت الحكم.
٢٨٦. المغانم المطابة في معالم طابة، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٢٨٧. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥.
٢٨٨. المفاتيح في شرح المصابيح، مظهر الدين الزيداني الكوفي الضرير الشيرازي الحنفي المشهور بالمظهري [ت ٧٢٧هـ]، تحقيق: لجنة بإشراف نور الدين

- طالب، دار النوادر - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٢٨٩. المفصل في أحكام الأضحية، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، المكتبة الشاملة، د.ت.
٢٩٠. المفصل في أحكام العقيقة، حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة، طبع القدس/فلسطين (طُبع على نفقة فاعل خير)، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ/٢٠٠٣ م.
٢٩١. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، حققه وعلق عليه وقدم له محيي الدين ديب ميستو، أحمد محمد السيد، يوسف علي بديوي، محمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٩٢. مكانة الصحيحين، خليل إبراهيم ملا ناظر، المطبعة العربية الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢ هـ.
٢٩٣. من روائع أبي الحسن الندوي في الدعوة إلى الله، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام، ميت غمر - مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥ م.
٢٩٤. منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق - الجمهورية العربية السورية، ١٩٩٠ م.
٢٩٥. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢ م.
٢٩٦. منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق: التوازن المجتمعي - دراسة دعوية، د. أحمد عليوي عباس.
٢٩٧. منهج الصحابة في دعوة المشركين من غير أهل الكتاب، عبد العزيز بن محمد بن سعود الكبير، دار الرسالة العالمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

٢٩٨. المنهج المسلوك في سياسة الملوك، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله، أبو النجيب، جلال الدين العدوي الشيزري الشافعي (ت نحو ٥٩٠هـ)، تحقيق: علي عبد الله موسى، مكتبة المنار - الزرقاء.
٢٩٩. منهج النقد في علوم الحديث، نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
٣٠٠. المنهل الحديث في شرح الحديث، موسى شاهين لاشين، دار المدار الإسلامي الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢ م.
٣٠١. المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود، محمود محمد خطاب السبكي، مطبعة الاستقامة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٣هـ.
٣٠٢. موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله مجموعة من المؤلفين الدكتور محمد مهدي المسلمي، أشرف منصور عبد الرحمن وآخرون، ط ١، عالم الكتب للنشر والتوزيع - بيروت لبنان، ٢٠٠١م.
٣٠٣. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، عدد الأجزاء: ٤٥، الطبعات: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ)؛ الأجزاء ١-٢٣: الطبعة الثانية، دار السلاسل - الكويت؛ الأجزاء ٢٤-٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفاة - مصر؛ الأجزاء ٣٩-٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.
٣٠٤. موسوعة فقه القلوب، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية.
٣٠٥. موسوعة مسائل الجمهور في الفقه الإسلامي، محمد نعيم محمد هاني ساعي، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
٣٠٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط ١، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.
٣٠٧. ميزان العمل، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، تحقيق: وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر.

٣٠٨. نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، تقديم: أبو بكر الجزائري، محمد صفوت نور الدين، محمد عبد المقصود، دار ماجد عسيري، جدة.

٣٠٩. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أحمد بن علي ابن حجر الشافعي، تحقيق: عبد المحسن بن محمد القاسم، محققة على نسخ مقروءة على المصنف وعليها خطه وإجازته، الطبعة الأولى، ١٤٤٢هـ/٢٠٢١م.

٣١٠. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (ﷺ)، عدد من المختصين بإشراف الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة.

٣١١. النكت على صحيح البخاري ويليهِ التجريد على التتقيح (تم فصل التجريد على التتقيح في كتاب مستقل بالمكتبة الشاملة)، أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الوليد هشام بن علي السعيدني وأبو تميم نادر مصطفى محمود، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

٣١٢. النكت على كتاب ابن الصلاح: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٣١٣. نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي [ت ٧٧٢هـ]، ضبطه وصححه ووضع حواشيه عبد القادر محمد علي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣١٤. نهاية السؤل في شرح منهاج الوصول، جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي، ص ٣٢٥.

٣١٥. نوادر الأصول في أحاديث الرسول (ﷺ)، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، الأصل السادس والثلاثون، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل - بيروت.

٣١٦. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣١٧. هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، الشيخ علي محفوظ (المتوفى: ١٣٦١هـ) دار الاعتصام، الطبعة التاسعة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣١٨. هدي الساري لابن حجر العسقلاني

٣١٩. الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

٣٢٠. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقًا، أبو أسامة، محمود محمد الخزندار (ت ١٤٢٢هـ)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٣٢١. الوافي بالوفيات صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٣٢٢. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢٣. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢٤. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

٣٢٥. الوصايا العشر مع فضائل العشر، الشربيني بن فايق الشربيني، المكتبة الشاملة، د.ت.

٣٢٦. الوصف المناسب لشرع الحكم، أحمد بن محمود بن عبد الوهاب الشنقيطي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٣٢٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

ثالثاً: الرسائل والأطاريح:

٣٢٨. إرشاد طلاب الحقائق إلى معرفة سنن خير الخلائق - صلى الله عليه وسلم -، محيي الدين يحيى بن شرف النووي الدمشقي، تحقيق: وتخرّيج ودراسة: عبد الباري فتح الله السلفي، أصل التحقيق: رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، مكتبة الإيمان، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٣٢٩. البحر الذي زخر في شرح ألفية الأثر، جلال الدين أبو الفضل السيوطي، تحقيق: ودراسة: أبي أنس أنيس بن أحمد بن طاهر الأندونوسي، أصل الكتاب: رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية، مكتبة الغراء الأثرية، الطبعة الأولى.

٣٣٠. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٣١. فوائد المستخرجات من خلال مسند أبي عوانة، نايف بن ناصر المنصور، رسالة ماجستير في الحديث، كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، إشراف: عزت روبي الجرحي، العام الجامعي ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٣٣٢. منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق: التوازن المجتمعي، أحمد عليوي عباس، أطروحة دكتوراه، كلية الإمام الأعظم الجامعة، بغداد- العراق، ٢٠٢٣م.
٣٣٣. منهج الشريعة الإسلامية في تحقيق: التوازن المجتمعي، د. احمد عليوي عباس، اطروحة دكتوراه، كلية الإمام الاعظم الجامعة، العراق، بغداد، قسم الدعوة والخطابة والفكر.

رابعاً: المجالات والبحوث:

٣٣٤. الآثار التربوية لدراسة اللغة العربية، خالد بن حامد الحازمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد ١٢١، ١٤٢٤هـ.
٣٣٥. إعداد الداعية ومعالجة بعض مشاكل الدعوة، محمد محمد أبو فَرْحَة، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، العدد ١٣.
٣٣٦. الإمام البخاري وكتابه الجامع الصحيح، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة الطبعة: السنة الثانية - العدد الرابع ربيع الثاني ١٣٩٠هـ.
٣٣٧. بحث في إجابة الدعوة، إبراهيم بن علي بن عبيد العبيد، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، السنة الثالثة والثلاثون، العدد ١١١.
٣٣٨. العبادات في الإسلام وأثرها في إصلاح المجتمع، محمود السيد شيخون، الجامعة الإسلامية، السنة العاشرة، العدد الأول، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ / مايو-يونيو ١٩٧٧م.
٣٣٩. مجلة الأستاذ، جريدة علمية تهذيبية فكاھية صدرت على يد عبد الله النديم (ت ١٣١٤هـ)، دار كتبخانة للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى -طبق الأصل-، ١٩٨٥م.

Abstract

This study aims to identify the da'wah themes embedded in occasion-based hadiths reported in the Two Sahih collections, and to demonstrate how they can be effectively applied within the context of contemporary da'wah. This is achieved through the inductive collection, analysis, and classification of Prophetic text that related to different Occasions

The significance of this study lies in its reliance on the most authentic sources of the Prophetic Sunnah, as well as its focus on the practical dimension of Islamic da'wah through the Prophet's conduct in various religious, social, and human occasions. This contributes to enhancing the effectiveness of contemporary da'wah discourse.

The study employs the inductive method in collecting hadiths and the analytical method in deriving da'wah themes. The occasions examined include religious events such as festivals and pilgrimage, social events such as marriage and death, and unforeseen situations such as crises and major occurrences.

The study concludes that occasion-based hadiths are rich in diverse da'wah themes, the most prominent of which include:

- **Doctrinal themes:** such as affirming monotheism, magnifying Allah, and linking events to His decree and destiny.
- **Devotional themes:** such as encouraging acts of worship and making use of spiritually significant times.
- **Ethical themes:** such as promoting patience, compassion, and tolerance.
- **Social themes:** such as strengthening solidarity and (sharing in people's joys and sorrows).

The study ultimately finds that understanding occasion-based guidance represents an important gateway for renewing da'wah efforts, and that the Prophetic methodology is characterized by realism and comprehensiveness, making it applicable across different times and contexts.



THE REPUBLIC OF IRAQ
PRESIDENCY OF THE SUNNI ENDOWMENT
AL-IMAM AL-ADHAM UNIVERSITY COLLEGE
DA'WAH, ORATORY, AND THOUGHT DEPT.
POSTGRADUATE STUDIES



**DA'WAH THEMES DERIVED FROM OCCASION-BASED
HADITHS IN THE TWO SAHIH COLLECTIONS
A DA'WAH STUDY**

A THESIS
SUBMITTED TO THE COUNCIL OF AL-IMAM AL-ADHAM UNIVERSITY
COLLEGE, WHICH IS PART OF THE REQUIREMENTS FOR OBTAINING A
MASTER'S DEGREE IN DA'WAH

BY
AMMRA AYAD MAJEED

SUPERVISED BY
ASST. PROF. DR. AHMED ELEWI ABBASS



1447 AH

2026 AD

Baghdad